

فروغ الدارين أعاده

الجزء الخامس

من كتاب

صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والاقطار

تأليف

الشيخ الجليل والعالم المحقق النبيل السيد محمد بيرم الخامس التونسي
رحمة الله وطيب ثراه

(ويليهِ ترجمة المؤلف بقلم ابنهِ)

الطبعة الاولى

(حقوق الطبع محفوظة لابناء المؤلف)

مصر القاهرة سنة ١٣١١

رسائل لمؤلف هذا الكتاب

(تحت الطبع)

محنة الخواص في حل صيد بندق الرصاص (طبعة ثانية)
الحكام تنظيم الممالك شرعاً
التحقيق في مسألة الرقيق
رسالة في واجبات كل من الراعي والرعية
جدول في العروض
رسالة في جواز اسدال الشعر
رسالة في جواز شراء اوراق ديون المالك الاسلامية
معروض في مسألة تونس
جواب عن افكار التونسيين بشأن احتلال بلادهم
رسالة في سكنى دار الحرب
رسالة في حقوق السادة الاشراف (طبعة ثانية)
رسالة في تعظيم المولد النبوي الشريف
تجريد السنن للرد على الخطيب ربنان
كتابات وتعليقات على جملة احاديث نبوية كريمة
منشآت المؤلف الادبية والسياسية
منظوماته الشعرية

الجنء الحسن

من كتاب

صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار

تأليف

الشيخ الجليل والعالم المحقق النبيل
السيد محمد يبرم الخامس التونسي
رحمه الله ونعمه

الطبعة الاولى

حقوق الطبع محفوظة لابناء المؤلف

طبع في مطبعة المنقطف بمصر سنة ١٣١١

6552/3

Signe

1006/12

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم تسليماً

فصل في تاريخ الحجاز

مطلب في تاريخه القديم

اعلم ان سكان الحجاز هم العرب فتاريخه هو تاريخهم نعم قد كان الحجاز معموراً قبلهم لكن ذلك العمران قد جُهل تاريخه بالمرّة لتقدم العهد نقادماً كثيراً وغاية ما يعلم من حوادث ذلك التاريخ هو بعض جزئيات لما تعلق ببعض الاماكن المشرفة هناك مثل بيت الله الحرام فانها بُنيت منذ عهد سيدنا آدم ابي البشر عليه الصلاة والسلام وجُددت ايضاً قبل سيدنا ابراهيم ولكن الاخبار عن ذلك كادت ان تكون خالية عن التحقيق ثم انه لما تكونت امة العرب واستقرت في جزيرتها حدثت فيها حوادث تاريخية مهمة جداً غير انها في ذاتها ايضاً منقسمة الى اربعة اقسام باعتبار انقسام العرب في انفسهم لان العرب منذ نشأتهم الى الآن منقسمون الى اربع طبقات فالطبقة الاولى هي العرب البائدة والثانية العرب العاربة والثالثة العرب المستعربة والرابعة العرب المولدين او المخضرمين

فاما الطبقة الاولى فهي التي كانت قبل سيدنا ابراهيم وانما سميت بائدة لابطادتها اي انقطاعها وانقطاع اخبارها وان كانت ذريتها لم تزل وهم بقية الطبقات وانقطاع اخبارها انما جاء من شدة طول العهد والامد فلم يعلم من احوالهم الا بعض حوادث قصها الله تعالى في القرآن المجيد مثل ما ذكر من احوال رسول الله سيدنا صالح الى قومه ثمود وكذلك قصة عاد مع رسولهم سيدنا هود والاشارة الى ما كان لهاته الامة

من القوة والعمران والثروة وشدة البأس الى غير ذلك من احوال انقراضهم والاعتبار بما كان لهم وبقيت بعض آثاره في ديارهم واما غير ذلك من تفاصيل تاريخهم فلا يوجد منه الا قصص يذكرها بعض المفسرين او المؤرخين لا سند لهم فيها الا الاعجاب بقصص القصص مما لا ينبغي الاعتماد عليه اللهم الا ما اذا ورد شيء من ذلك عن الصادق الامين رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ينبغي ان يتلقى بالقبول ولعله لا يوجد من ذلك عدا ما في القرآن المجيد الا ما ندر مما روي بصحيح السند وهكذا ما يروي عن الصحابة رضي الله عنهم في ذلك الصدد لانهم اذا صحت الرواية عنهم لا يقولون الا ما له ثبت باحدى الوجوه الموصلة وحاشاكم ان يذكروا خرافات القصص ولذلك كانت الاخبار عن تلك الطبقة من العرب في غاية الابهام وانما المحقق منها هو انهم كانوا امة عظيمة ذات نخوة وشهرة وعلموا الارض عمراً عظيماً وحادوا عن جادة الصواب في عبادة الخالق فأرسل اليهم الرسل في ازمان مختلفة يدعونهم الى الرشاد فعاندوا الى ان احاط بهم العقاب وطول الزمن الواقع ما بين اولئك الرسل الدال عليه سياق القرآن المجيد والدال عليه ايضاً نسيان القوم لما كان اصاب سابقهم يدل على طول الزمن بين سيدنا نوح وبين سيدنا ابراهيم عليهم جميعاً الصلاة والسلام زيادة على ما يزعم انه مذكور في التوراة باضعاف مضاعفة فان تكون الامة وكثرتها بعد الطوفان الى ان تبلغ الى ذاك المقدار من الكثرة والشدة وغير ذلك من الصفات لا بد له من زمن طويل كاف لتكوين ذلك العدد الوافر من رجل واحد ثم ان نسيانهم لمعجزة الطوفان وسبب نجاته جدهم يستدعي ايضاً ذلك الطول ثم ان تعدد الرسل مع التعاقب اي ان كل واحد منهم في زمن بعد الآخر وكل واحد منهم يحل العقاب بمن خالفوه فبعضهم اهلك بالريح وبعضهم اهلك بالصيحة الى غير ذلك يدل ايضاً على شدة طول الزمن فيما بينهم حتى تنوسي خبر السابق وكل ذلك قبل سيدنا ابراهيم عليه السلام فلا بد ان تكون المدة بينه وبين سيدنا نوح طويلة جداً لا يعلم مقدارها الا الله تعالى ومجموع ذلك يدل على طول عمر الدنيا وانما غايتها انها حادثة وانها مآلها الى الفناء وهذا كله يبين لنا معنى قوله عليه الصلاة والسلام بعثت انا والساعة كهاتين وقرن بين اصبغي الكريمتين الوسطى والسبابة وكذلك ما دل من الآيات والاحاديث على قرب الساعة قرب قائل يقول اين هذا القرب وهذا الاقتراب وقد مضى من زمن البعثة الى الآن ازيد من الف وثلاثمائة سنة ومع ذلك لم تظهر العلامات الكبرى كنزول سيدنا عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها الى غير ذلك فنقول له ان الامور نسبية فمن علم المقدار الكثير

من مدة الدنيا التي مضت وعلم ما بقي منها رأى ان الساعة قربت وانها مقترنة بالبعثة ولا يتأتى ذلك الا اذا كانت المدة الماضية طويلة طويلاً كثيراً كما هو الواقع والمشهد من حالة الآثار الدالة على ان ما مضى يزيد على العشرات من آلاف السنين فنسبة الفين سنة او ثلاثة آلاف من تلك العشرات من الالف ما هي الا كنسبة المتلاصقين والمتقرب واما اذا اعتبر ما يزعمه اهل الكتاب من المدة وانها ستة آلاف مثلاً فلا يمكن الفهم الا على ضرب من التاويل الذي لا حاجة اليه لمخالفة الواقع ولتبين التحريف الثابت فيما يستند اليه اهل الكتاب الذي غرهم فيما ذكر فله الحمد على تنزيه شريعتنا المطهرة عن مثل الخرافات المخالفة للواقع

واما الطبقة الثانية من العرب وهي العرب العاربة فهي التي من زمن سيدنا ابراهيم وسيدنا اسماعيل ابنه ابي العرب المعروفين الى عصر البعثة وهاتين الطبقتين اخبارها معروفة اجمالاً لاسيما قرونها المتأخرة بما يستنتج من اشعارها وقصائدها واخلاقها وان كانت تفاصيل الحوادث التاريخية غير محققة لاسيما القرون الاولى لها والمتوسطة لعدم وجود تواريخ محررة في اخبار هاتين الامم من العرب دونت قبل الاسلام وانما الذي يوجد في ذلك من التأليف انما هو بعد الاسلام عند ما حدث تدوين الكتب في الامة الاسلامية وذلك من القرن الثالث من الهجرة فيوجد في التواريخ الاسلامية اخبار كثيرة عن هاتين الطبقتين وكثير منها تلوح عليه سمات الصحة لما يؤيده من الاشعار في الوقائع وحوادثها واثباتها على جميع ذلك في هذه الخلاصة مغاير لمقصودنا لانه لا يكون الا زيادة نسخة من احدى التواريخ المشتهرة في ذلك مثل تاريخ المسعودي او تاريخ ابن خلدون او غيرها من التواريخ الكثيرة وانما الذي يليق بنا ذكره هو ان نقول ان هاتين الامة قد انتشأت في هادول عظيمة وممالك واسعة وكانت في أغلب الاوقات منقسمة الى ثلاثة اقسام جنوبي وشمالى ووسط

فاما القسم الجنوبي فهو اليمن وحدثت فيه دول عظيمة مستقلة بنفسها في أغلب الاوقات ولكنها لم تسلط على غيرها من الامم الا نادراً نعم قد تسلط عليها غيرها احياناً فتارة تكون تابعة لملوك فارس وهو الاكثر وتارة تتبع دولة الحبش او دولة اليونان او الرومان او المصريين وفي كل الاحوال الاغلب ان يكون حكمها منها وان كانوا تابعين لغيرهم ممن ذكرناه ونشأ فيهم تمدناً جميلاً كما تدل عليه الآثار التي حول المدن القديمة مثل صنعاء وغيرها وصار في اليمن رجال ذوي فطنة وفكر وقاد وتأهل للكمال كما يرشد اليه الحديث الشريف القائل الايمان يمان والحكمة يمانية او كما قال عليه الصلاة والسلام

واما القسم الشمالي فهو مملكة غسان اي الجهة الموالية للشام والعراق فهاتين كثيرًا ما حدثت بها دول مستقلة ذات شأن لكنها لم تبلغ مقام دول اليمن وفي أكثر الاحوال تكون هاتين المملكة تابعة لصاحب ملك الشام كالرومان وغيرهم وفي أكثر الاحوال ايضاً تكون رؤساؤهم منهم وان كانوا تابعين لغيرهم

واما القسم الثالث وهو الوسط الشامل للحجاز ونجد وتهامة فالحجاز منه في أغلب الاوقات ان لم نقل في كلها كان منفرداً

واما غيره فيكون تارة تابعاً للجنوب وتارة للشمال وتارة ينفرد بنفسه مثل الحجاز والحجاز الذي هو بيت القصيد مع كونه كان منفرداً عن الخضوع لغيره الا ان يكون خضوعاً اسمياً بمعنى الادلاء بالبيعة لبعض ملوك اليمن العظمى الملك فانه في نفسه لم تكن به دولة ملكية قط وانما جميع السكان منقسمون الى قبائل كل قبيلة خاضعة الى رؤسائها فقط ولا سلطة لواحدة على أخرى الا ما يكون على طريق الظلم والعدوان وقد انفردت قبيلة قريش من بين سائر قبائل العرب بالمجد والفضل لما لها من المزية باختصاصها بالسكنى حول بيت الله الحرام الذي لم يزل معظماً عند الجميع منذ بناء سيدنا ابراهيم وسيدنا اسماعيل ابو العرب وكانت سائر القبائل العربية تحبهم من جميع الآفاق اليمن والشام وغيرها وتعظم اهلهم وتكرمهم واختص بمزيد الشفوف على قريش بنو هاشم منهم فكانوا هم سدنة البيت وهم حماة وقد تقررت في قبائل العرب أكثر شيم المكارم لاسيما قريش فكانوا ابعد الخلق عن تحمل الضيم وكانوا احرص الناس على حفظ المجد وحماية النسب فيحفظون انسابهم ويتفاخرون بها ويكرمون الضيف ويتنافسون في البذل والكرم ويحمون الجوار ويوفون بالعهد ولم اليد البيضاء في الشجاعة والرياسة والفروسة والاعناء بتربية الخيل الجياد والابل ويتفاخرون بالعدل ويستقيجون الظلم وان افتخروا به في قهرهم به لاعنائهم والحاصل انهم اقتنوا أكثر سمات الفضائل ومكارم الاخلاق حسب ما يرشد الى ذلك قوله عليه الصلاة والسلام بعثت لاتم مكارم الاخلاق ويؤكد ذلك حلف الفضول الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما احب أن لي به حمر النعم ولو ادعى به في الاسلام لاجبت الخ وذلك ان قريشاً تحالفوا على ان لا يجدوا مظلوماً الا انتصروا اليه حتى يردوا ظلامته ويأخذون حق الضعيف من القوي ولتنافسهم في سمات الكمال حدثت بين القبائل المشاحنات على استحقاقها وتمكنت العداوة بينهم وصاروا على قلوب شتى

وكان اعظم همهم وغاية تنافسهم هو البلاغة في لغتهم التي بها يعبرون عن خصال فضائلهم ومناط تنافسهم حتى صاروا يعتقدون لذلك اسواقا كسوق عكاظ فيفيضون اليه من كل فج عميق وتأتي القبائل بما لديها من البضائع والتجارة ويقع بينهم تعارف ورواج في المتجر ولكن موضوع اصل الاجتماع هو عرض كل قبيلة كلام فحول فصاحتها من ثمر ونظم فتنصب لاصحاب البلاغة واللسان الطاق المنابر وينشد كل منهم ما لديه من القصائد التي كان تأتق في احضارها حتى ربما بلغ الحال بأحدهم ان لا يظهر قصيدته الا بعد التروي والتدبر فيها واصلاحها مدة العام والعامين حتى كانت لم قصائد تسمى بالحولية وقد يكون الانشاد ارتجالا مع الابداع والاغراب من مصافعهم في اغراض شتى من نصائح وحكم وصفة مكارم الاخلاق او في الشجاعة والبطش والحروب او في الغزل والنسيب او المفارقة والمدح والذم الى غير ذلك مما اشتهر امره في الأناق بين سائر الامم الى الآن ولا زال يضرب به المثل فيما كان للعرب من سعة اللغة وكمال الادراك فيما خاضوا فيه من مناهج الكلام وكانت لم حكاهم مسلم اليهم الانصاف ومعتز لم بكمال الخبرة والاحاطة بأساليب البلاغة وجزالة المعنى ودقة المدرك فيحكمون بتفضيل بعض الكلام على بعض وربما بلغ الحال من العناية بالكلام البليغ ان يكتب في صحائف موقفة ويعلق في داخل الكعبة التي هي مناط تعظيمهم قديما وحديثا ولو في الجاهلية دلالة على ان ذلك الكلام قد بلغ الغاية التصوي في المبيع الذي هو بصدده لما احتوى عليه من الفصاحة ومن ذلك المعلقة السبع الشهيرة غير انهم مع هاتيك الكلمات قد تناسوا دين آبائهم ابراهيم واسماعيل عليهم السلام ولم يبق فيهم من آثاره الا اعتقاد الخالق والاعتراف له بالوجود كما يرشد اليه قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وكذلك تعظيمهم للبيت الحرام ثم تفرقوا في بقية العقائد على انحاء شتى باطلة من وثنية ومجوسية ودهرية وكتابية اي متصرين او متهودين مستغرقين في الضلال الذي عم جميع اطراف الارض في ذلك العصر بحيث لم يكن بها من يعبد الله على حق الا عدد من افراد مخصوصين* وبينما كان اهل الارض في ذلك الظلام الحالك واذا بنور الله قد سطع وكشف عن البصائر الحجب ببعثه رسول الله سيدنا ومولانا محمد صفوة بني هاشم سادة العرب فانقلب الكون حينئذ الى طور آخر في سائر الاحوال المتعلقة بالدين والدنيا وظهر في العالم عصر جديد عم اعند الله واستقامته اغلب المعمور من الارض في سنين قليلة والكلام على تفاصيل زمن البعثة وما سبقه وما لحقه من مكملات

دعائم الدين الاسلامي قد بسط ووفر في مجلدات عظيمة من كتب السير والتاريخ لا تمكن الاحاطة بها هنا وشهرتها غنية عن البيان وانما الذي ينبغي التنبيه عليه هنا لمن لم يكن خبيرا هو ان تاريخ ذلك العصر اعني عصر البعثة وعصر خلفاء الراشدين يلزم فيه من القيود ما لا يلزم في غيره من التواريخ وهو صحة السند واتصاله بحيث يصح ان يكون معتمدا لا يبنوا الاحكام الشرعية عليه* لان جميع حركات وسكنات رسول الله صلى الله عليه وسلم تشريعية للامة الا ما قام الدليل على اختصاصه به عليه الصلاة والسلام وهكذا اعمال خلفائه الراشدين من بعده ومن المقرر في كتب الاصول ان الادلة الشرعية لا تثبت بمجرد النقل بل لا بد ان يكون النقل على الوجه المعتبر وهو روايته اي الدليل بالتواتر او الشهرة او الافراد على ما هو مبسوط في كل منها وبهذا يتبين غلط من يزعم ان الامام ابا حنيفة رضي الله عنه كان غير عالم بالسير الذي هو تاريخ سيرة رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وكذلك سيرة خلفائه الراشدين من بعده وهم سيدنا ابو بكر وسيدنا عمر وسيدنا عثمان وسيدنا علي وسيدنا الحسن وسيدنا الحسين رضي الله عنهم لان كل ذلك يتوقف عليه كثير من مسائل الاجتهاد كعرفة الناسخ والمنسوخ من الافعال والافعال وكذلك نفس الادلة التي يستند اليها المجتهد فمن تمسك بحكايات عن ابي يوسف او محمد بن سفيان امامهم ابو حنيفة رضي الله عنهم اجمعين ليس هو الا جنيول بتمام الاجتهاد وبعاني الكلام وارتباط العلوم ببعضها ولا غرابة حينئذ في فحش غلط وكذب مؤرخي غير المسلمين فيما ينسبونه بهتانا الى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في بعض سيره وصفاته لانهم يظنون ان تاريخ ذلك العصر خصوصا ما يتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم هو مثل سائر التواريخ التي لتوقف على مجرد الرواية مع عدم المانع العقلي وقد عرفت ان الامر عندنا ليس كذلك بل هو مشروط بما ذكرناه فلا يغتر مسلم بما يذكره الافرنج الآن في تواريخهم في هذا الموضوع وننبه على الخصوص ابناء اوطاننا المعجبين بأحوال الافرنج على الاطلاق لانكباهم على تعاليمهم وعدم فتح بصائرهم في حقائق معارف المسلمين حتى جرم ذلك الى استحسان طريقة التاريخ عند الافرنج مطلقا مع انها في نفس الامر ليست مطابقة للواقع في الموضوع الذي ذكرناه ثم ان هاتيك الطبقة من العرب لما كتب الله لها ان تسود على الارض ويعم حكمها فيها في الطول والعرض وأنجز لها وعده في اقرب مدة بحيث انها في خلافة سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه المتوفى سنة ٢٧ هجرية امتد حكمها من جبال

القوقاز الى المحيط الغربي جهة اسبانيا ومراكش وكان ذلك احدى معجزاته عليه الصلاة والسلام حيث قال (وزويت لي الارض فأوربت مشارقها ومغاربها وسيلغ ملك أمتي مقدار ما زوي لي منها) فكان الأمر كذلك ولم يتوغل ملك الامة في الجنوب وفي الشمال مثل ما توغل في المشرق والمغرب كما قاله حجة الاسلام الغزالي في الاحياء وسبب ذلك والله اعلم أن العمران في الارض كان في ذلك التاريخ غير معتبر في جهتي الجنوب والشمال وإنما مناخ الامم ومقام اغلب الخلق في جهتي الشرق والغرب وكان الوجه في الاتيان بلفظ المشارق والمغارب بصيغة الجمع هو الاشارة اما الى المشارق بالنسبة للعرض اي تعددها نظراً لاختلاف الفصول او بالنظر الى الطول اي مشارق اهل الارض فان كل جهة من الارض شرفها مسكون الى نهاية المحيط الشرقي بالنسبة لنصف الكرة الذي هو القسم المعلوم والمعروف اذ ذاك وهكذا الغرب فيكون في الحديث على الوجه الثاني اشارة الى عدم تملك المسلمين في امريكا كما هو واقع بالفعل لانها ليست بمشرق ولا بمغرب لاحد سكان هذا القسم اعني القسم المشتمل على آسيا وافريقيا وأوربا لان بعد قارة امريكا من هاتى القارة جعل مشرق شطوط قاراتنا ومغربها هو البحر فبسبب امتداد ملك هاتى الطبقة الى ذلك الحد وانتقال القبائل الى تلك الاصقاع المفتوحة واختلاطهم بأمتها ورجوع تلك الامم ايضاً الى مركز الحكم وتحت الديانة ايضاً لانهم دخلوا فيها افواجا * فبسبب ذلك كله حدثت الطبقة الثالثة من العرب وهي العرب المستعربة اي الذين تعربوا وان لم يكونوا في الاصل عرباً وامتدت هاتى الطبقة الى نهاية دولة العرب في الصورة والمعنى اعني إلى حدود المائة الثالثة التي تقلص فيها ظل دولة جنسية العرب وان بقي فيهم الملك لكن عصيته وانصاره والقائمون به والذين امر الدولة في أيديهم حقيقة هم الاعجام من الترك والموالي الذين اتخذهم بنو العباس بطانة لهم فتغلبوا على الاطراف وعلى نفس الخليفة تارة مع شدة في الاستيلاء وتارة مع ضعف الى ان اندثر ملك الخلفاء بالمرّة بواقعة هلاكو خان على بغداد التي بها انقرضت دولة بني العباس وان عادت اسماً بلا معنى بعد مدة قليلة من السنين بظهور احد ذرية بني العباس في مصر وكرامهم له بالبيعة الصورية وتسميته بالخليفة ثم يحجرون عليه في قصره الرحيب بحيث لا يكون له من الامر شيء ويكتب كتاباً يشهد فيه على نفسه انه فوّض الامر الى ذلك السلطان الذي ولاه وبقي ممتعاً في لذاته التي يتفضل بها عليه حسن ظن من سلاطين ذلك الزمان بمصر حتى اعتقدت العامة ان وجود الخليفة

موقوف على شرط النسب العباسي وحده فأزاحت هاتى البدعة الدولة العثمانية عند استيلائها على مصر سنة ٩٢٢ هجرية بنتوى العلماء

ومن تاريخ انحصار دولة العرب اي بني العباس في مملكة العراق وخروج الحجاز عنها غالباً الى بيعة من هو بمصر حدثت الطبقة الرابعة وهي العرب المخضرمون الذين هم سكان جزيرة العرب الى الآن فانهم وان كان أكثرهم قبائل عربية النسب اصالة لكن لغتهم قد خرجت عن اصلها وكذلك طبائعهم وعاداتهم لتقليد الامم المتغلبين على الدولة التي هي أكثر نفوذاً في ممالك الاسلام فهم وان كانوا عرباً من جهة الانساب لكنهم غير عرب من جهة اللغة والطباع وبعض الاختلاط في الانساب ولذلك اطلق عليهم اسم المخضرمين وقد أدانا الكلام على اجمال اوصاف الطبقات الاربعة من العرب الى التكلم عن شيء من حالة التاريخ الجديد للحجاز لكي يتسجم تعريف تلك الطبقات على وتيرة واحدة ثم نعود الآن الى ديدنا في التكلم على التاريخ فنقول ان انتهاء التاريخ القديم للعرب كان بظهور الاسلام



فصل

في التاريخ الجديد للحجاز

اعلم انه يبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاصة العرب وسيد الامم قد حدث تاريخ جديد في سائر العالم لا في الحجاز فقط الذي هو مطلع نوره عليه الصلاة والسلام وذلك لعموم رسالته صلى الله عليه وسلم فانه ولد عام الفيل الذي كانت تورخ به العرب وهو العام الذي قدم فيه ملك الحبشة الاستيلاء على مكة ومعها فيلة الحرب فولي كبيرها على عساكرهم وانزمت الحبشة بدون حرب وكان ذلك من الارهاصات الدالة على البعثة وذلك العام قبل الهجرة بسنة ٥٣ ويوافق ذلك سنة ٥٦٩ ميلادية وقد كان والد النبي صلى الله عليه وسلم قد توفي قبيل ولادته فكثله جده عبد المطلب وارضعه اخواله بنو النجار في المدينة ثم نشأ صلى الله عليه وسلم على كل الاخلاق واشرفها سجية فطر عليها من غير تعليم ولا تأديب حتى انه كان امياً لا يقرأ ولا يكتب على ما هو الغالب في الامة اذ ذاك وكثله عمه ابو طالب بعد وفاة جده فلما استكملت شبوبيته تعاطى التجارة

على وجه المضاربة وهي ان يكون المال لانسان والعمل على الآخر والمال الذي اتجر به كان خديجة بنت خويلد احد اعظم قريش واغنيائها فسافر الى الشام ورجع برمح فاق على انظاره ثم تزوج السيدة خديجة وقد رغبت فيه لعلو نسبه حيث كانت صفوة بني المطلب وبني هاشم سادات العرب كما تقدم ولكال حسب ما رأت من جزيل الارباح في تجارته مع ما هو عليه من استجماع كافة مكارم الاخلاق ووفرة العقل والجلالة والمهابة حتى كانت قريش يدعونه الامين وينقادون لاشارته وامره حتى انهم لما اختلفوا عند تجديدهم بناء الكعبة فبين بني الحجر الاسود وهم بالمسجد الحرام وتراضوا على تحكيم اول داخل فكان هو النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا جميعاً رضينا هو الامين

ومن كمال تدبيره ارضى جميعهم في ذلك حيث اخذ ثوباً ووضع فيه الحجر الاسود ثم قال لهم لترفع كل طائفة من احدى جهاته فرفعوه جميعاً حتى اذا بلغوا به محله وضعه فيه هو عليه الصلاة والسلام وهكذا عرف بين الجميع بالصدق والوفاء والنزاهة عن كل نقيصة فلما بلغ الاربعين من عمره بعثه الله رسولاً بنزول الوحي عليه صلى الله عليه وسلم مع الملك واقام بعد ذلك بمكة ثلاثة عشر سنة يدعو فيها الناس للايمان بما انزل عليه من القرآن واقامة الدليل والبرهان واظهار المعجزات الخارقات للعادات من الاخبار بالمغيبات الماضية كحوادث الامم الماضية مما اختلفت فيه اخبار اهل الكتاب فجاءهم فيه بما يوافق الحق والعقل وان خالف اقوالهم جميعاً وكذلك المغيبات الحالية كالاخبار عن بيت المقدس وتوصيفها توصيف معان لها مع انه لم يرها قط الا في الاسراء الذي هو معجزة له عليه وآله الصلاة والسلام وكذلك المغيبات المستقبلة كغلب الروم من الفرس وعود الكرة لهم وانتصار المؤمنين وعزتهم وامتلاكهم مشارق الارض ومغاربها مما جاء كله على نحو ما قال وهكذا اجابة دعواته وغير ذلك من المعجزات واعظم بمعجزة انشقاق القمر التي بينا ثبوتها القطعي في الكلام على مصر وفوق ذلك كله معجزة القرآن الذي هو من جنس كلامهم ومن النوع الذي فيه مجال تفاخرهم واعنائهم فاذا هو يومياً يقصص عليهم القصص ويقيم البراهين على الايمان ويوعظ ويرغب ويرهب باساليب شتى ويدعوهم الى المعارضة باتيانهم بمثله وينادي عليهم بالتعجيز مما يزيد في حماسهم في المعارضة ولم يتنوه واحد منهم بشيء حتى لجأوا الى انه سحر وغير ذلك من اعذار المعاندين العاجزين كقولهم انه تعالى منسطور الرومي مما رده عليهم القرآن الكريم حيث قال لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين (الآية) فقد اخطأوا وافترأوا ولم يفقهوا ان مناط المعجزة هو اللسان

العربي وهو محل مناداتهم الى المعارضة وذلك لا يتأتى فيه قولهم لان لسان من زعموه عجمي وليس هو موضوع التعجيز وهذا كاف في دحض اصل الدعوى من كون منسطور لم تكن بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم علة ولا مواصلة وغاية الامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قد رآه اثنان من الرهبان قبل النبوة وآمنا به حتى عدم البعض من الصحابة على قول من يرى الصحبة ثبتت بالرؤية مع الايمان ولو قبل البعثة وهذان الراهبان اولها يسى بحيرا او جرجيس رآه صلى الله عليه وسلم عند اول سفره له صلى الله عليه وسلم مع عمه ابو طالب الى الشام وهو ابن اثني عشر سنة وكان الراهب في صومعة له ينزل حولها الركبان فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ورأى بعض العلامات التي استدلل عليه بها قرب من النبي صلى الله عليه وسلم وتفحص جسمه فرأى الخاتم وتعرف اخباره من رفقائه ثم تلمظ الى عمه حتى رجعه الى بلده خوفاً عليه من اليهود واخبر عمه ورفقائه بما يكون له من الشأن والامر (وثاني) الراهبين هو منسطور الراهب رآه ايضاً قبل البعثة وعند سفره للتجارة الى الشام ومعه ميسرة غلام خديجة زوجته فلما رآه من الصومعة ايضاً تعرف خبره من الرفقاء واخبرهم بما يكون له من الشأن ايضاً ولا يعلم ولا ينقل عن احد لا في التقات ولا في الموضوعات انه اجتمع بغيرها في غير ذلك الوطنين الا ما روي بضعف من انه صلى الله عليه وسلم سافر وهو ابن عشرين سنة الى تجارة ايضاً بالشام وفي صحبه ابو بكر الصديق رضي الله عنه وان منسطورا اجتمع به اذ ذاك ايضاً وحذره ورغبه في الرجوع عن الشام خوفاً عليه من الروم فارسل معه ابو بكر رضي الله عنه غلامه مصاحباً في الرجوع وهاتين الروايتين على ما فيها من الضعف ليس فيها شيء زائد عما في الروايتين السابقتين بالنسبة لامر الراهبين فيا ليت شعري من اين افترى بعض المتشدقين من الافرنج المدعين معرفة التواريخ بان النبي صلى الله عليه وسلم كانت له مودة مع ذلك الراهب وهو بحيرا وينصحه بالنصائح وقد علمت مما مر سابقاً ما يشترط في حالة تواريخ ذلك العصر ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم قد امره الله بالهجرة الى المدينة التي قدر ان تكون هي مظهر اصلاح هذا العالم الارضي ونجاة اهله في الآخرة وكان اذ ذاك قد فشا خبر الاسلام والبعثة فتلقاه الانصار اهل المدينة بالبيعة والطاعة وانتالت عليه القبائل بالايمان واستعد اذ ذاك لاجراء امر الله واحكامه على من عاندوا بعد اقامة البرهان والحجة وتم ابعده وعدم لرسوله وللمؤمنين ففتحت مكة وآمنت في اثرها جميع قبائل جزيرة العرب ولم يزل الدين ينتشر الى ان عم البسيطة في نحو نصف قرن ثم ان تاريخ

الحجاز لما كان من ذلك الوقت هو تاريخ الامة الاسلامية الى انتقال الخلافة منه في خلافة سيدنا علي ثم عودها اليه في خلافة سيدنا الحسن رضي الله عنهم جميعاً ثم خروجها منه من ابتداء خلافة سيدنا معاوية والكلام على ذلك كله مبسوط في جميع التواريخ الاسلامية فلا ثمة في ذكرنا لازيد مما ذكرناه هنا طبقاً لقاعدتنا وانما نقول ان الخلافة لما انتقلت عن الحجاز صار على كل من مكة والمدينة والى مخصوص غير ان والي مكة قد تعين من وقت الفتح واول وال بها هو عتاب بن اسيد ولي سنة ثمان عند الفتح وولي ايضاً على اقامة الموسم والحج ثم ان بني امية كانوا لا يولون على المدينة الا اقرب الناس وامنهم لديهم واستمر الامر على ذلك الى حدود سنة ٢٥١ التي استقلت فيها عائلة ساداتنا الاشراف بني الاخضر وبقيت بايديهم الى ان غلب عليهم القرامطة سنة ثلاثماية وسبعة عشر وهؤلاء القرامطة قوم ظهروا باليمن مظهرين الاسلام والتمسك بالسنة وهم اشد كفراً ونفاقاً من المنافقين فادخلوا في الدين الدسائس ووضعوا الاحاديث وفعلوا من المناكر ما له خبر ماثور حتى استولوا على مكة والمدينة وخربوا الكعبة وقلعوا الحجر الاسود من موضعه الى ان رجعه بعد ذلك عمال بني العباس الذين طهر الله بايديهم الحرمين من اولئك القرامطة ثم استقل بالحرمين ايضاً السادة الاشراف بنو سلمان بن داود بن الحسن المثنى وبقي الملك بايديهم الى سنة اربعمائة واثنين وخمسين فاستقل بملك الحجاز الهواشم الذين هم العائلة المستولية الى الآن من ساداتنا الاشراف واولهم سيدنا المولى الشريف ابو هاشم محمد العاوي المستولي في السنة المذكورة والمتوفي سنة ٤٨٧ وبقيت في بنيهِ الى الآن فانهم كانوا من ذلك التاريخ مستقلين بالامر والنهي والنصب والعزل وسائر الادارة الداخلية الا انهم يدلون بالبيعة ظاهراً الى خلفاء العباسيين والسلطين الذين تغلبوا عليهم ببغداد الى انقراض دولتهم فادلوا بالبيعة الى سلاطين مصر وانما كان الحال يختلف عندهم فتارة تنفرد مكة والمدينة بامير واحد منهم وتارة تستقل كل منهما بامير الى ان فتح السلطان سليم الاول مصر واقام بها مدة فاستقبله في الطريق وهو راجع الى الاستانة الشريف المقدس ابو غني ابن الشريف بركات فبايعه نيابة عن ابيه وقلده السلطان حالاً اماره الحجاز كله بمشاركة لايه في حياته واستقلاله بعد مماته ولم تزل ولله الحمد هاته العائلة الكريمة الشريفة هي الحاكمة على الحجاز الى الآن وذاك اعظم دليل على ثبوت نسبها لانها من عهد استقلالها الذي هو كبد القرن الخامس وتوفر حالة معرفة الانساب من الدولة العباسية التي لم تزل الى ذلك التاريخ لها صولة وشوكة خصوصاً فيما يعود لامر النسب الذي

يخشى منه حتى السلاطين المتغلبين عليهم لانهم يخشون من خروج الخلافة الى غير العباسيين الذين هم من شيعتهم واخضعوا الناس باسمهم ان يتلاشي امرهم بتلاشي متبوعهم فلم يبقوا لهم بالنسب ويرضوهم بالسكوت عن الحجاز الا لما يعلمون من حقيقة نسبهم وثبوتهم عند الخاص والعام وهكذا بقيت هاته العائلة بارك الله لنا وللمسلمين فيها حاكمة على منبع البعثة اقر الله اعيننا والمسلمين بوجودهم والقيام بسنة الحق لابائهم وجدودهم والامير الحالي هو مولانا الهام الشهم عون الرفيق ابن مولانا المقدس المبرور سيدنا محمد بن عون صلوات الله وسلامه على جدهم رسولهم وعليهم وعلى جميع آلهم

مطلب في السياسة الداخلية للحجاز

اعلم ان مدار الادارة كلها جليلها وحقيقتها وجزئياتها قد كان سابقاً مناطق هو الامير السيد الشريف وكانت على حسب اصول المراسم الشرعية المتعارفة من قديم مثل تفويض الاحكام الشخصية الى القاضي والمفتي وانفراد الامير بالجلوس الى رفع المظالم واجراء بقية الادارة واستمر على ذلك بعد الخضوع للدولة العلية ايضاً قسمياً مبدئاً من الزمن حتى في امر القوة الحربية فقد كان للامير عساكر خاصون بامارتهم ليقم بهم ما تستدعيه القوة وقد بقي الى الآن شيء من ذلك حيث ان للامير نحو الحراس او العساكر الخاصة لا يبلغ عددهم المائتين وعند ما بدى للدولة العلية الاحتراس من امر الولاية مدة السلطان محمود الثاني في اواسط القرن الثالث عشر لكثرة مخالفة ولاية الاطراف على ما سيأتي بيانه في محله حصل ذلك التغيير ايضاً في الحجاز لكنه بأمرهين وهو جعل القوة العسكرية الكبرى خاصة بالدولة العلية بان ترسل هي من تختار عساكر يقيمون هناك وتزيد قوتهم ونقلها على قدر الحاجة ورئيسهم من طرف الدولة ايضاً ليس بملزوم لامثال امر الامير فيما يراه من معاقبة بعض القبائل بل هو على حسب ما يظهر له في الواقعة وعند مخالفتهم في الرأي للامير يخبران الدولة معاً لتأمر بما تراه وكذلك امر العاشر اي الكمرك في المراسي البحرية استبدت به الدولة وحدها بأمورين ترسلهم من طرفها ونشأ عن ذلك في اول الامر قلاقل ومحاربات افضت الى ابدال الامير بغيره من فروع عائلته الكريمة ولم يزل يزداد تداخل الدولة في التصرفات الداخلية الى ان جعلت والياً على الحجاز من احد كبار رجال دولتها مثل بقية ولاياتها مع بقاء سيادة الامير على منصبه واعتبار نفوذ امره

على الاطلاق ولا يخفى ما في وجود أمرين على أمور واحد في زمن واحد من الاضطراب ونشأ أيضاً عن ذلك الاحتراس ان الدولة صارت تستدعي من يلي سيادة الامير في السن من عائلته ليبقى بتخت السلطنة ويتخلق بأخلاق الدولة ويتعرف سياستها الداخلية والخارجية لانه هو ولي عهد الامير فاذا آلت له الولاية كان عالماً بأحوال الدولة التي هو خاضع لها وتقلده الدولة مدة اقامته بتخت السلطنة رتبة الوزارة والمشيرية وتجعله عضواً بمجلس شورى الدولة الذي يرجع اليه غالب التدبير في اغلب مصالح الدولة الداخلية هكذا ظاهر الحال ونعم المسلك لو يكون هو الامير والوالي بحيث تحدد له الدولة تصرفاته على نحو بقية ولايتها غير انه يفرد بكونه ممتازاً بعدم خروج الامارة عنه وعن عائلته وبكون الادارة في امارته تجري على طبق الشريعة المطهرة مع غابة الاحتراس عن البدع التي لا داعي لشيء منها هناك لكنهم اقتصروا على خصوص الفائدة في ابقاء ولي العهد بالتخت لما رب للدولة ربما احتاجت اليها مع سيادة الامير نسأل الله التوفيق والجاري الآن هو ان يختص سيادة الامير بالامر والنهي والولاية والعزل في جميع قبائل الاعراب وكذلك الوظائف المتعلقة بالبيت الحرام من امامة وخطابة وغيرها الا انه ينهي الى الدولة ما يراه في كبارها لتصدر الاوامر السلطانية على حسب ما ينهيه وعلى نحو من ذلك الوظائف الدينية بخصوص مكة كالفتوى في المذاهب ونقابة الاشراف وما شاكلها واما القاضي فانه يرسل الى مكة قاضٍ والى المدينة المنورة قاضٍ من تخت السلطنة على نحو بقية ولاياتها وكذلك بقية الولايات العرفية كلها تنصرف فيها الدولة والحاصل ان الذي استقر عليه الحال الآن هو اختصاص الامير بأمر قبائل الاعراب ما لم يستدع الحال محاربتهم وبعض الوظائف في خصوص مكة مما مرجعه الديانة كائنة الصلاة في البيت الحرام من المذاهب الاربعة وهم وان كانوا اربعة الآن لكنهم لم يقع استقرارهم هكذا في زمن واحد بل كان الامر اولاً امام واحد شافعي ثم زيد ثانياً من المذهب الحنفي ثم آخر من الحنبلي ثم آخر من المالكي في ازمان متباعدة بحسب المناسبات في اتباع ذلك المذهب ونفوذهم لدى الدولة الحاكمة وهكذا الامر في ائمة المسجد النبوي على صاحبه اكل الصلاة والسلام وعلى آله فان الامام المالكي لم ينصب الا في عشرة التسعين من القرن الثالث عشر

واما بقية مدن الحجاز التي هي المدينة المنورة وجدة فاما المدينة المنورة ففيها محافظ وهو كبير العساكر وشيخ الحرم النبوي على صاحبه اكل الصلاة والسلام وقاضٍ

وكلمهم يأتون من تخت السلطنة وفيها مفت وائامه وخطابه وامين الخزنة مع وظائف آخر صغيرة وهؤلاء المتوظفون سبوا اصحاب الادارة والحكم تابعون لوالي الحجاز مع بعض امتياز لهم في مخاطبتهم للدولة رأساً

واما جدة فمتوظفوها مثل متوظفي بقية مدن المملكة العثمانية ما عدا المجالس الحكمية القانونية لان الاحكام سيأتي بيانها وانها على خلاف بقية الممالك العثمانية اذ لا مجالس عرفية بها فاجمال الحال ان الادارة السياسية مرجعها هو سيادة الامير مع الوالي اللذان يرجعان جميعاً الى ما نراه الدولة العثمانية

وكليات الادارة الآن هناك ليس فيها مكوس ولا ضرائب ما عدا الكمر على الواردات البحرية وبعض اعشار على النخيل في القبائل الخاضعة حقيقة وكل هؤلاء القبائل لا يدفعون شيئاً الى الحكومة ولا الى الامير بل ان خضوعهم الذي ذكرناه الى سيادة الامير في الحقيقة هو ظاهري فقط وانما يختلف الحال فيها بحسب الزمان وشدة الطغيان في الانقياد وعدمه وبعض الجهلة ينسبون ذلك الى ارادة بعض الامراء من العائلة الشريفة معللين ذلك لان بقاءهم في الامارة انما هو لاختضاعهم تلك القبائل فهم لا يريدون ان يكسروا شوكة القبائل بالمرّة حتى تجري فيهم الاحكام مثل غيرهم ويدخلون تحت قياد المذلة اذ ربما استغنت اذ ذاك الدولة عن الامراء الاشراف والحق ليس كذلك فان بعض هؤلاء الامراء قد اخضعوا جميع القبائل الى الاحكام حقيقة منذ عهد ليس يبعد زمن السلطان عبد المجيد وولاية المولى المقدس الامير الشريف عبدالله بن عون عند ما ساعدته الدولة وعملت برأيه وامتدته بالعساكر مثل ما اراد والباعث الحقيقي على اهلهم هو عدم مساعدة الدولة للامراء على اخضاعهم متعللاً رجالها في الظاهر باحترام هاتيك البقاع الكريمة ومراعاة مجاوريتها وسلاطين آل عثمان احترامهم وتعظيمهم لشعائر الدين وتوقيره شنشنة معروفة قديماً وحديثاً ولذلك يوافقون على مثل تلك النصيحة على انها ربما كان باطنها غير ذلك وهو عدم استفادة اولئك الرجال من انقياد تلك القبائل لانهم وان خضعوا حق الخضوع فلا مساع لضرب شيء من الضرائب عليهم لا سرّاً ولا جهراً فتكون فائدة خضوعهم راجعة لسيادة الامير وحده من نفاذ احكامه واوامره فيها فيظهر اولئك الرجال النصيحة الى السلاطين على نحو ما قدمناه مع ان اخضاعهم واجب شرعاً لامن السبل وحفظ الحجاج من التعدي واقبال تلك القبائل على عمران اراضيهم لانهم الآن زيادة عن عدم دفعهم للدولة ولا للامير حتى اعشار ابلهم فهم يأخذون من الدولة

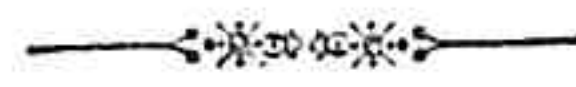
اموالاً في كل سنة بمجرد محافظتهم على امن السبل ولا يؤخذ منهم شيء من المال قل او جل غير انه قد كان في اواسط القرن الثالث عشر رجل من قبيلة حرب يسمى الشيخ سعد قد تقوى بدهائه على اتحاد جميع قبائمه وعظمت شوكته بانقياد غيرهم من القبائل ايضاً ولم يخضع الى الحكومة قط الا انه اذا اخذ المراتب التي اشربنا اليها امن طريق الحاج الى المدينة وعند ما تسافر القوافل اليها يعد جمال كل قافلة ويأخذ على كل جمل نصف ريال اي اثنين فرنك ونصف ضريبة منه على اصحاب الابل وبعد موته وخضوع ابنه وانقياد القبائل نوعاً ما اقلت تلك الضريبة على اصحاب الابل عند ما يكترونها الى الحجاج وليس للدولة غير ما مر ذكره من انواع المداخل الا انواع من الضرائب الخفية اكثرها يستفيدة افراد من المتوظفين لانفسهم مما يؤخذ على الحجاج بأسماء سموها كضريبة على تنظيف مني في العيد من الضحايا وغيرها مما لا يصرخ منه في الحقيقة الا نزر يسير في الجهات التي يذكرون الصرف لاجلها وكل المصاريف اللازمة لكل من الحرمين سواء كانت الوظائف الدينية او السياسية او شعائر المسجدين او اقامة المواسم كله تصرفه الدولة من خزانتها وهو مقدار يبلغ نحو مليونين ونصف فرنك لان الاقامة بخصوص شعائر المسجدين الشريفين مبالغ في اقامتها ولا اقول على حسب الاستحقاق لان حقها لا يبلغ اليه ولو يبدل النفس والنفس . ومن المعلوم ان الشريعة المطهرة كان منبعها تلك الاماكن المكرمة وقد اجريت فيها الشريعة حق الاجراء واستقر الامن في سائر جزيرة العرب وكانت القبائل تؤدى الى بيت المال الاسلامي ما اوجبه الشرع على كل مسلم فكيف يغير ذلك الآن حتى يتجرؤوا على ابدال حرم الله بعد الامن بالخيفة والالتيان بما يسود منه الوجه يوم القيامة وتنقل به في الذنوب الصغيرة مع ان حملها على الاستقامة امر سهل يسير

وما اجدر هاتيك الاماكن الشريفة بالمحافظة فيها على ادارة تحافظ على السنة واعمال الخلفاء الراشدين الذي هو الامر الوحيد في جلب قلوب سائر المؤمنين الى الدولة التي تجري ذلك فضلاً عن خصوص اهالي الحجاز ولا ريب ان ذلك يرسخ قدم الدولة وتستغني عن الاحتراسات الناشئة عن الدسائس في رمي بعض ذوي الامر بمعاودة بعض الدول الاجنبية لتطلب الخلافة او الاستقلال نسأل الله اصلاح الحال



مطلب في السياسة الخارجية

اعلم ان الحجاز مرتاح والله الحمد من امر السياسات الخارجية اذ ليس في دواخله ومدنه ما عدى جده وينبع اجانب ولا يدخله الا المسلمون وليس لواحد الادعاء بحماية احدى الدول الاجنبية وكل من دخل فهو خاضع لاحكام البلاد ولا ريب ان المسلمين يحجبون في كل عام من جميع آفاق الارض وعلى الكثير منهم استيلاء الدول الاجنبية التي يبلغ عددها في هذا الوقت الى ثلاثة عشرة دولة منها القوي ومنها الضعيف ومنها المنصف ومنها المعتسف ومع ذلك كله ليس لم ادى تداخل او تكلم فيما يتعلق برعاياهم المسلمين هناك والله يدبر ستره الجميل نعم ان جده يوجد بها فواصل كثير من الدول الاجنبية الذين لم عناية او عاقله بالمشرق ولم تجار افرنج في تلك المرسى وكذلك بعض الدول الاجنبية الذين ليس لهم هناك شيء يذكر تجد لكثير منهم فواصل يستولون تلك الوظيفة برغبة منهم للدولة الموظفة لمجرد النخر لهم من غير داع ولا مرتب وعلى كل حال فسياسة اولئك الفواصل منعقة بالدولة العثمانية اما بواسطة واليها هناك او بواسطة سفرائهم في تحت السلطنة فالسياسة الخارجية حينئذ في خصوص جده تابعة لسياسة الدولة العثمانية التي سيأتي الكلام عليها في محله ان شاء الله تعالى



مطلب في عوائد وصفات الاهالي

اعلم ان البلدين الاكرمين سكانها الآن اغلبهم من غير العرب الاصليين فان المدينة لا يوجد بها الا العائلة الشريفة حقيقة من العرب وقد كنت رأيت رجلاً واحداً من ذرية العباسيين قميماً في ضريح عمهم سيدنا حمزة ولم يبق من الانصار هناك الا بقية عائلة واحدة وبقية سكانها كلهم من الآفاق واكثرهم مغاربة واما مكة فلا يوجد بها من العرب المحققين الا عائلة السادة الاشراف وعائلة الشيباني والبقية كلهم من الآفاق واكثرهم حنود ولا يخفى ان العوائد والصفات تغلب على السكان باعتبار اصلهم غير انه لا بد ان تحدث فيهم تغيرات تناسب حالة السكان الاصليين فأخلاق هذين البلدين على الاجمال مناسبة لآخلاق العرب غير ان اهالي مكة تعزري اخلاقهم الحدة بخلاف اهالي المدينة فانهم ليني الاخلاق كرام الطباع ويغلب على الجميع الحشمة والحياء وسلامهم بالمصاحفة او الاشارة باليد ويقفون لكل داخل ولو تكرر دخوله واهالي المدينة اشد حرية في الطباع

وعدم المذلة والتمكن في اخلاق الرجولية والجلد فيركبون الخيل ويسافرون الى الحج ركوباً على الهجين من غير تحوت مع السير الخثيث مع التمكن في معرفة الرماية والفروسية ولكل منهم سلاح مستوفر . واما الملاهي فلا يلتفتون اليها ولا وجود لها كما هو الواجب سيما في تلك الاماكن نعم قد وجد من بعض الوافدين تساهل وتجري على استعمال الخمر وآلات السماع سرّاً وكاد ان يكون من بعضهم جبرياً سيما من بعض اجلاف العساكر او المتوظفين الذين لا يخافون الله ومن المعلوم ان الفساد ملائم لطباع البشر فيسرع فيه التقليد لكنهم مع ذلك لا يزال الامر بحمد الله مستوراً فلا تجرد المحارم متجاهراً بها ولا ترى حانة لخمار او داراً معينة للفسوق وان وجد شيء فانما يكون في بيت صاحبه في الستر . وعلى قرب من هذا المنحى اهالي جدة . واما بقية البلدان فهم على اخلاق بقية السكان من قبائل العرب الذين لم تبق فيهم من الاخلاق العربية التي قال فيها صلى الله عليه وسلم (بعثت لاتم مكارم الاخلاق) الا القليل وعاد اليهم التفاخر بالنظام وهجوم القوي على الضعيف فلا تجرد الامن مستقرّاً الا قليلاً الا انهم بقي فيهم حفظ الزمار وتوقير الصغير الى الكبير فاذا جعل الرجل من بيتوتاتهم يده على ذنبه كناية عن حفظ ذمة المستجير به فانه يوفي بعهد ولو حمله ذلك على الحرب وهلك فيها هو وقبيلته هذا غاية ما يمكن ان يذكر لم من الصفات الحميدة مع اكرام الضيف واطعام الطعام . واما بقية الاخلاق السابقة العربية فكادت ان لا يوجد منها شيء كجودة القرية والدعاء في الامور ومعرفة احوال العالم فمن عجيب ما شاهدته من السذاجة في بعضهم وبله ان كان احد الجمالين ماشياً بقرب مني في طريق المدينة المنورة على صاحبها افضل الصلاة والسلام وعلى آله وهو كل يخاطب شاباً في حساب بينهما فقال له الشاب سبعة وعشرون مع سبع كم هو فقال له الكمل هيه فأعاد عليه السؤال فأجابه بالجواب الاول ثم اعاد ذلك ثالثاً ايضاً فقال حينئذ الشاب هي سبعة وعشرون فقال له صاحبه هيه ايضاً وانفصلوا على ان ذلك هو الحساب وعلى ذلك فقس فلا تكاد تجد من عامتهم من يصلح للخطاب في البديهيّات وانما لخواصهم بعض من الآداب التي يفقه بها الضروريات غير ان حفظ الحريم والبنات من صغرهن فاهم فيه مبالغة كلية بحيث لا يمكن ان ير الرائي امرأة ولو معتجرة وما اصبر نساءهم على الجلد في التخدر فقد كان رئيس الجمالين في قافلتنا استصحب معه عياله من مكة الى بلد الجديدة وكان مردفاً لها على جمل له فكانت من ساعة ظهورها الى ساعة دخولها لبيتها التي هي مدة تنيف عن ستة ايام وهي ملتجة

بعاءة ثخينة من الصوف سوداء لا يظهر منها مقدار ظفر ولو من اصابع رجلها فضلاً عن يديها او وجهها ليلاً ونهاراً لا تفارق حوية البعير وعلى هذا النمط النسوة في المدن فلم أر بالمدينة امرأة قط . واما مكة فكان بعض نساءها يخرجن لاداء مناسك الحج لكنهن في غاية التستر بحيث لا يظهر منهن شيء وعادتهن في الجميع ان لا يخرجن الا ليلاً مع شدة النستر بالخمار والحاف وان اضطررن للخروج نهاراً فلا يمرن بالاسواق ولا بالطرقات الكثيرة المرور وتوجد قبيلة تسكن في عوالي المدينة اي خارجها بقرب من فنائها يسمون المخولة وهاتئ القبيلة اصلها من قوم قد تفرقوا في آفاق الارض وهم في كل قطر مستقلون بأنفسهم لا يداخلون احداً ولا يخالطون الناس الا في ضرورة البيع والشراء ولهم في كل قطر لقب بحسب عرف اهله فيقال لهم في بلاد الترك شنكانة وفي تونس جمازية ويتبعون في كل جهة الصنائع الخسيسة مثل اصلاح اواني النحاس وصفائح الخيل وقد اتخذوا في جهة المدينة صناعة خسيسة ايضاً وتقدمون بمذهب الشيعة على دعواهم ويستحلون نكاح المتعة فاذا قدم بعض حجاج الفرس من يرى مذهبهم يأوي الى يوتهم لقضاء الوطر بنكاح المتعة وامرهم في ذلك شهير وليس عليه تكبير والامر لله الذي اليه المصير

مطلب في التجارة بالحجاز

اعلم ان بلد جدة هي مرسى تجارية عظيمة لانها مركز للبضائع الهندية وغيرها من البضائع في الاقطار الشرقية ومنها يرسل بقية المالك الاسلامية التي تجارها مسلمون وكذلك كثير من البلاد الاورباوية كما ان البضائع الاورباوية والبضائع الغربية من بلاد المسلمين وكذلك بلاد الترك ومصر والشام يوتى بها الى هناك وترسل الى الهند وغيرها من الاقطار الشرقية فبذلك كانت جدة مرسى تجارية كبرى فضلاً عما يدخل منها الى جزيرة العرب على طريق البر سواء كان للحجاز او لغیره من بقية الاقطار ومركز تجارة جزيرة العرب هي مكة المشرفة فتأتيها البضائع من جدة وتوزع منها على القوافل الى سائر جهات جزيرة العرب الا ما قرب من الجزيرة الى جهات اليمن التي بها مراسي تجارية مثل الحديدة وقليل ما هي فكانت مكة حينئذ هي المعتبرة لتجارة العرب والتجار المعتبرون فيها اغلبهم هنود واما جدة فتجارها من اجناس مختلفة وفي اسواق كل من هذين البلدين تقاسم حسنة تجعل لكل

صنف من التجار جهة مخصوصة وتجارتهم غنية جداً واما المدينة المنورة فالتجارة فيها مقصورة على اهلها غالباً فيؤتى اليها بالبضائع المحتاج اليها فيها وتباع لاهلها والقبائل تحمل البضائع على قوافلهم الى مراكز القبائل والى جيات جزيرة العرب مع الامان على البضائع التي يحملونها فالقافلة لها رئيس يكون ذا ثروة وله كفال اغنياء في الجيات التي يذهب اليها ويحمل منها فتسلم اليه البضائع والمكاتيب البريدية ويبلغها بامان الى اصحابها وان حصل ضياع لشيء منها ولو بتعدي بعض القبائل بالاغارة فكفلاؤه يؤدون لاصحاب البضائع جميع ما يضيع لهم ومن اهم انواع التجارة التجارة في المأكولات من الحبوب كالقمح والشعير وقد علمت ان البريد موكول الى هولاء القوافل التجارية فامرته غير منتظم كما انه غير محتاج اليه في اغلب تلك الجيات غير انه يوجد بين مكة وجدة بريداً منتظماً يومياً صباحاً ومساءً يحمل على الحمير السيارة فيصل في نحو تسع ساعات كما انه يوجد في مكة مركز للتلغراف اي السلك الكهربائي ويصل الى جدة ومنها يتصل بجميع العالم كما انه يوجد بريد منتظم في كل شهر مرة بين مكة والمدينة الا ان يكون امراً مستعجلاً فيرسل مع سيار مخصوص وهذا البريد كله ما عدا اصحاب القوافل مرتب من الحكومة والمباشرون له من قبائل الاعراب الساكنون في اماكن مروره وفي كل سنة في موسم الحج تروج التجارة في مكة لان اغلب الحجاج يشترون منها البضائع التي لا تعلم في بلادهم مما على وجه التجارة فيها وهو القليل او على وجه الاهداء الى اقاربهم واحبائهم وكذلك تروج التجارة بالمدينة المنورة لان سكانها يأتهم في ذلك الوقت واردهم المالي اما من اموالهم في بلدانهم او من الهدايا التي ترسل من الآفاق او من الاوقاف والارصادات المعينة لذلك في بعض الجيات وهاتيك الجيات هي الدولة العثمانية وهي الركن في ذلك لانها ترسل في كل عام للقيام بشعائر الحرمين الشريفين ولمرتبات المجاورين واهل الوظائف ما يبلغ مقداره سنوياً نحو المائة الف ليرة اي مليونين ونصف فرنك وكذلك الحكومة المصرية ترسل كل عام احدى وعشرين الف اردب من القمح مع اموال عينية يبلغ مقدار جميعها الى نحو العشرين الف ليرة اي نحو خمسمائة الف فرنك فضلاً عن قيامها بمدرستين كل منهما في احدى الحرمين لها اوقاف مخصوصة بمصر يرسل منها قدر كفاية القائمين هناك في كل عام وكذلك القطار التونسي يرسل من اوقافه المعينة على الحرمين الفين ليرة في كل سنة لكل حرم الف اي خمسة وعشرين الف فرنك فاهالي المدينة اذا فرقت عليهم تلك الاموال يدفعون منها ما كان عليهم من ديون ترتبت عليهم في ضروريات اشتروها

نسيئة ثم يشترون كفايتهم للسنة القابلة اكلاً ولبساً وان فضل شيء بعد ذلك ادخروه لبقية السنة فلذلك يحصل في ذلك الوقت رواج للتجارة وهذا بالنسبة لغير ذوي الثروة منهم اما هولاء فهم على نسق غيرهم من ذوي الثروة وكذلك بعض قبائل الاعراب المقيمين بين الحرمين لهم نصيب مما ترسله الدولة والحكومة المصرية فيحصل منهم ايضاً رواج في التجارة بما يشترونه من ضرورياتهم والحاصل ان التجارة المعتبرة مركزها هو جدة ادامها الله بلد اسلام

مطلب في الصنائع

لا يخفى ان الصنائع شعبة من شعب التمدن فتكثر وتقل على حسب ما في المكان التي هي به من التمدن وحيث تطاول زمن بعد الخلافة عن الحجاز وتكثر بعد عيدها فيه المخرج وقل العمران وتغيّرت طباع العرب السكان على حسب ما اشرنا اليه فلم يكن الآن بالحجاز الا الصنائع الضرورية وبعض الحاجة فاما الفلاحة فكادت ان تنعدم الى ان صار اهل الحجاز عيال في قوتهم جميعه على ما يرد اليهم من خارج بلادهم الا ما ندر والمسافر في تلك الاقطار لا يرى من الزراعة الا نزر يسير حول بعض البلدان لا يسد من عوز مع ان عشر ما حول المدينة وحدها قد كانت في خلافة سيدنا عمر يبلغ الى اربعمائة الف اردب من الشعير وحده فضلاً عن بقية الجيات ولو جمع الآن حاصل جميع ما بالحجاز لما بلغ الى عشر المعشار من ذلك المقدار وعلى نسبة من ذلك امر زراعة الاشجار فانه يوجد بالطائف بساتين بها كثير من انواع الشجر الليمون والمان والعنب وغيرها من النواكه المتعارفة كثيراً وغير هاتيك البلد لا يوجد بها الا بعض شجيرات من تلك الانواع لا تستحق الذكر وان كان حول المدينة بعض من البساتين لكنها ليست على ما ينبغي الا النخيل فيوجد بها كثيراً كما يوجد بجيات اخرى حول المدن والقرى وفيه انواع كثيرة جداً من انواع التمر منها الحسن للغاية ومنها دون ذلك وفيه بعض تجارة سيما في موسم الحج لشراء الزائرين للتمر وحمله الى آفاقهم كل على قدر سعة حاله تبركاً بذلك واما البقول فكادت ان لا يوجد منها الا النادر كالبلبل وما شاكله من البقول المتعارفة الشهيرة وكذلك الازهار واما بقية الصنائع فيوجد منها البناية والخياطة والتجارة وبعض صنائع اخرى من الحاجيات كالسروج وحوايا الابل وغيرها مما يحتاج

اليه أكيداً من غير تحسين والسبب في هذا الانحطاط في كل من الفلاحة وبقية الصنائع هو اعتماد السكان اعني اغلبهم على المرتبات والجرايات من الدولة والاقواف وتحويل الاعراب على مثل ذلك ايضاً لان الدولة جاعلة للقبائل جرايات سنوية من مال وحبوب للقوت ليقوموا بحفظ امن الطرق ومن الطبيعي ميل الانفس الى ما يرد بلا تعب فصاروا حينئذ عيالاً على تلك الواردات ونشأ عن ذلك اعتساف الاعراب بقطعهم للطرق وتعديهم على قوافل الحجاج اذا تأخر عنهم ذلك المرتب او شيء منه حتى ان بعض المتوظفين الذين لهم يد في توزيع ذلك المال ربما تساهل في تنقيص شيء باولئك الاعراب من مرتباتهم فيثورون ويعثون في الارض بالفساد ونشأ عن ذلك قلة الامن في جميع الجهات حتى ان المدينة المنورة على صاحبها وآله افضل الصلاة والسلام كثيراً ما تبقى محصورة ويدافع عن اسوارها وابوابها من حصونها بالمدافع والطرق منقطعة عنها وتتضايق اهلها لقلة القوت والحبوب ويتناول الاعراب على ما حولها من البساتين بالتخريب والفساد فاذا كان هذا حال المدينة فما بالك بغيرها الا القرى التي هي لنفس القبائل مملاً لا يزرع حوله الا النخيل فلذلك ضعف الامن وقل العمران وجدبت الارض مع انها صالحة للزراعة وفيها عيون كثيرة احدها المتقدمون في عصر الخلافة وما قرب منه وقد شاهدت في كل من بلدي الصفرا والجديدة عيناً غزيرة الماء عرضها ازيد من ذراع ونصف وعمقها ازيد من ثلاثة اذرع جارية في غاية العذوبة غير ان ماءها حار فاذا رفع في الاواني برد وصلاح للشرب وهو صالح جداً للزراعة لكنه الآن ليس عليه الا بعض نخيلات وبقية يسبح على الارض الى ان يغور فيها وقد ذكر في خلاصة الوفاء في اخبار دار المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم عيوناً وآباراً كثيرة على ذلك النحو لم يبق الآن منها منتفعاً به سوى ما ذكرناه وكذلك الغابات والآجام التي بقرب المدينة وغيرها كلها ذات اشجار مثمرة وغير مثمرة صالحة لاخذ الاخشاب للبناء وهي الآن مهملة ولا ينتفع اهالي البلدان الا برفاق شجر النخل مملاً حولهم وبقية الخشب يؤتى به اليهم من الهند وغيره مع انه حولهم مبدول والمانع من الوصول اليه عدم الامن والجهل بكيفية القطع هذا فضلاً عن الاراضي الخصبة الوسيعة الصالحة للزراعة واما بقية النباتات فقد كان سيدنا عمر رضي الله عنه حياً في وادي القرى جهة تكفي اربعين الفاً من الخيل المسبلة للرعي فيها ثم زاد بعده سيدنا عثمان ومن بعده الى اضعاف ذلك المقدار فيما اسفا على الخوف في بلاد الامن وتلك العوائد وان كان القصد منها حسنة فقد آلت الى سيئها اذ لو انقطع عنهم ذلك المدد

ومن تجراً على السبل عوقب وأقيمت الشريعة حق القيام لاقبل السكان على العمران وكفى الله المؤمنين غوائل الطغيان وما الله بغافل عما يعملون



مطلب في المعارف

من البديهي ان الذي ذكرناه في الصنائع من جهة الرواج والكساد هو اساس ايضاً في المعارف فالمعارف الآن بالحجاز على غاية من الخمول وما يوجد منها انما هو محصور ومقصور على خصوص البلدين المكرمين فيوجد في كل منها بعض دروس في المسجدين المحترمين في بعض العلوم الدينية وبعض وسائلها فيوجد من الوسائل قليل من دروس النحو والمعاني ومن المقاصد بعض دروس في التفسير والحديث والنقح على اختلاف مذاهبه وان يكن يوجد بكل من البلدين الاكرمين علماء اجلة لكنهم نبغوا في اقطار أخرى ثم جاؤوا الآن هناك الا ما ندر من بعض الاهالي الذين تلقوا العلم هناك من العلماء الوافدين من الاقطار على احوال خصوصية غير منتظمة ولا مفيدة للعموم وفي هاتئ المدة الاخيرة أنشأ بعض الهنود ذوي التوفيق بواسطة العالم الجليل الشيخ رحمة الله مؤلف كتاب اظهار الحق مدرسة بمكة المشرفة يقرأ بها الشيخ المذكور ومن معه من العلماء المجاورين بعض دروس في الهيئة والجغرافيا والطب وبعض علوم اخرى رياضية وعلم التصوف ايضاً وبما ذكرناه بلغ السكان لاسيما الاعراب الى درجة عالية في الجهل وفساد الاخلاق غير ان لطف الله حف بما حدث منذ مدة قريبة من انتشار طريقة الشيخ السنوسي الذي كنا ذكرناه عند ذكرنا لرجوعي من فرانس لان هذا الشيخ كان استقر بمكة المشرفة وأنشأ في جبل ابي قبيس زاوية نشر فيها طريقته فأنبثت في قبائل اولئك الاعراب حتى كادت ان لا توجد قبيلة الا وفيها زاوية وشيخ يرشد الى الطريق فحصل في القبائل نوع من معرفة اصول الديانة الاسلامية والفروض العينية والمحرمات الذاتية ودب في هؤلاء شيء من صلاح الحال وان لم يكبحهم عن التعدي على عباد الله القاصدين لاحد الحرمين فيا اسفا على اهمال المعارف وضاعفها في مكان ينبوع الحكمة وظهورها ولولا وجود افراد من اطباء الدولة الذين ترسلهم لاحد البلدين الاكرمين او البعض من الهنود العارفين بالطب على الطريقة القديمة لكن معرفتهم لذلك عن علم وتدريس للكتب على طريقة اخذ العلم حقيقة فلم باع حسن في علاج الامراض ولولا هؤلاء لحرمت السكنى في البلد التي

يفترض على عموم الامة تعميرها فان ابا حنيفة وغيره من الائمة يقولون بحرمة سكنى البلاد التي لا طيب بها وكل من المدينة المنورة ومكة المشرفة يفترض حمايتها فكيف يسوغ اهلها بأمر المعارف واهلها حتى تخلو من طيب لولا أولئك وانما قلت في اطباء الهند انهم عالمون بالطب على الطريقة العلمية احتراساً من المدجلين ممن يدعي هذا العلم مع جهله المطبق به المتكاثر ظهورهم بالبلدان التي لا تثني حكوماتها لمنهم من ذلك التدجيل لانهم يضرون بجهلهم وقد شاهدت ذلك في نفس مكة عياناً حيث كنت مريضاً بابهام رجلي اليمنى حيث انقلب الظفر تدريجاً وغاص في اللحم واشتد امره حتى كاد يمنعني عن المشي وكان حصل لي مثل ذلك وانا بباريس فجيء لي بطبيب خاص بذلك النوع من الامراض وعالجني برفع الظفر بالآلات وكيفية في عملها لم يحصل لي منها شدة ألم وجعل تحت ظفري ورقة من الرصاص صفيقة لكيلا يغوص ثانياً وقطع الظفر الى محل التصاقه باللحم وعافاني الله بسبب ذلك فلما كنت بمكة وعادني مثل ما وقع سابقاً وذكرت لبعض الحاضرين عندي ما كان وقع اخبرني بانهم يوجد حكميم يفعل مثل ذلك فجيء به الي وكنت محترساً منه لكنني رايت معه آلات للقطع وغيره كثيرة متقنة وابتدأ في العمل من غير كثرة ألم فظننت انه عن علم فلم يفعل الا قطع الظفر لكن عقبه ألم كدت معه ان لا استطيع المشي لولا لطف الله لانه اراد الزيادة في القطع بعد ذلك فامتنعت لانه ليس له من العلم شيء سوى كونه حلاقاً حجاماً تعود على فصد بعض الناس فامثال هذا يمتنعون شرعاً عن مباشرة اعمالهم

ولكن البلاد اذا اقشعرت وصوح نبتها رعى المشيم

فاذا خلت البلاد عن حكماء عارفين بعلم الطب يضطر الناس الى هؤلاء الدجالين والحق ان امر المعارف مع كونه واجباً في كل صقع وبلاد فهو في الحرمين اشد تأكيداً وانا لله وانا اليه راجعون

مطلب في الاحكام

قد علمت مما مر في بحث السياسة الداخلية الأصول التي تجري عليها الاحكام وحاصلها ان سيادة الشريف امير الحجاز هو مرجع الحكم في قضايا الوقائع التي تقع بين القبائل وهو ايضا مرجع الشكايا من مظالمهم فيحذر رؤسائهم ومشايخهم بأمرهم بما يراه

وينفذ الحكم في الظالم بحسب اجتهاده هكذا الاصل ولكنهم الآن مستبدون بامورهم كل قبيلة لا تخضع الا لمشايخها ورؤسائها مما يذكر في زمن الفترة وكل يحكم باجتهاده واستبداده ولو في القصاص في الانفس واذا تعدت قبيلة على أخرى كان الامر لمن هو اقوى فطاعتهم الآن لسيادة الامير انما هي ظاهرية وهو وان استطاع على اخضاعهم ولو بدون عساكر الدولة بل بمن ينضم اليه من بقية القبائل لكنه لا يقدر على تنفيذ ذلك لما مر في احوال السياسة الداخلية كما يرجع الى سيادة الامير فصل المظالم في اهل مكة والوالي هو الذي يجلس الى فصل المظالم فيما يقع بين السكان في مكة ايضا فكانها مشتركة بين الامير والوالي لكن الوالي ينفرد بسائر مظالم جدة. والمدينة المنورة يجلس فيها المحافظ في مثل ما ذكرناه وفي كل بلد حاكم يلتب فائقام يجري ما ذكر ايضا في المسائل الخفيفة والمسائل الثقيلة ترفع الى الوالي بمكة او الى سيادة الشريف الامير والقبائل كلها مشايخها هم مرجع الحكم في سائر القضايا ثم ان كلاً من البلدين الاكرمين بها قاض هو مرجع الحكم في كافة النوازل الشخصية يجريها بقضى الشريعة وفي كل من البلدين مفت حنفي يسترجع الخصوم في احكام القاضي لكن القاضي ليس ملزوماً باتباع فتواه بل لا يجري الا ما يراه وان كان جاهلاً والمنفي عالماً ولا يخضع القاضي الا لاوامر باب مشيخة الاسلام في تحت السلطنة ان اقتدر الخصم الى البلوغ اليه ولا يخفى ما في ذلك من المشقة لبعد الشقة كما يوجد في كل من البلدين الاكرمين مخسب له النظر في امر المعاشات وقيم البيوعات وغش البائعين وخسران الكيل والميزان ويحكم في ذلك كله بما يراه من الاجتهاد ولو بالضرب المبرح كما يوجد بهما مفات أخر على بعض المذاهب الاخر يرجع اليهم اهالي ذلك المذهب في الاحوال الشخصية ويفتونها بحسب مذاهبهم وهؤلاء المفتيون كلهم يولون بأمر من الدولة العثمانية

واما بقية البلدان فجدة بها قاض يولى مثل السابقين وغيرها من البلدان يولى فيها نائب عن القاضي يعينه قاضي مكة لاجراء الاحكام الشرعية في البلد التي هو بها وبقية الادارات والاحكام ترجع الى القاءقام او الشيخ وهو الذي يحكم بما يريد. والحاصل ان ادارة الاحكام بالحجاز لا زالت الى الآن على شبه من النمط القديم اعني انها ليس بها مجالس للاحكام العرفية وغيرها من القوانين الجارية بالممالك العثمانية الآن وباليات الامر يجري حقيقة على المنهج الذي سلكه الخلفاء الراشدون كيف وهو مكان ظهور الشريعة واقامة العدل وتأسيس التمدن الحقيقي الصالح لاستقامة الدنيا والآخرة والامر لله وحده لارب سواه

مطلب في هيئة المساكن

المساكن بالحجاز تختلف بين حالها بالمدن وحالها بالقرى فاما المدن فالديار بها هي شبيهة بالنوع الذي ذكرناه في مصر غير انها في مكة تكثر طبقاتها حتى انها ربما بلغت الى الست طبقات كل منها مستكمل اللوازم لا يحتاج الى غيره في السكنى والطبقة الارضية لا يعتنى بها للسكنى وانما هي للرفاق وجلس الرجال بخلاف المدينة المنورة فان دورها كل منها بها طبقة ارضية يسكن فيها في الصيف لانها ابرد من العلوية غير ان المبيت بكل منهما يكون غالباً في الصيف في السطوح التي يجعل لها حرم كاف لوقاية السكان من السقوط والابنية كلها لا تجصص حيطانها الا في بعض الديار الحسنة لاهل الثروة فانها تجصص وتبيض حيطانها وتدهن سقفها التي تجعل من عيدان النخل ويجعل عليها من اسفل ألواح لاصقة منظمة ويعلق فيها ثريات. واما بقية الديار وسائر الابنية فان الحيطان يسد فيها ما بين الاحجار بطين البناء المركب من الجير والطين ثم تبيض بماء الجير والسقوف تكون من عيدان النخل مكشوفة للرأي وفوقها حصير من انواع الخلفا وفوقه التراب وليس في الحجرات بلاط ولا غيره بل الارض تكون تراباً عليها الحصر او الزرابي (الابسطة) الا المدينة المنورة فان الطبقة الارضية مبلطة بأنواع من الاحجار الشبيهة بالمرمر والدرج في كل غير محسنه متعبة الا نادراً وديار مكة لا سيما المعدة للاجرة كل طبقة منها لا يوجد فيها مطبخ وانما يطبخ اهلها باحدى حجراتها بالفحم او الحطب نادراً لاحضار مياه الاغسل في الشتاء واما في الصيف فلا يسخنون الماء للاستغناء عنه ولهذا لا يوجد في كل من مكة والمدينة الا حمامان بكل منهما لان السكان يغتسلون في ديارهم غالباً وهكذا بقية البلدان ليس بها حمامات ومفروشات الديار على النحو الذي هو جار بمصر وغيرها من التشبه بالمفروشات التركية والاورباوية ومن غريب صناعتهم المغاليق التي تقفل بها الابواب فان المفاتيح نحو عود مستطيل في آخره اسنان تدخل في ثقب في المغلاق وترفع الى فوق ويجذب المغلاق بعجلة اذ ذاك فينفتح ولا ريب انه سهل السرقة اذ تقليد المفاتيح على ذلك النحو يسير لكن الامر الفظيع هو ان تلك المغاليق على شكل الصليب وقد رأيت على باب الحجرة النبوية مغلاقاً من تلك المغاليق وهو من ذهب نقش من رؤيته الجلود وقد خاطبت من يقتدر على تغييره فتعلل بان ذاك لا يخطر على فكر احد من الاهالي لجهلهم الصليب وبقي الحال على ما هو والله الامر

هذا في المدن واما في بقية البلاد الاخرى فكل دار تؤلف من طبقة واحدة الا نادراً من طبقتين وهي في الحقيقة بيوت لا ديار والفرق بين الدار والبيت ان الدار هي المسكن الذي يشتمل على جميع المرافق المحتاج اليها وابواب حجراته الى فسحة تكون في وسطها غالباً مكشوفة الى السماء واما البيت فهي التي مثل ما ذكر غير انها لا فسحة بها مكشوفة اعني الفسحة التي فيها ابواب الحجرات وهذا هو الفرق اللغوي وان كان الاستعمال مختلف بحسب الاصطلاح في البلدان فالحجاز ومصر مثلاً يطلقون على الكل بيوت وتونس والمغرب يطلقون على الكل ديار وهاتيك البيوت في القرى الحجازية مظلمة غالباً اذ لا يجعل لها شبابيك على الطرقات وليس بها فسحة مكشوفة فغاية الامر ان يجعل للحجرات منافذ للضوء بقرب السقوف احتراساً من كشف النساء لانهم يشددون بحجبهم كما تقدم سابقاً فتلك البيوت شبيهة بالغيران ولا تبيض بالجير الا نادراً ما عدا سطوحها التي هي على نحو سطوح المدن من الاتقان في تجصيصها لكيلا تخترقها الامطار فتكاد هاتو القرى ان لا تبين للناظرين الا اذا بلغوها خصوصاً التي هي في مرتفعات الجبال السود فانها لا تكاد تبين والحاصل ان الابنية على العموم نسبتها للتمدن كنسبة بقية الصنائع التي مر ذكرها في مطلبها غير انه يوجد في صناعة التجارة القان للرواشن وبعض الابواب والشبابيك على العموم اي الطواقي المطلية على الطرقات او غيرها لا يوجد بها زجاج يمنع دخول الريح الا نادراً في بعض الديار المترفة اهلها ومن الغريب ان ترى البيوت مفروشة بالزرابي في مدة الصيف مع شدة الحر هناك فهم في الحقيقة غير مستعدين للتوقي منه الا اهل المدينة فانهم معدون الطبقات السفلى لذلك فيجعلون فيها بيتاً رحباً له جهتان يبنى ويسرى مرتفعتا الارض عن الوسط الذي به حوض الماء غالباً وسقفة مكشوفة الى السماء يجذب منه الهواء الى اسفل ويكون الماء جارياً الى ذلك الحوض ويجلس السكان باحدى الجهتين التي يجعل بها مساطب واراتك وكل تلك الطبقة مبلطة بنحو الرخام كما ذكرنا سابقاً وذلك مناسب لشدة الحر على خلاف من اهل مكة وغيرهم الذين ليس لهم مثل ذلك واما الطرقات على العموم بالبلدان وغيرها فهي طبيعية ليس بها تحمين ولا صناعة وغاية الامر انها تكتس في المدن فهي نظيفة واغلبها ضيق حتى يكاد ان لا يمشي ببعضها الا انسان واحد مع ان اصل الشريعة على خلاف ذلك * فان سيدنا عمر رضي الله عنه لما استشير في بناء بلد للصحابه والجيش الذي فتح الفرس لما استوخموا ارض فارس وامرهم باختيار ارض تشبه ارض العرب فاخاروا الكوفة فامرهم ببناء بلد بها وان تكون دورها لا تتجاوز الطبقتين

وان تكون طرقها العامة كل منها ثلاثة عشر ذراعاً والطرق الخاصة سبعة اذرع عرضاً والبطحاء التي تكون امام المسجد ستون ذراعاً في ستين وهذا هو الاصل الذي يستند اليه المذهب الحنفي في ذلك فانظر كيف كانت حالة البلدان في صدر الاسلام ويؤيد هذا ان بئر حا التي هي بستان كان لابي طلحة الانصاري رضي الله عنه قد كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم تجاه المسجد النبوي كما هو مذكور في صحيح البخاري رضي الله عنه فاني هو الآن من المسجد النبوي اذ بينهما الآن ابنية وديار وطرق واسوار وغير ذلك فيا اسف على وقوع مثل هذا التغيير المخالف للشريعة المكدر للمدني ومصالح الناس حقيقة فليس توسيع الطرق وتنظيفها من تقليد الافرنج كما يدعيه الجيلاء بل هو من شريعتنا التي تنوسي الالتفات لمثل ذلك فيها وحيث كانت الطرق على نحو ما مر ذكره يكثر فيها الوحل زمن المطر غير انها تنور ليلاً من قبل الحكومة بنوايس من القصدير والزجاج تعلق في الحيطان او سقوف الاسواق لان كل صناعة لها سوق يخصها وبعض هاته الاسواق بل اكثرها مسقوف بالالواح على نحو ما ذكرنا في اسواق تونس والحوانيت هيئتها ايضاً على ذلك النحو وليس للديار جنائين ولا بطحآت خاصة وانما ابوابها في الطريق تفتح الى سقائفها المختلفة كبراً وصغراً واما الطرقات خارج البلدان فهي على طبيعتها الاصلية واغلب الطرق بين مكة والمدينة صالحة لمشي العجلات وتمر فيها المدافع الآن وهي مثل العجلات وكذلك الطريق بين جدة ومكة فيا ليت شعري اي مانع لاستعمال العجلات في السفر هناك فاني لم أرَ إلا عجلة واحدة لوالي الحجاز بمكة وقالوا انه ليس بها غير هاورأيت بالمدينة عجلة قيل انها لركوب بعض المرضى هي اشبه شيء بعجلات حمل السلع ملقاة في الطريق وكأن امر الامن هو الاساس

مطلب في اللبس وبقية العادات

اما اللبس الرسمي فهو كاللبس بالدولة العثمانية الذي تقدم مثله في مصر وكذلك لبس الرجال هو مثل لبس اهل مصر والاعيان يلبسون جبة واسعة الاكام كعلماء مصر الا انها لها رقبة مرتفعة خصوصاً للسادة الاشراف ويجعلون على رؤوسهم كوفية مطرزة بالحرير على اشكال حسنة بدیعة تكون مكشوفة الوسط وعليها عمامة مكورة عظيمة يشدونها شداً محكماً جميلاً وهي بيضاء . واما الاشراف في القبائل فيجعلون على رؤوسهم

مندبلاً من الحرير ملوئاً وعليه عوض العمامة عقاب من وبر الابل مقصب بخيوط الفضة المذهبة ولكل واحد منهم مطلقاً في البلدان او القبائل خنجر يجعله في حزامه في وسطه من امام وكنها هي علامة الشرف مع لبسهم لعباءة يمانية او عراقية مقصبة بالذهب ونحوهم في هذا سائر الاعيان من القبائل وبقيتهم يلبسون عباءة على قميص ويتمنطقون على القميص بمنديل او غيره وكثير منهم يعلق على جنبه خنجرًا والكل يلبسون في الارجل النعال الحجازية ذات الشيطان التي تدخل بين الاصابع وتختلف جودة وورداة على حسب ثروة اللابس وربما تدثر بعض اهل البلدان بالجلباب ذات الفراء المعروفة بالكرك ولبس نسائهم سراويل من نسيج الحرير او المقصب بالذهب بحيث انهن يتنافسن في صنعه على حسب الثروة والمكان والزمان للابس ومثل السراويل فيما ذكر متان يفتح صدره ويفلق ذواكام ضيقة لا تبلغ المرفقين وفوق الجميع نحو عباءة من المنسوجات الثمينة مشقوقة الى السرة من اعلا بلا اكام واسعة جداً حتى انها تغطي اصابع الكف وان كان لها ثقب في محل الاكام تخرج منها الايدي وعلى رؤوسهن نحو المناديل من منسوجات صفيقة يحيطون باطرافها شريطاً مكعباً بخيوط الفضة او الحرير على حسب الاحوال وفي ارجلهم احذية من نوع البشامق التونسية واذا خرجن من البيوت زدن على ذلك خفاً من الجلد الاصفر مع رداء واسع جداً ذي اكام سائر للاصابع وخمار مسدل الى السرة مثقوب جبهة العينين ويلبسن ايضاً المنسوخ بانواعه كلها . واما الاكل فانهم يجلسون له على الارض ويوضع على الخيوان وهو مثل ما تقدم في اكل اهل مصر غير انه اكثر ادماً من السن واكثر ابهة والاعراب اكثر اكلهم الارز مع العدس ولا يأكل الجميع لحم البقر الا نادراً بحيث يستعير به الاعيان في المدن وياكلون الجمل بكثرة ويخرون الماء بالمصطكي او يعود القرنفل ثم يجعلونه في اواني ويضعونها في ممر الرياح لاكتساب البرودة

واما المواكب فأعظمها موكب الحج وقد تقدم الكلام عليه ولاهل مكة موكب يسمى الرجبية يسافر به ذوو اليسر الى زيارة النبي عليه وعلى آله اكل الصلاة وازكي السلام ويحصل من ذلك في المدينة المنورة موكب حافل في رجب وكثرة اسراف اهل مكة في حجبهم والتباهي بينهم فيما يفعلونه فيه يضطرب بعضهم الى تأخير فرضه الى ان يبلغ سن الشيخوخة خشية المعرة من كونه لم يفعل تلك العادات الاسرافية في الرحل والمركب والخيام والمأككل واما الاعراس فهي اقرب عندهم الى الطريقة المشروعة

من جهة عدم وجود المغنيات جبهة والملاهي الآ الدفوف وشي من غيرها مع حفظ
التستر في النساء ولاهل المدينة عادة وهي ان الرجل اذا تزوج يبكر ويدخل بها فلا يخرج
من بيته اسبوعاً تاماً الا انه يجتمع باحبائه في بيته وان خرج يوماً ولو للصلاة استاء اهل
المرأة لان ذلك دليل على انها غير مستحسنة عند زوجها واما الثيب فلا يعتبرون ذلك
فيها . واما المآثم فهي على الوجه المشروع من اكثر وجوها فلا عياط ولا زياط ولا
قراءة بالطرقات ولا ولائم من صاحب المآثم وانما ينعاون في ذلك ما هو المشروع في
السنة اجري الله احوالنا واحوالهم جميعاً على الوجوه المشروعة

مطلب في اللغة

لا يخفى ان الحجاز هو ميدان بلاغة العرب ومجال تسابق فرسان الكلام لكن ذلك
كله قد انعكس على ضده فلا تكاد تجد متكلماً باللغة العربية المعربة حيث دخلت العبارات
العجمية بين القوم منذ تغلب الاعجام على الدولة الاسلامية لان الناس على مذهب امرائهم
فيقلدون الغالب والقوي حتى في نحتهم وكلامهم وما كفى ذلك في ادخال المفردات العجمية
حتى سري الامر الى اللحن في الاعراب كما هو مقرر من قديم حيث ذكروا في سبب وضع
علم النحو سماع سيدنا علي عليه السلام للحن في الكلام فاشار بوضع ذلك العلم ومن
البدوي ان الامر يتفاقم بطول المدة وشدة الاسباب ففي ذلك الوقت لم يكن الا اختلاط
الامة باسم اخرى ثم ازداد بعد ذلك بتمكن الاعاجم من الدولة ففسدت اللغة في الحجاز
فساداً كلياً حتى لم يبق من يكتب كتابه مستقيمة في الاعراب والالفاظ الا

النادر ممن هم اهل علم وربما اضطروا الى كتابة كثير من

المفردات العجمية لشهرتها وتعارفها وهجران ما يراد بها

من اصل العربية وسجان مقلب

الاحوال وهو لا يتغير

ولا يزال

الباب العاشر

في المملكة العثمانية

(تنبيه) * لما كانت هاتو المملكة ليست كسائر الممالك التي مر الكلام عليها لا من
جهة الذات ولا من جهة المعنى اما الذات فانها مركبة من ممالك شتى كانت كل واحدة
منها مستقلة بنفسها ولا يزال كل منها له صفات خاصة من جهة جغرافيتها وجنسية اهله
وعوائدهم واخلاقهم وغير ذلك فيمتنع الكلام عليهم كلهم من هاتيك الجهات بصفة واحدة
وان تكلمنا على كل واحدة منها بانفرادها ربما عدل الكلام فيها جميع ما تقدم وما يأتي
في الممالك التي شاهدناها ولذلك راينا ان نتكلم عليها من الحيثية التي يدل عليها اسمها وهو
كونها مملكة عثمانية اذ ليس هناك قطعة من الارض تسمى في الاصل بهذا الاسم وانما لكل
منها باعتبار ذاته اسم خاص والجامع بينها في هاتو التسمية انما هو كونها تحت سلطة دولة
سلطانها من هاتو العائلة وهي العثمانية اي المنسوبة الى عثمان الذي هو اول من تسلط من
العائلة وبقيت في ذريته الى الآن هذا من جهة الذات واما الحامل على مخالفة ما سبق في
مثالها من جهة المعنى فلصعوبة الامر او تعسره لان قول الحق صعب والكذب حرام ونحن
وان كنا في هذا القطر السعيد بأمن في ظل خديوتنا المعظم التوفيق لا زال قرة لاعين اهل
الاسلام ولكل سكانه من الامن والحرية ما يسوغ له ان يقول الحق ولا يخشى لومة لائم
غير ان بعض منتضيات الحال تستدعي الاقتصار في المقال فلا مخلص في الكلام على هاتو
المملكة العثمانية الا الاقتصار على الاجمال على حسب ما تيسر الاحوال الى ان ييسر الله
بفضله افراد هاتو المملكة بتأليف خاص يحتوي على التفاصيل في الحقيق والجليل ورحمته
تعالى قريبة لا يعزب عن امره شيء وهو على كل شيء قدير

فصل في سفري اليها

قد تقدم انا ركبتنا من مرسى ينبع في رجوعنا من الحج وقد كان ركوبنا في باخرة
نمساوية من اجمل البواخر البريدية السيارة بين الهند واوروبا فاجتازت بحدة وحملت منها
ذلك الطود الشهير ذا النسب الخطير والحسب المنير السيد سلمان القادري حفيد قطب
الاقطاب الاكبر مولانا سيد عبد القادر الجيلي رضي الله عنهم وهو تقيب اشراف

بغداد ايضاً واكبر عائلته وكان حاجاً في ذلك العام فمن الله تعالى عليّ برفقته عند ما اجنازت الباخرة برسى ينبع وركب في الباخرة ايضاً بعض من الحجاج الترك العثمانيين والروسين غير انه لم يركب في الطبقة الاولى سوى السيد وبرفقته اخوه السيد احمد وابن عمه السيد عبد القادر وجوارله وبعض من الخدمة القائمين بين يديه لانه ابقاه الله قد اتخذ في الحجرة الكبرى في الباخرة احدى زواياها واخصص بها وفرش بها فرشاً عربيّة وكانت خدمته هم القائمون بشؤونهم زيادة عما يباشره خدام الباخرة مثل كونه ياكل منفرداً هو ومن معه على مائدته الخاصة في الارض من خصوص طعامه الذي يطبخه له طبّاخه الخاص غير انه من مكارم اخلاقه كان يتجرى للاكل وقت اكل الرفقاء بحيث كذا نتخاطب وكل منا على مائدته حتى على الطعام الذي بين يدي كل منا اذ كنت اجلس مع بقية ركاب الطبقة الاولى أنا وتابعي في ذلك الايوان للفظور والعشاء وسارت بنا الباخرة ثلاثة ايام فوصلنا جبل الطور ووقفنا هناك مدة الحينة وهي يومان وانزل كل من كان بالباخرة الا اصحاب الطبقة الاولى ومن انزل ابقى رحله في الباخرة الا القدر الذي يحتاجون اليه واخبرونا عند صعودهم انه لم تحصل لهم مشقة لقلة الازدحام وكان من هولاء الترك رجل من اهل بوسنه يعرف قليلاً من العربي حصلت بيني وبينه مودة حتى استأذنت عليه رئيس الباخرة وأذن له في الجلوس معي بايوان الطبقة الاولى وهو جميل الاخلاق له بعض مشاركة في النحو والفقه وقد ترجم يوماً بيني وبين احد الترك الروسين من اهل ولاية قازان وان كان تفهمه منه عسر جداً لان لغته مخالفة للغة التركية العثمانية وله بعض اطلاع على العربية من جهة كونه قرأ بضاعة مزجاة في الفقه فسألته عن حالة المسلمين اهل بلده من جهة الاحكام الروسية فكان مآل كلامه ان الروسية لازالت محترمة لهم في احوالهم الشخصية ولا يتدخلون فيما شجر بينهم اذ مرجعهم في ذلك الى احكام منهم وكان هذا خاص باهل تلك الولاية التي صارت مع الروسية على توافق لطول عهد استيلائها عليهم ومخافتهم على الشروط التي خضعوا بها اليها لان الروسية مجرية في الولايات التي استولت عليها في الحرب الاخيرة مع الدولة العثمانية ما هو جار في بقية ولاياتها والزمّت جميع السكان من مسلمين وغيرهم بان يكون التعليم بلغتها فقط لان اللغة هي التي توحد الجنسية فاذا تنوسيت لغتهم صاروا روسيين حتى في الجنسية ثم انا وصلنا الى خليج السويس الموصل بين البحر الابيض والبحر الاحمر وهو احدى ماثر هذا القرن لان السفن صارت تصل من شطوط المغرب في افريقيا الى

شطوط الصين والهند في ايام قليلة لا تتجاوز الشهر الى ابعداها بعد ان كانت يلزمها عدة اشهر لانها كانت يلزمها الخروج من خليج طارق ثم تحيط بجميع قارة افريقية بالبحر المحيط ثم بحر الهند فلمعري انها لما اثره مفيدة للتجارة على العموم وان كانت فيها مضرات سياسية بالنسبة لكثير من المسلمين وقد روي ان عمرو بن العاص استأذن سيدنا عمر بعد فتح مصر ليفتح خليجاً موصلاً ما بين البحرين ولعله بهذا المكان الذي هو عليه الآن لانه اصاح الاماكن لذلك حيث كانت بالوسط بحيرات عميقة مغنية عن حفر خليج فيها . ثم ان سيدنا عمر سأله عن هذا الخليج الذي يراد فتحه هل يحصل به فصل بين ارض جزيرة العرب ومصر فاجابه بنعم فقال لا افضل بين ارض المسلمين بالبحر . ويقال ان سيدنا علي رضي الله عنه قال للخليفة عند ما استشار كبار الصحابة في ذلك انه اذا تمّ ذلك الخليج تصير سفن الروم تضرب الى جده وغيرها من مراسي بلاد العرب وليس للمسلمين سفن تعارضهم فيسهل عليهم غزو بلاد الاسلام ولذلك كتب سيدنا عمر رضي الله عنهم اجمعين الى عامله عمرو بن العاص بان يضرب عن ذلك صفحاً ويمكن ان يكون الخليج في اصله موجوداً في العهد القديم . ثم ان الرمال تراكت في احدى جهاته على ما سيأتي ذكره فسدت البحر وامتدّ عرضها الى ان صارت الارض واحدة ما عدا البحيرات التي في الوسط على سمة واحد التي ربما دلت على اتصال البحر سابقاً . ويدل على هذا ان بعض المفسرين روى في تفسير قوله تعالى "حتى اذا بلغا مجمع البحرين" في قصة موسى واخضر عليهما السلام ان بعض المؤرخين يقول ان المراد بالبحرين هما بحر فارس والروم اما بحر الروم فهو معلوم واما بحر فارس المعروف الآن فيستحيل ان يتصل ببحر الروم الذي هو البحر الابيض خصوصاً في هذا الزمن القليل نسبياً من زمن موسى عليه السلام الى ما قبل البعثة المعروف فيه حالة الارض على ما هي عليه الآن فلا يصح ذلك الكلام الا اذا كان البحر الاحمر يطلق عليه بحر فارس سابقاً لانه متصل به وقريب منه جداً لانهما يتقيان الآن في جزيرة العرب اي شطوطها الجنوبية فلا يبعد ان يكون الاسم يطلق سابقاً على الجميع سواء . واتصال البحر الاحمر ببحر الروم سهل جداً لما مرّ بيانه ولما هو مشاهد بالفعل حيث اتصال في هذا الزمن وسبب هذا الاتصال هو ان رجلاً فرنسائياً يقال له فردنان دي ليسبس له مهارة في الهندسة وهو من مشاهير قومه بدى له يوماً امكان اتصال البحرين بهذا الخليج واعانتة على مرغوبه دولته لما رب سياسية في قرب الاتصال بالهند لعله يمكن لها

يوماً ما اخذ الثار من الانكليز على نحو ما سبق في تاريخ الدولتين فساعفهم على قصدهم والى مصر اذ ذاك سعيد باشا ابن محمد علي باشا وكان الانكليز من اشد المعارضين في ذلك سرّاً وكان الافدار نقول لهم (وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) فانهم حصلوا فيه على اكبر فائدة اذ صارت سفنهم في اكثر السفن المارة به مع تحصيلهم على مآرب اخرى سياسية كتدخلهم في القطر المصري وغير ذلك زيادة عن كونهم صاروا هم المالكين للقسط الاوفر منه ومحصلين على ارباح الباهرة وذلك لان فردنان دي ليسبس ألف جمعية لذلك العمل وجعلت هاتج الجمعية التي هو رئيسها رأس مال لمصاريف العمل وجعلته على اوراق ذات أسهم تباع وتشترى لكل من اراد وكان للحكومة المصرية من تلك الاوراق ما مقدار قيمته نحو المائة مليون فرنك وآل الامر بعد ذلك الى بيع اسماعيل باشا خديو مصر لاسهم حكومته فاشتريتها الدولة الانكليزية تماماً زيادة عما اشترته سابقاً ولا حقاً من الاسهم اذ اذا صار دخل هاتيك السهام يوازي اصل قيمتها حتى صارت كل رفعة منها اصل سعرها خمسمائة فرنك تباع الآن بالفين وثلاثمائة فرنك او نحو ذلك لان تلك الجمعية شرعت في العمل وتمتته بحفر خليج من البحر الاحمر بمحاذات مرسى السويس واوصلته بالبحيرة الاولى ثم حفرت خليجاً بين هاتج البحيرة والبحيرة الثانية الى ان وصلت الى البحر الابيض وعند ما تم عملها عقد اسماعيل باشا خديو مصر لفتح هذا العمل الغريب موكباً مشهوداً جعل به القطر المصري كأنه دار عرس واستدعى اليه ملوك اورباً كلهم لمشاهدة مرور اول باخرة تمر في ذلك الخليج وكذلك اعيان غيرهم من الاوربأوبين وكل من قدم منهم فصار ينفق مدة اقامته بالقطر المصري على الحكومة المصرية ولهم ان يتفرجوا حيث شاؤوا وقد ساح بعضهم حتى الى السودان مع القيام بكل منهم على حسب مقامه اعظم قيام ووفد عليه من ملوك اوربا العظام امبراطور النمسا وامبراطورة النمسا اي زوجة الامبراطور وولي عهد كل من انكلترا والروسيا وبروسيا فضلاً عن بقية الملوك المتوسطين والصغار وصرفت في ذلك كله من الحكومة المصرية اموال تكاد ان لا تحصى تعاضمت بها ديونها وذلك كله لما رب سياسية لم ينجح منها المقصود ونشأ عنها وحشة مع الدولة العثمانية آلت الى الرضاء بعد صرف اموال باهظة ثم استقر عمل جمعية الخليج على اقامة فعلاء ومراقبين على محافظة الخليج ويستخلص على كل سفينة تمر فيه مقدار معلوم من الاموال على حسب حمولتها ونوعها حربية او تجارية وفي رأس كل سنة تقسم الارباح على اصحاب الاسهم بعد

اخراج المصاريف المستمرة لان الخليج من جهة السويس لم تزل الرمال تنثال عليه منذ فتحه الى الآن لولا شدة العمل في رفع تلك الرمال ليلاً ونهاراً على مسافة طويلة تزيد عن العشرة اميال ومع ذلك كله فقد شاهدت في الباهرة التي اجتزنا فيها ان سيرها كان بطيئاً جداً هناك وكذلك غيرها احتراساً من الغرز في الرمل مع كثرة العلامات المجعولة في المياه لمحل المرور ومع ذلك كله قد اصطدمت الباهرة في الرمل عدة مرات حتى اني خلت انه عمل لا يدوم لشدة التعب الذي شاهدته من العملة في جلبهم للسفن والبواخر المصطدمة في الرمال حتى كانها تجر بالايدي مع كثرة ومدومة العمل بالآلات الرافعة للرمال ومع ذلك كله لا تجاز فيه الا سفينة واحدة وفيها ماكن لوقوف السفن اذا كانت تعارضها سفينة اخرى اي احداها غادية والاخرى رائية فتلك الاماكن وسبعة قمر بها السفينتان ولذلك يجعلون علامات على اعمدة مرتفعة في البر يميناً وشمالاً يدرك منها رئيس الباهرة ما يأمره به محافظو الخليج من الوقوف او المشي السريع او البطيء او غير ذلك ولذلك رأيت رئيس باخرتنا قد اخرج كتاباً فيه تلك العلامات وشرح المراد منها ليعمل بمقتضاها عند دخوله الى الخليج وبسبب ذلك كانت السفن لا تتحرك فيه ليلاً في تاريخ مرورنا وقد وقفنا مرة لمعارضة باخرة انكليزية حربية ذاهبة الى الهند حاملة للعساكر فلما مرت بنا خيل اليها انا راكبون في زورق مع انا راكبون في اعظم البواخر البريدية لكن عظم تلك الباهرة الحربية التي هي من نوع الفرقطين خيل اليها ذلك فانها كانت ذات ثلاث طبقات من المدافع وحاملة لاربعة آلاف وخمسمائة عسكرياً وكثير منهم معهم عيالهم وكانوا على همجية فانهم لما راونا صاروا يصرخون ويضحكون ثم وصلنا الى مرسى الاسماعيلية التي هي بوسط الخليج وبقرها ينصب جسر يصل بين اسيا وافريقيا ولا ينصب الا عند وجود المارين ويدفعون عليه خراجاً للحكومة المصرية وبتنا بالخليج ليلتين وفي صبيحة اليوم الثالث وصلنا الى بورت سعيد ووقفنا بضع ساعات وكان عمال الحكومة المصرية حارسون لباخرتنا لكيلا ينزل منها احد لانهم رسموا في ذلك التاريخ بان لا يدخل الى القطر المصري حاج الا من هو من اهله لانه كان كثير من المغاربة يدخلونه وهم فقراء فربما حملوا الاهالي والحكومة مصاريف لرجوعهم الى اوطانهم ولذلك اعلنوا بذلك التججير ثم قفلنا من هناك الى ارب وصلنا الى مرسى بيروت اعظم مراسي ولاية الشام المعروفة بسورية فطلب مديرو جمعية تلك الباهرة من الركاب ان ينزل منهم الى تلك الباحة كل من كان قاصداً القسطنطينية وما حولها واما القاصدون بوسنه وهرسك وغيرها ممن تكون لهم

مرسى تريبست طريقاً فانهم يتقون في الباخرة لانها قاصدة هناك توّاً والذين ينزلون وكانت الباخرة تعهدت لهم بالوصول الى القسطنطينية وما حولها فانهم ينتظرون هناك الى ان تأتيمهم بعد خمسة ايام باخرة اخرى لجمعية الباخرة الاولى وتحملهم الى مقاصدهم وكل من اراد من هؤلاء اخذ مصاريفه مدة انتظاره فله ذلك يدفعها اليه القيمون بأمر شركة تلك البواخر البريدية النمساوية المسماة بشركة لويد وقد اخذ منهم بالفعل كثير ممن نزل لكن بعد مشقة لعدم التفاهم حيث كان اغلبهم من الترك الروسيين الذين قل من يعرف لغتهم ولاستشاطة بعضهم في مقدار المصاريف التي طلبها مع ان اللجنة مقومة لاهل كل طبقة مقداراً عن كل يوم لم اعلم ما هو لاني صرفت النظر عنه حيث كان النزول هناك من اعظم مرغوباتي لمزيد الناس بذلك السيد الجليل القادري وللتعرف بتلك البلاد

فنزات هناك وكانت المرسى صعبة جداً لبعدها ارساء الباخرة عن الشط وركوبنا في زوارق مع هيجان البحر وبعد ان خلاصنا رحلنا من الكرك الذي لم نر من اهله الا خيراً دخلنا الى البلاد راجلين لقربها وعدم وجود ما يركب حول الكرك فدلني رجل من المتشبهين بخدمة المسافرين على منزل للمسافرين قريب من جهة طريقنا كاشف على البحر فاذا هو منزل للاحد الافرنج مثل منازل اوربا المتوسطة الحسن واخذت به بيتاً واسعة ذات حجرة للنوم والصناديق وحجرة للجلوس واغتسلت في حمامه وبتنا تلك الليلة والاكل فيه حسن ومن غد شرعنا في زيارة بعض اعيان البلاد والتفرج على منازلها ومنافعها فاذا هي بلد جميلة الوضع في سيج جبل مطلة على البحر وحولها كثيب رمل وجبل لبنان بحيث ان حدوده منها على نحو ربع ساعة مجعول له علامات وله ادارة ممتازة كما سيأتي في محله وواله يسكن في الشتاء في بيروت وهو اذ ذاك رستم باشا وقد رايته يوماً راجعاً من الجبل الى داره متخذاً ابيه فاخرة في عجلة يجرها ثلاثة من الخيل العتاق وامامه فارس ووراءه اربعة من العساكر الخيالة مسلحين وبندقية كل منهم حاملها في وجهه وهذا الباشا هو شيخ مسن اصله طلياني خدم الدولة العلية بنصح وشاخ في خدمتها وسمعت الثناء عليه في تلك البلد وغيرها من مساهمين وغيرهم غيور على الدولة محافظ على ناموسها ومصالحها ومن غريب ما سمعته عنه انه كان مرة يتفقد في جهات ولايته على ذلك الجبل فصادف انه يتفقد الجهة القريبة من طرابلس الشام ويصل الى تلك الجهة آخر النهار وليس بقربه مكان صالح للمبيت الا بلد طرابلس فارس من صباح اليوم الى متصرفها اي حاكمها يعلمه بانه بيت ضيفه وكان الوقت رمضان فعرضه آخر النهار ذلك المتصرف وعلماء البلد

ووجهواؤها ثم دخلوا جميعاً الى دار المتصرف وجلسوا في ايوانها كلهم فدخل الخدمة باطباق المشروبات المبردة والحلويات وكان الغروب لم يقع وكان هو ايسر رستم باشا لا زال على دين نصرانيته لكنه لما راي تلك الاطباق داخلة وعلماء البلد ووجهواؤها جالسون اكثرهم وجهه وقال للمتصرف ما هذا فاجابه بانه مشروبات مبردة فقال الباشا اليس هذا رمضان فتبسم المتصرف وقال ثلثاً من غير ان يريد اظهار قصده لمخالفة الدين نعم هو رمضان ولكن جنابكم مسافر وانا ايضاً مثلكم وها انا ابتدئ بذلك واخذ الكاس وشرب فاشتد حق الباشا عليه وخاطبه بشدة بما معناه انك ان كنت لم تراع ديانتك فانا يجب علي ان اراعي دولتي ووظيفتي لاني متوظف ووزير خليفة المسلمين وهذا المقام انما جاءني منه وهاتيه البلاد بلاد مسلمين وهؤلاء الجمع مسلمون جاؤني لاجل وظيفتي فبهني نصرانياً فاني اذب على الشعائر الاسلامية التي صرت بها انا من انا واقدر بها على احتقارك وطرديك ايضاً من هنا فاخرج حالاً حيث لم تراع سلطانك وامامك الذي هو خليفة المسلمين ولا اهل البلاد التي انت عليها ولا انا الذي تعدي ضيفاً نخرخ المتصرف من المجلس وشكر الحاضرون كلهم عمل ذلك الباشا فقال لهم ما فعلت هذا لاشكر وانما هي واجباتي اديتها ولعمري ان مثل هذا الرجل يحق ان يستخدم ويا ليت متوظفي الدولة كلهم على نمطه كثر الله من المخلصين الناصحين امثاله ووفقه لسعادة الدارين . وحاصل وصف هاتيه البلد هي انها بلد جميلة المنظر لان ديارها محسنة الحيطان من خارج وحسن اكثر طرقها غير ان بجانب الطريق مجاري للمياه على عمق شبر مكشوفة ربما اضررت بالمارين والبناء طينه مخطط بالجير فهو حسن المنظر ويقرب شكل الديار من ديار تونس غير انهم يجعلون لبعض الديار ذات الطبقات درجاً مكشوفة في البطحات الخاصة بالديار وجعل في البلد طريق للعجلات وهذا الطريق واصل الى دمشق الشام جعلته جمعية افرنجية منتظم السير في اوقات معلومة وكراء معين وتغير الخيل في مراكز معينة ليلاً ونهاراً وكنت اردت الذهاب فيه الى دمشق لكن قصر الوقت مع تعطل السير في الطريق لكثرة الثلوج منعي من ذلك

واعظم جوامع البلد الجامع المنسوب لسيدنا يحيى عليه السلام وهو جامع واسع نظيف وكذلك بقية جوامعها نظيفة وحماتها جميلة نظيفة جداً متقنة التحسين بأنواع المرمر وفوارات المياه وبها اسواق جميلة وان كانت صغيرة على نسبة البلاد لان البلد الاصلية صغيرة وكثر حولها البناء المتقن على اشكال شتى منها قصر بديع صالح للملوك

وحوله بستان مؤنق غاية التأنيق فيه من المرمز في البناء والرخام وانواع المفروشات البديعة والاشجار وتقاسيم الماشي وهو لاحد الاهالي النصارى ذوي الثروة الكبيره التي حصلت له من بعض خدمات له عند خديو مصر السابق ثم استحصل على ان يكون قنصاً للروسيا في بلده وتوجد بيوت اخرى حسنة تقرب من ذلك كما توجد مدارس علمية اسسها القسوس من البورتيستانت الاميريكانيين ومن الجزويت الفرنساويين وقد اثرت هاته المدارس تأثيراً واسعاً في المعارف هناك فتقدمت النصارى سكان بيروت في التحصيل على معارف جيدة من اللغة العربية نحواً ولغة وانشاء وفي معرفة بعض اللغات الاجنبية واغلب مبادي الفنون الرياضية حتى صاروا متاهلين للتقدم ونقلد الوظائف في بلادهم وغيرها ويحصلون ذلك في مدة قليلة لسهولة التعليم بالكتب التي اخترع بعضها نفس الاهالي وغيرها غير ان انشاءهم بالعربية يكون غالباً على غير اللهجة الفصيحة والاسلوب العربي الفصح لان غالب التلامذة يولعون باللغات الاجنبية فينسخون كتاباتهم العربية على منوال تلك اللغات فيصير السبك اعجمياً في قوالب عربية يجيها من ذاق طعم البلاغة ودونك ما كنت رايت من رسالة لاحد برعاء ذلك الوطن وهو البارع المتفنن رشيد الدحداح كتب بها في ذلك المعنى نص محل الحاجة منها بعد ان ذكر ما طرأ على اللغة العربية الشريفة وما حصل لها من التغيير بالاساليب الاعجمية الى ان قال " وكذلك لاجل تحييب الفرنسيين المسلمين يجب ترويح لسان العرب باللغة الفرنسية حتى تصير لباساً له ويصير لباساً لها فيبدأ بتبديل الاسماء فيجعل اسم المعلم ميخائيل ميشال افندي ويبدل مريم بماريا واذا كتب رسالة قلب رجلاً على قدم. وتناول ريشة عوض القلم. وقال اخذت الحرية لا كتب لكم او عندي الشرف ان اخبركم اني قبلت رسالتكم المكرمة وبالطبع صرت ممنوناً لما تضمنته من الاحساسات الودية. والشعائر الوطنية. ورايتها ملهومة من روح الصداقة. وراغبة في دوام العلاقة. واخذت الاحتياطات اللازمة لادخالها في اعمدة الجرائد ليس فقط لاجل مسرتكم بل بالسبب الاقوى لاجل مصلحتنا ولكن من سوء البخت مراعاة الظروف توجبنا على نوع ما ان نلتزم التمهل بالعمل الى فرصة وفوق كل شيء لانه الآن حاصل هنا افكار واستعدادات حرية واما عاملو الالقاب فبالضد ومع الاعتبار يقدم لكم الشكر ويهدي لكم السلام حبكم فلان وقس على ذلك الف داهية. من التعبيرات الواهية. التي هي بالملت حرية والتي في اعجميتها سرف. كعندي الشرف. وما هو احط من السفالة. كقبول الرسالة. وآلم من الصفع. كطبيعياً وبالطبع. وامر من ريب

المنون. كالممنون. واسميج من الخسائر. كهذا الاستعمال للروح والافكار والتقدم والاستعدادات والاحساسات والشعائر. الى ان قال " اما تشبهتم بمادة اخذ فداء اصفر وموت احمر ولو حرمت عليهم اليوم هذه المادة لكسروا الافلام وعجزوا عن الكلام فترام يعبرون بها عن كل الافعال العربية فيقولون اتخذ الباشا مادبة للقناصل واتخذ الملائكة لهم واتخذوا الدعاء للدولة الى ان قال فيا للخسارة والاسف. على مرض اللغة واشرافها على التلف. فوأي الله انه اصدع لا يلتئم. وجرح لا يلتئم الى آخر ما اطال به في تلك الرسالة المنشورة في جرائد عديدة عربية ومنها العدد ٩٥ من مرآة الشرق وهذا الكاتب وان كان من اهل لبنان البارعين في العربية والفرنساوية لافامته بفرنسا وصيرورته من اغنيائها لكنه استفاد من ذلك التعليم لان هذا التعليم شمل اهل لبنان ايضاً فوائده والحق يقال ان فوائده جليلة لحسن التعليم وان اثر بعض تأثيرات سياسية في جلب طباع سهل الطبيعة الى حب جنسية المعلمين لكنه من حيث التعليم له مزية معتبرة تقدم بها النصارى هناك على المسلمين حتى تظن في المدة الاخيرة بعض المسلمين الغيورين لهذا المدرك ووجدوا والياً يمد اليهم يد المساعدة وهو مدحت باشا فعقد لهم جمعية تسمى جمعية المقاصد الخيرية ومكناها من الاوقاف التي في البلد وكانت استولت عليها ايدي الاغصاب والمنافع الشخصية فاستعانوا بها مع ما يوزعونها على اهل البلد من كل ذي حمية وعلى ابناء التلامذة وانشأوا بذلك مدارس على نحو النوع السابق ذكره وكنت دخلت الى كلا القسمين فرايت من تلامذتهما ما يسر القلب ولعمري انها لما اثره جليلة تحق ان تذكر * وهذا الرجل وهو مدحت باشا هكذا دأبه في كل ولاية وليها لا بد ان يترك فيها مآثرة تذكر وان اعترى كثيراً منها بعده بعض الخلل الا انها لا تزال قائمة لما فيها من المصلحة المشاهدة وهو في الحقيقة من افراد رجال الدولة الذين يشتمل عليهم تاريخها نصحاً وتديراً وعملاً وعمله أكثر من قوله بحيث لا يجد القادح فيه قولاً لولا عجلة فيه كأنه حمله عليها مداومة ما يشاهده في وظائفه من التأنيات والتسويق الذي يستعمله الرؤساء في وظائف الدولة حتى صار لهم طبيعة والوقت لديهم ليس له اعتبار فاداه ذلك الى انتهازه للفرص التي يجدها لاجرائه المصالح فعلا وجراه ذلك لما اوقعه اخيراً فيما اداه الى الوقوع في حنقه رحمة الله عليه رحمة واسعة. وقد حصل من تلك الجمعية فائدة لا تنكر في المعارف لاهل تلك البلاد وهي وان تأسست في جميع البلاد الشامية لكنها كانت في بيروت اشد تقدماً في المعارف حتى صارت هي اول البلاد الشامية في المعارف على العموم وان كان لدمشق

مزيد التقدم في الفنون الشرعية ثم ان اهالي بيروت وان كانوا قسمين مسلمين ونصارى لكنهم جميعاً في غاية الالفة بعضهم مع بعض وعوائدهم جميعاً واحدة حتى في محاسن اخلاقهم وقد شاهدت من فضلاء القسمين ما اشكرهم عليه من محاسن الاخلاق والفرح بالضيف مثل الشيخ الدراكة البليغ البارع ابراهيم الاحدب وله ديوان شعر شهير ومثل الاعيان الاجلاء حسين بيهم ونخري بك رئيس الجمعية الخيرية وعبد القادر القباني صاحب جريدة ثمرات الفنون احدى الجرائد العربية المتكاثرة في هاته البلد لما في اهلها من التقدم الذي اشرنا اليه مع بعدها عن مراكز السياسة ومن اصحاب الجرائد الذين اجتمعت بهم هناك ايضاً البارع المجيد المتفنن سليم البستاني صاحب جريدة اللجنة وجريدة الجنان وهو من النصارى اعيان البلاد ومن اجتمعت به منهم ايضاً الوجهاء الاعيان ابراهيم اليازجي ابن الحسن الذكر المتفنن اللغوي البليغ ناصيف اليازجي صاحب المقامات الشهيرة ومنهم سليم ثابت وغيرهم ومنهم الكاتب البارع حسن الجابي وهو وان كان من اهالي دمشق الا اني اجتمعت به في بيروت لانه قدم اليها صحبة والي الشام اذ ذاك مدحت باشا رحمه الله لانه كان من كتاب الولاية المجيدين عربية وتركية فاستصحبه والي لنصحه ونجابه ثم ترقى بعد ذلك في خدمات الدولة العلية وكذلك اجتمعت بالوالي المشار اليه هناك لما لي معه من المعرفة السابقة في باريس ولاقيت عنده مرة النصوح رائف باشا متصرف بيروت اذ ذاك ولقد شاهدت من هؤلاء الجمع اكراماً بوجب عليّ الثناء عليهم جازاهم الله عني كل خير واجل ما حصلت عليه في هاته البلاد اخذي للاجازة في الطريقة القادرية من مولاي وسيدي السيد سلمان القادري ومثله ابقاه الله من يحيز ويحافظ على شريعة جده الاعلى عليه وعلى آله الصلاة والسلام فانه عند ما اجازني قال لي ما معناه في امر الازكار وآداب الطريقة ليست هي الا الشريعة فقف على ما ورد به الشرع واعمل به فهكذا يكون المرشدون وما اجازني بذلك الا بعد مزيد الاحاح تواضعاً منه ابقاه الله الى ان ات ليلة سفري فساغفني ببرغوبي فودعته وسافرت صبيحة تلك الليلة الى القسطنطينية في احدى البواخر السابق ذكرها * فوقفت بنا بضع ساعات على ازمير التي هي قاعدة احدى ولايات الدولة ونزلت متفرجاً على مرساها وما حولها فاذا هي ذات مرسى جميل حصين صنعته احد الافرنج برخصة من الدولة وفيه بواخر جمعة وتصل سكة الحديد الى رصيفه وهي ذات فرعين يمتدان الى داخل الولاية شرقاً وغرباً وحول المرسى قشلاقات عسكرية وبعض ديار للافرنج والطريق فيها واسع جميل وبقية الطرقات والاسواق ضيقة عليها

آثار الحرم لان غالب الابنية من الاخشاب وقدم عهدنا نلم ار ما يذكر الا كونها بلاد تجارية لغنى الولاية بما منحها الله تعالى من كثرة الغلال والفواكه التي تحمل منها الى سائر الآفاق مثل التين الخنزف وغيره ثم مررنا على جزر كثيرة تابعة للدولة العلية ذات جمال باهر لكثرة اشجارها وجبالها الخضراء المتعممة اذ ذاك بالثلج ومن اجملها جزيرة رودس وجزيرة استاني كرى التي تشرح اخطار بما كساها الله من حلل النبات والاشجار العظيمة ثم وصلنا الى جنه قلعة قبيل الغروب من اليوم الثاني وهي باب الخليج القسطنطيني والبلدة ليست بشيء يذكر سوى انها مقام حربي اذ حولها وامامها من الحصون والطواهي والاستحكامات ما يدهش الناظر وهي كثيرة ممتدة على طول مضيق ذلك الخليج على فوهته الى البحر الابيض التي هي ضيقة جداً لا تسع ازيد من مرور اربع بواخر جسيمة وتلك الحصون اكثرها لا يكاد يبين لتخلل وسط الجبال المحيطة بالجانبين وما يظهر منها تلوح منه مدافع ضخمة تكاد تخرق الجبال عند انطلاقها ولذلك يعد هذا المركز اعظم المراكز الحربية تحصناً بحيث لا يمكن ان يحنازه مجناز بغير رضاء صاحبه ولا تدخله سفينة الآن ولو تجارية الا بالاذن من موظفي الدولة هناك ولذلك وقفت بالباخرة هناك لاخذ الاجازة وهي لا تطول مدتها الا نحو نصف ساعة في اثنا طافت بنا القوارب من الباعين لسلع تلك البلاد والمأكولات والنواكه والذي يمكن ان يذكر من سلعها ليس هو الا اباريق من طين مطلي بمعدن اخضر يصير به الطين صقيلاً ويذهب باشكال وعلى نحو هاته الاباريق اوان اخر على اشكال مختلفة المياد ثم دخلنا الى بحر مرمره المتوسط بين فوهتي خليج الاستانة التي مر ذكر احداها التي على البحر الابيض والاخرى بجانب الاستانة على البحر الاسود فبقينا سائرين الى طلوع الفجر وما انفق الصبح الا وقد بانت مآذن جوامع القسطنطينية التي هي مثل غابة من النخيل وبينها قباب الجوامع الضخمة فارست بالباخرة في داخل الخليج على مقربة من القنطرة الموصلة بين استانبول وغازطه وطافت بالباخرة القوارب لمن يكتري من الركاب وقوارب السالع ثم بعد هنيهة قدم اليّ البعض من اصدقائي مع زورق مخصوص للوزير خير الدين باشا التونسي انزلوني فيه وتكفلت اتباعهم مع تابعي بانزال صناديقي فنزلت ضيفاً عند الوزير المذكور ثم بعد بضع ايام اكرت داراً جميلة على الخليج وسكنت بها بعد ان اشترت لها جميع مفروشاتنا اللازمة واحضرت من الخدمة اللازمين والطباخ مقدار الحاجة واقت ساكناً من صفر سنة ١٢٩٧ الى شعبان سنة ١٢٩٨ واحضرت اليّ ابني البكر من

تونس وبقيت بالقسطنطينية مستريح الفكر والبدن متنعمًا بهوائها الحسن متأنسًا بالاصدقاء ذوي الوفاء الى ان حل بالوطن ما حل في سنة ثمانية من استيلاء الفرنسيين عليه مما كنت به اندرت ولم تقد النصيحة لغلبة الهواء والله يقضي ما اراد فذهبت الى ايطاليا لاختار عائلتي في نقلهم وبيع املاكي وفي اثناء ذلك ذهبت الى جنيف من مملكة سويسرا فوضعت بها ابني في مكتب خصوصي ثم رجعت الى ايطاليا لاقام ما ذكرناه ثم رجعت الى القسطنطينية بعد ان اعلتني عائلتي بسفرها اليها فمرت على مملكة المانيا ثم النمسا ثم الرومانيا ثم الصرب والبغار وسياقي ذكر هاتو المالك ان شاء الله كل منها منفردًا ببابه ثم رجعت الى القسطنطينية مقيمًا فيها بعائلتي من اول سنة تسعة الى اول سنة اثنين وثلاثمائة التي توجهت فيها الى مصر حيث لم اجد من الراحة الفكرية والبدنية ما يستقيم به الحال وكذلك امر المال وان كانت الحضرة السلطانية تفضلت علي بمرتب وكراء بيت لم يمكن استطرادهما لما في خزنة الدولة من التضايق المجحف حتى بالقيام بالضروريات الواجبة في اغلب الجيات نسأل الله تفرج الكربات



مطلب في صفة القسطنطينية

هاتو البلدة قديمة الانشاء وتأسست تحت ملكة الرومان المعروفين بالروم سابقًا على ما تقدم في تاريخ ايطاليا وسميت البلدة باسم احد ملوكهم ذوي الصيت المنتشر وهو قسطنطين المتولي سنة ٣٢٣ ميلادية واتخذ موقعها في اجمل مواقع الكرة الارضية في نصفها المعروف قديمًا وموقعها ايضا احصن هاتيك المواقع لانها متحكمة بين البحر الاسود والبحر الابيض ويوصل بينهما الخليج الذي بوسطه بحر مرمرا وهذا الخليج بمكان البلدة يكتنفه جبال يمينًا وشمالًا والجبال مكساة بحال النبات الباهر في جميع الفصول وقد وضعت البلدة على سفح ثلاث جبال يفصل بينها الخليج اما قسم منها فيفصل بينه وبين غيره الخليج الكبير وهذا القسم هو المسمى باسكودار الواقع في قارة آسيا والقسم الآخران يفصل بينهما فرع من هذا الخليج داخل في قارة اوربا الى ان يتصل بجدول يعرف بكاغدخانة فالقسم الشرقي من القسمين يسمى بغلطة والقسم الغربي يسمى باستانبول وقد كان في القديم محل البلدة مفصولًا عن بقية القارة بخليج واصل الى بحر مرمرا وهو قرب مقام سيدنا ابي ايوب الانصاري الآن فكانت جزيرة منفردة

وهذا القسم هو مقر البلاد الاصلية الذي يشتمل على مركز الادارة والاسواق وغير ذلك وحيث كانت البلاد واقعة في عرض سبعة واربعين شمالي كان هواؤها يغلب عليه البرد وتنزل عليها الثلوج في كل سنة وربما جمد الخليج في بعض السنين ففي جميع اوقاتها لها منظر منفرد في الارض لمن يراها داخلًا من الخليج حيث كان الخليج في الوسط وتحنه على جميع شطوطه الممتدة نحو ٢٢ ميلًا قصور ودساكر جميلة الصنع ذات ألوان لان البناء بالاشخاب ويدهن ظاهريًا وباطنيًا بألوان جميلة مع كثرة طافاته ويتخلل هذا البناء الصوامع المتناغية في الجوّ مع جودتها وتعدد ادوار مآذنها وبينها القباب الشاهقة ثم وراء هاتو البنات على سفح الجبال البساتين والجنائن والاشجار الملتفة والعيون المتدفقة فتدهش رؤيتها ابصار الناظرين وتستمر البواخر خارقة لهذا الخليج في ذلك المنظر البديع مدة نحو ساعتين فلا ريب ان كانت هي سيدة البلدان السياسية خصوصًا ووضعها قد جاء على كل من قارتي اوربا وآسيا وعلى كل من البحرين الابيض والاسود ولهذا يسمونها في القديم بفاروق لفرقها بين البرين والبحرين لكن ذلك المنظر والجمال ينحط درجات عديدة اذا نزل فاصدها الى البر وتخلل بالمشي في شوارعها لان طرقاتها اغلبها ضيق ومباني بمحارات على اصل خلقتها مقلبة مكعبة لتعب الراكب والمشي وكثيرًا من الديار قد اخذ منه الهرم مأخذًا خصوصًا في هذا الوقت الذي تفانم فيه على اهلها الضيق المالي لان اهلها المسلمون وهم اكثر السكان اغلبهم له جرايات ومرتبات بحيث ان اقامتهم منطقة بالدولة التي ضاقت خزنتها عن القيام بشؤونها وبقيتهم ذوو صنائع خسيصة كسائي العربات والنوتية وما شاكل ذلك والقليل النادر لم تجارة على قدر الحاجة والتجارة المعتبرة انما هي بيد الافرنج او النصارى من رعية الدولة وكذلك اغلب الصنائع الضرورية والحاجية والتحسينية على كثرتها كلها بيد النصارى ايضا الا ما ندر وكان سبب ذلك هو اختصاص المسلمين قديمًا بالوظائف والرتب فانحصرت معيشة غيرهم فيما يجيدونه من صنائعهم وتجارتهم ولما افتتح الباب في الازمان المتأخرة شاركوا المسلمين في الوظائف وسابقوهم فيما كان خاصًا بهم لمدايدي المساعدة لهم من الافرنج ودولهم الاجنبية فانتسعت معارفهم الرياضية والثقفت صنائعهم واتسعت تجارتهم وثققتهم المسلمون لوقوفهم فيما كانوا عليه بل لانحطاط درجة المعارف لديهم واعراضهم عن الصنائع وغيرها من اوجه النكسب لانحصار الامال في مجرد التوظيف في الدولة ولهذا ترى البلاد ممتلئة بالقهاوي والقرايات التي هي

قهاوي نظيفة يتنابها الوجهاء من الناس فلذلك صارت الديار الحسنة قليلة في هاتيه البلاد العظيمة التي يتجاوز سكانها المليون وربع واذا ضمت القرى النابعة لها في جوارها مثل بيوك آطه اي الجزيرة الكبيرة وغيرها من بقية الخليج يكون مجموع سكانها مليون ونصف على ما يقال حتى انها كانت في اعظم البلاد المعروفة وسميت بالقسطنطينية العظمى والحاصل ان طرقها الآن التي لها نوع من الحسن في طريق يتدى من بطحاء في وسط استانبول تسمى بميدان السلطان احمد وفي وسطها مسلة من المسلات المصرية متناغية في الهواء فيمر الطريق على الباب العالي ثم على القنطرة الموصلة الى غاطه ثم يمر منها الى الطوبخانه على سمت نحو المستقيم وهكذا يمتد على ذلك النحو الى بشكطاش وبشكطاش واورطه كوي ثم قوري شيشنه ثم ارنوط كوي ثم الى بيك ثم الى روم ايلي حصار ثم الى بني محله ثم الى طرايا ثم الى بيوك دره ثم الى نهاية الخليج المسمى بروم ايلي قواغي جهة البحر الاسود والاماكن التي تقدمت اسمائها كلها حارات مثل البلدان متصل بعضها ببعض ممتدة على طول الخليج وانما كان هذا الطريق محسناً لان اغلب اماكنها بناآت للدولة او للسلطين او ابنائهم او بناتهم او وزراءهم او امراءهم او لسفراء الدول الاجنبية او للاغنياء من الافرنج والنصارى اتباع الدولة مع كون شركة افريقية قد جعلت بذلك الطريق عجالات الترامواي برخصة من الدولة على شرط تحسينها للطريق وتوسعتها له حتى لا يعارض مروره العجلات الاخر وهكذا يمتد هذا الطريق أيضاً بفرع آخر من البطحاء المذكورة ويمر على بطحاء السلطان بايزيد ثم على آق سراي ويمتد هكذا مستطيلاً على نحو استقامة الى ان يصل الى آخر استانبول في باب ادرنه ويوجد طريق آخر على ذلك النحو يتدى من غاطه امام القنطرة ويصعد في جبلها ويمر في بابوغلي التي هي حارة السفراء في الشتاء واما في الصيف فانهم يسكنون في الخليج ومثلهم بقية الاعيان وحسن طريق بابوغلي فائق على الكل لمزيد التحسين في الديار الحافة بجانبه وقد احدث طرق اخرى كثيرة على النوع المتعارف في اوروبا في جهات سراية بلدر ونيشان طاش الى ان تصل بطريق بابوغلي لكن هاتيه الطرق لم تنظم الديار التي على حافتيها فاعلمها خال عن البناء بالمرة ويمكن ان يقال ان البنات الحسنة الموجودة في هاتيه البلاد تكاد اصحابها ان لا يخرجون عن الاصناف الذين ذكرناهم وهذه البنات قديمها كله من اخشاب ذو طبقتين او ثلاث نادراً وجديدها من بناء اغلبها بالطوب المطبوخ الاحمر او الحجارة والمرمر متقاربة الشكل الحسن منها حسن الظاهر والباطن

وصورتها ان يدخل من الباب الى دهليز فيه درج قليلة يصعد منها الى الطبقة الاولى التي هي ايوان مثل وسط الدار مستوف مع بقية بيوتها وفيه ابواب هاتيك البيوت التي هي مربعة او مستطيلة وفيه ايضاً نحو المقعدين يميناً وشمالاً في الغالب ثم تلك الدرج تنبعث صاعدة الى الطبقة العليا التي هي على نحو التي تحتها وتختلف اشكال الدرج في كونها ذات فرع واحد الى آخرها او ذات فرع وفرعين وكل دار تشتمل على عدة مراحض جميلة الوضع نظيفة كل منها به محل للوضوء ومحل لمنديله بحيث ان الوضوء في هاتيه البلاد يسر شيء على صاحبه مع نظافة المكان والحق ان جميع الديار بل وجميع احوال السكان نظيفة للغاية كل على حسب حاله عسراً ويسراً وقصور السلطنة ومساكن السلاطين قد اشتملت على اشكال البنات المستحسنة في اكثر البلدان واعظمها بهجة ورونقاً قصر دولما بختشه الذي هو الآن قصر السلطنة الرسمي فانه له باب عظيم ذو اتقان وتزويق بالذهب لم ار مثله قط ضخامة وزخرفة في جميع اوروبا وغيرها وهو ينتح الى بطحاء عظيمة امامه وفي مقابلته جامع انيق له باب مقابل ذو بهجة وقريب من باب القصر في الحسن باب ثان يفتح الى طريق بشكطاش وكلا البابين يدخل الى بطحاء عظيمة بها باب القصر الذي هو منقسم الى ثلاثة اقسام في الحجم متعالة بعضها اوسطها ارتفاعه بوازي ارتفاع القسمين الآخرين مرتين وهذا القسم الوسط كله ديوان واحد هو مجلس السلطان في الموكب فانظر الى هذا البيت الذي اتساعه قدر اتساع قصر تام سلطاني فان القسم الاول هو قصر ذو طبقتين وطبقة ثالثة سفلية نصفها تحت الارض ونصفها فوقها وتشتمل كل طبقة على دواوين واواوين وحجرات مزخرفة مكالة مزوقة بالذهب والفرش الفاخرة والثريات المتكاثرة وغير ذلك من الزخرفة والاهية التي تأنق فيها السلاطين للمباهاة وهذا القسم خاص يجلس السلطان للرجال والقسم الثالث مثل هذا القسم وربما زاد عليه رونقاً في الفرش وهو مسكن حرم السلطان ثم عند الباب الاول في الذكر قصران يميناً وشمالاً لحاشية السلطان وخاصته وبطانتهم ووراء قسم الحريم قصر آخر مفصول عن السابق مثل احد القسمين السابقين هو مسكن ولي العهد لكنه لا يلقب بهذا اللقب وانما يقال فيه اكبر ابناء السلاطين بعد السلطان المستولي وهاتيه القصور انشأها السلطان المنعم عبد المجيد رحمه الله وتسمى دولما بختشه وقريب منه قصر آخر انشأه السلطان عبد العزيز يسمى تشارغان هو اشد رونقاً وزخرفة في داخله من الاول لكن الاول ابهج منظرًا والجميع على

شاطيء الخليج تفتح اليه رواشيتها المتكاثرة كما هو شأن جميع الديار هناك فلا تجد بين الشباكين ازيد من نصف ذراع او ذراع وعلى نحو من هذين القصرين في قسم اسكودار قصر بناه السلطان محمود رحمه الله يسمى بكاربك وهو اصغر من الكل ثم قصر آخر بديع للغاية يسمى ييقوز حجارته كلها داخلا وخارجا من المرمر الاحمر والاخضر فنصنه الاعلى اخضر والاسفل احمر وهناك قصور أخرى عديدة صغيرة دون هاته الا القصر السلطاني الآن المسمى بيلدز الذي هو في الاصل مثل هاتيك الصغيرة لكنه لما رجمه السلطان المعظم عبد الحميد للانفراد فيه والسكنى به دائما تزايدت قصوره شيئا فشيئا حتى صار ابهى في الداخل من الكل وان كان من خارج لا يظهر منه الا القليل لوقوعه في وسط بستان متسع ملتف بالاشجار ومحيط به اسوار ومساكن للعساكر على جميع محيطه

فصل

في مجمل تاريخ الدولة العثمانية

اعلم ان الدولة العثمانية كانت تأسست عند ما تفرقت الملوك الاسلامية واستبد كل منهم بجهة مع الخروج عن العمل بالشرع بل اتبعوا الشهوات واسترقوا الرعية وتصرفوا في الاموال بحسب الاغراض فضعفت شوكة الاسلام وصارت ممالكهم طعمة للاجانب فرحل من وراء النهر اي نهر سيحون ويعنون بما وراءه ما كان على عدوتهم الشرقية قبيلة من مسلمي الترك تحت رئاسة سليمان شاه جد عثمان خان ملتجئين الى السلطان السلجوقي لما شملهم من ظلم التتر فاظلمهم بالامن واسكنهم ارضا بالاناضول واذن لرئيسهم ارطغرل بعد وفاة ابيه سليمان شاه بالغزو حيث كانوا قوما شدادا متمرنين على الحرب فافتتح بسيفه الباتر اراضي وبلدات وفوض امرها اليه السلطان السلجوقي والى ابنه عثمان من بعده فتلقب بالسلطان عثمان وذلك في سنة ٦٩٩ وقد نظم الجد الشيخ محمد بيرم الثاني قصيدة تشتمل على نموذج من تاريخ هاته الدولة مع اسماء سلاطينها ذكرناها هنا لا يفاتها بالمقصود وسماها "عقد الدر والمرجان في سلاطين آل عثمان" وهي

اقدم قبل القصد شكرا لمنعم
على عز هذا الدين والملة التي
واتبعه ازكى الصلاة مسلما
نبي له وصف النبوة ثابت
محمد من قد اظهر الله دينه
واعلاه بالانصار اذ حل طيبة
وما زال محروس الجنب مؤيدا
محوطا الى ان آل تدبير امره
لحي حلال يعصم الناس امرهم
كرام فلا ذوالضن يدرك تباه
ملوك بني عثمان سلسلة العلا
فلا ما قد شيدوا من بنائه
لقد احكموا امر الجهاد بما اتوا
فكان لهم والله يكلأ مجدهم
وقدرت في ذا النظم جمع ملوكهم
فاولهم (عثمان) باكورة العلا
له فتحت برصا فاضحت سريرهم
وثانيهم (ارخان) من قد اتت به
شجاعته قد اظهرتها حروبه
وثالثهم من نال فضل شهادة
فذاك الذي قد فض ختم ادرنة
ورابعهم شمس العلا (بايزيد) هم
لئن كان مع تيمور ما انفذ القضا
ولا عجب للاسد ان ظفرت بها
خربة وحشي سقت حمزة الردا
وخامسهم نخر الملوك (محمد)
وسادسهم ثاني (مراد) بن من رقي
علينا بما اربى على كل انعم
وان لحقت فازت بفضل التقدم
على اشرف المخلوق قدرا واعظم
وادم بين الماء والطين فاعلم
بمكة ذي البيت العتيق المعظم
فخيا بوجه مشرق ذي تبسم
بكل امام بالعلا ذي تهم
وحفظ حمام بالخميس العرمم
اذا طرقت احدى الليالي بمعظم
لديهم ولا الجاني عليهم بمسلم
غصون نمت اذ فرغت عن غطهم
وما هدموا للكفر من كل معلم
باعظم صنع فيه من بعد اعظم
بما فعلوا حق على كل مسلم
وبعض مزايام لتروى فتعلم
مذيق الردا من بأسه كل مجرم سنة ٦٩٩
فكان لها في ذاك فضل التقدم
كرامة من صلب الولي المعظم سنة ٧٢٦
فعنه بما تختار فيها تكلم
(مراد) محلى القرن حمرة عندم سنة ٧٦١
فذاقت به برد الهنا والتنعيم
موافقه في الحرب مرة مطعم سنة ٧٩١
فان ارتكاب الغدر منشا الثلم
كلاب الاعادي من فصيح واعجم
وحنف علي من حسام ابن ملجم
مجدد هذا الملك بعد التصرم سنة ٨١٦
من العز مرقى لا ينال بسلم سنة ٨٢٤

تخلي عن الامر اخياراً لشبهه
وسابعهم فخل النحول (محمد)
عقيلة عن صيد الملوك تمتعت
لقد جاءها يخنال في العز مودعاً
لدى اسد شاكى السلاح مقذف
فدحرج عنها سيد الروم خاسئاً
وحل بها لما تنادت جنوده
وقدوسم السيف العدا في رؤوسهم
فما الحرب الا ما رأوا من بلائه
وثامهم فرع له (بايزيد) هم
وتاسعهم مفتاح فتح ممالك
(سليم) الذي قد حل بالشام بأسه
ولاح بتبريز سنه فاصبحت
ومذ برقت بالشام انوار برقه
فسكن منها روعة بقدميه
وواجه مصرًا بالاذى اذ تلكأت
وقد غرها الغوري فغار بدابق
فاصبح مصلوباً بباب زويلة
ولم يبق من ابناء شركس ناعق
واضحى سليم للمقامين خادماً
وعاشرهم ذو الرأي والبأس والندا
قد انتظمت بغداد في سلك ملكه
وقد ظهرت آثاره في حديثها
فنها ويا لله غزوة رودس
وفي سكتوار بعد ان فتحت له
فلاحت بافق الملك طلعة شبهه
لمتمو العليا قبرص اذعنت

وعاد لجبر الحال خوف تألم
له فتح اصطنبول اشرف مغنم سنة ٨٥٥
وكلهم في وصلها ذو نعم
خبايا المنايا بين جيش عرمرم
له لبس اظفاره لم تقلم
لدى حيث التت رحلها ام قشع
بتكبير منشي العالمين ومعدم
كانهم قد خضبوها بعظم
وما هو عنها بالحديث المترجم
ابو الجود ما ذا سد خلة معدم سنة ٨٨٦
غدت في جبين الدهر غرة ادهم
فادبر يطوي الارض من قرب جهنم سنة ٩١٨
عروساً تجلت في وشاح منمن
دعته دعاء البأس المتظلم
وضمت عليه سورها ضم معصم
فاجرى بها نيلاً تدفق بالدم
واقبل طومان كذيب لضيغ
يداس باقدام ويوطا بمنسم
كانهم قد لامسوا عطر منشم
بذاك ينادي للسلطين خدم
(سليمان) جراح العدا كاس علقم سنة ٩٢٦
فصار له امر العراقيين ينتمى
حدادة الوري تحدو بها كل موسم
تغنى بها طير الفلا بترنم
اجاب الى المولى بقلب مسلم
(سليم) عظيم الملك فرع معظم سنة ٩٧٤
تقابل مسعاه بوجده مقسم

وفي يمن من بعد بدء فتوحه
واحياء به الرحمن تونس عند ما
فشد بضبي سعدا فاقامه
ومن بعده قد بايع الناس فرعه
ويتلوه في دست الامامة شبهه
اقام على اغرى فابدى بافقه
وعفر للرحمن في الارض وجهه
وقام ابنه ذوالحسن (احمد) بعده
ومن بعد هذا (مصطفى) بن محمد
فبويغ (عثمان) بن احمد بعده
وقد عاد بعد الخلع خافان مصطفى
فجاء (مراد) نجل احمد بعده
اطل على دار السلام بجيشه
وقد لبست ما زانها لمسرة
وعادت الى عاداتها دار سنة
وقد قام (ابراهيم) وهو ابن احمد
بكندية منه وقد جاس ارضها
اقاموه عن كرسيه ونقدوا
(محمد) فرع منه فانصدع البنا
ولكنه لما تكامل واستوى
فتم فتحاً سنه والد له
وناهيك من فتح يضيق بيانه
ومن بعد هذا تم بالخلع امره
فقام (سليمان) اخوه مقامه
ومن بعده قد قام (احمد) صنوه
واعقب هذا (مصطفى) بن محمد
فقام اخوه (احمد) بعد خلع

لوالده الارضي اتي بالتمم
غدت بعد عزه شاخ في تحطم
وكان بقهر الاسر صاحب مجثم
(مراداً) كريم النفس وابن مكرم سنة ٩٨٣
(محمد) منضي الطرف عن فعل مأثم سنة ١٠٠٣
سحائب حرب اطرت كل لهدم
فآب بفتح الطواغيت مرغم
يحيي بيدر تحت تاج منظم سنة ١٠١٢
اقيم ولكن عقده غير مبرم سنة ١٠٢٦
وانزل عن قرب لامر محتم سنة ١٠٢٨
وانزل بعد العود مثل المتقدم سنة ١٠٣١
فكان كعلم لاح اثر توهم سنة ١٠٣٢
ناقذها من رانضي مذمم
والقت بما قد شان من ثوب مأثم
تجرر اذبال الهنا والتنعيم
فالله من حزم وحسن توسم سنة ١٠٤٩
باسياف اجناد لها نهش ارقم
لمن هو في عهد الصبا والتعلم
وهب من الكفار كل تضرم سنة ١٠٥٨
بدا منه حزم فاضح كل احزم
بكندية اعظم به من متم
عن النظم فانظر في التواريخ تعلم
فيالك من فعل قبيح مذمم
ولم يأل جهداً في صلاح المحطم سنة ١٠٩٩
فبات جراح لا تداوى برهم سنة ١١٠٢
واخر عما ناله من تقدم سنة ١١٠٦
وسلم لما شام برق التالم سنة ١١١٥

وقد فتحت تبريز قهراً ومورة
فبويع للسلطان (محمود) بعده
سنه ١١٦٨ ومن بعده قد قام (عثمان) صنوه
الى الموسقواذ وجه العزم نحوه
ومن بعده (عبد الحميد) امامنا
ابان له الله الهدى واناله
فهاك سلاطين الزمان جمعهم
وعدتهم سبع وعشرون قد غدت
ودولتهم خمس الهنيدات عمرت
وذا في ثمان بعد تسعين ضمها
وناظمها العبد الفقير محمد
يقول تناديني المعالي بقولها
ايا دولة اربت على كل سابق
وقد سلت حتى رأت في سريرها
(سليم) ابن خافان الخواقين مصطفى
فلا زال منها قائم اثر قائم
يقول حفيد الشيخ قدس سره
لقد انجح الدعوى بفضل نواله
بتسليم هذا الامر للث (مصطفى)
ولما قضى نجبا قتيلا من الاولى
تعالى الى دست الخلافة حازما
له صولة في روسيا مع بغاته
ومن بعده قام ابنه من لمجدهم
ألا انه (عبد الحميد) وحيدهم
بحرب القريم الخطب دام مصابرا
ونظم قانونا الى الخير راشدا
فاصبح وجه البسيطة مبهجا

بايامه وجه الزمان المظهم
هو ابن اخيه مصطفى المتقدم سنة ١١٤٣
ومن بعد هذا مصطفى (ذو التقدم سنة ١١٧١)
وجرد في حرب له كل اصرم
اخوه عظيم من عظيم مخم سنة ١١٨٧
رشادا وتسديدا لدى كل مبهم
بنظم كسب باللاكي منظم
سماه العلا منهم تضي بأنجم
وفي طول هذا العمر لم تك تهرم
الى مائة من بعدها الالف تعلم
اقل الوري المشهور فيهم ببيرم
اليك الذي قد قلت فيهم به اختم
عليها لعز الدين والملة اسلم
هاما به الدين الحنفي يحتمي
لدينك يا مولاي سنة وسلم سنة ١٢٠٣
الى زمن المهدي وعيسى بن مريم
موافقه في الاسم لا في التعلم
كريم له النعمى على كل مسلم
لعبد الحميد الفرد لقب بابن سنة ١٢٢٢
اضاعوا التقى واستبدلوا الامن بالدم
اخوه الرضى (محمود) خير ميم سنة ١٢٢٣
فارواهم ماء الردى والتقسم
غدى ينشر الاعلام في كل معلم
له النصرة الغراء في كل معظم سنة ١٢٥٥
فقال المنى من بعد طول تجهم
ونعم ما ابداه رأيه المقدم
بما نالها من فرط عدل متم

ومن بعد ذا وافى الى دست ضيغم
فذاك الذي عم البسيطة عزه
وان رمت عدا المآثر تكتفي
لقد خضعت سود الجبال لعزمه
ومذ ارتقى فوق السرير تتوجت
لذاك تبشير الولاية ارخت
ولكنما قد حل ما جل امره
فتم باهل الحل والعقد خلعة
(مراد) ولكن لم يطق عبء حملها
فنادوا سراعا مجمعين باسرم
الا انه (عبد الحميد) امامنا
فاربنى على كل الملوك مناخرأ
تلافي بحسن الرأي ماجل خطبه
فارجع قهراً طاعة الصرب بوسنا
كذا الجبل المسود لان عريكة
فكان الى الروس الطغاة معاضدا
وابقى اله العرش حوط الخلافة
فاسدى لها سلطانا فيض عدله
ولا زال يدي كل يوم فضائلا
فنسأل من فيض الكريم له حمى
ودونك بشرى للولاية ارخت
وازمت بشرى الحل تاريخها اذا
فتضمنت قصيدة الجد المشار اليه عليه سحاب الرحمة تاريخ السلاطين الذين
اولهم السلطان عثمان وآخرهم السلطان سليم ابن السلطان مصطفى كما تضمن تذييلنا
تاريخهم من السلطان مصطفى الى سلطاننا الخاقان عبد الحميد ايد الله وتبين مما سبق
ان الدولة العلية لم تزل منذ ستمائة سنة والله الحمد قائمة معتبرة بين الامم غير انها منذ نحو
مائتي سنة تناقصت سطوتها عما كانت عليه لا سيما في حروبها مع روسيا لان الدولة

له منخر اربى على كل ضيغم
وسلطانه فاق السوى بالتنظم
بذكر اسمه (عبد العزيز) مترجم
فاضحت لعز بالخلافة يأتي
بافعاله هام الزمان بانعم
حسيب به الاسلام ما زال يحتمي سنة ١٢٧٧
نخيف من الخطب العظيم المظهم
ونادوا بنجل للهام المقدم
لاخلال شرط بالامامة مخرم سنة ١٢٩٣
من يحسم الاهوال في كل معظم
عماد الوري والدين نجل المكرم
تلى بها الافاق في كل موسم
بدس العدو الموسقو المذم
وهرسك بلغارا بنصر متم
بفتك وحلم ثم عاد لاعظم
وحل القضا اعظم به من محتم
بابقاء جبل للمالك محتمي
باجرائه تأسيس عدل منظم
نترجم عن شد النعمى والتقدم
بنصر لاعلام الخلافة مبرم
مفتح ابواب الصفا والتقدم سنة ١٢٩٣
لعبد الحميد العيد اسعد موسم سنة ١٢٩٧

الروسية منذ وليها بطرس الاكبر في سنة ١٦٨٢ جعلت مطمح نظرها توهين شوكة الدولة العلية والاستيلاء على ما يسمح لها من ممالكها ثم الاستيلاء على بقية المعمور اقتداء بدولة الرومان في استيلائها في عنفوانها على سائر المعروف من الكرة اذ ذلك ويبرهن لهذا صريح الوصية المنسوبة الى ذلك القيصر واول من اشهرها في اوربا هو فريدريك كياردي سنة ١٨٣٦ وهذا تعريبها

من بطرس الاول الخ — الى كل من يخلفني على تخت روسيا التحية . فان الله سبحانه لم يزل منذ بداية الابد في اعانتنا واسدل فضله علينا بما حملني على الاعتقاد بان الامة المسكونة تتسلط ان شاء الله على الممالك الاورباوية (لا قدر الله) والدليل على ذلك ان الامم الاورباوية قد هزم اكثرهم واخذ البعض منهم في التلاشي فان ادركت روسيا تمام قوتها لا شك انها تغلب على سائر الممالك لما لها من شوكة الصغر وعندي ان هجوم الامم الشمالية على اوربا من احكام القدرة الالهية التي لا بد من تفوذها كما وقع سابقاً عند هجوم الامم المذكورة على مملكة الرومانيين فاحتيتها بعد اضمحلالها وانا وجدت روسيا جدولا صغيراً فتركتها نهراً وارجوانه باعثناء من يخلفني تصير بحراً عظيماً يغطي بياضه اوربا بأسرها ولا يتعرض لسيلائه عرمرم فحملني هذا الاعتقاد على ان اقرر هنا الاصول التي لا بد من اتباعها نظراً الى ادراك هذا المقصود المعبر وهي

اولاً

على ملوك روسيا ملازمة الحرب لتكون جيوشهم دائماً على حال الرياضة والاستعداد فلا يكفوا عن الحرب الا لاصلاح شأن المالية وجبر ما نقص من العساكر وتربص فرصة الهجوم على الاعداء فالحرب والصلح يتناوبان حسبما تقتضيه الحاجة نظراً الى توسيع دائرة شوكتنا وفلاح البلاد

ثانياً

عليهم ان يجلبوا من سائر الاقطار الاورباوية العارفين بالفنون الحربية مدة الحرب واما مدة الصلح فعليهم جلب من اشتهر من العلماء لتفيع الروسية بما يلائم الاخرى من دون خسارة ما لها طبيعة

ثالثاً

عليهم التداخل في سائر احوال الممالك الاورباوية وخصوصاً المانيا لقرها الينا

رابعاً

التداخل في احوال بولونيا وفي انتخاب ملوكها حتى لا ينتخب الا المحب للروسية وادخال جيوشنا بها لحماية هؤلاء الملوك الى ان يتيسر التسلط على البلاد راساً فان تعرضت الدول الاخرى تجب الاجابة الى مطالبهم الى ان تقدر على استرجاع ما سلبناه

خامساً

نأخذ من مملكة السويد ما يمكن اخذه ونجعل بينهم وبين الدانمرك عدواناً دائماً

سادساً

لا يتزوج اهل بيتنا الا بنات ملوك المانيا لتؤكد المحبة بين روسيا ومانيا وتكثير وسائل المواصلات بينهما

سابعاً

يجب الاعناء بمخالفة انكلترا لما لها من الحاجة الى اشجارنا اسفنها ولما نستفيد منها نظراً الى اصلاح شأن اسطولنا فضلاً عن تبديل فائدة تبديل ما لنا من الخشب وغيره من النتائج بذهب انكلترا وما ينشأ منه من كثرة المواصلات بين تجارها وتجارنا

ثامناً

نمد بقدر الامكان من جهة الشمال وعلى شواطئ البالتيك كما يجب السعي بالامتداد من جهة المغرب وعلى شواطئ البحر الاسود

تاسعاً

تقرب من القسطنطينية والهند بقدر الامكان فمن ملك القسطنطينية فقد ملك الدنيا فبناء على ذلك ينبغي ملازمة الحرب مع الترك ومملكة الفرس وجعل ترسخانات بشواطئ البالتيك والبحر الاسود وهذا من اللازم لنجاح ما قصدناه وينبغي ايضاً تعجيل مملكة الفرس من الاضمحلال وتنشيط التجارة التي كانت بين الشام وجبل قاف فتقدم الى الهند التي هي مخازن الدنيا وان حصلنا على ذلك لا حاجة لنا بذهب انكلترا

عاشرًا

يجب السعي في تأكيد المحبة مع دولة النمسا باسعاها ظاهراً على ما قصدته من التسلط على المانيا مع اننا نخوض عليها ملوك المانيا سرّاً

حادي عشر

نشارك النمسا فيما قصدناه من اخراج الترك من اوربا فان ظفرنا بالاستيلاء على القسطنطينية وظهرت دولة النمسا شيئاً من الغيرة لاجل ذلك فاننا نحث دولة من دول اوربا على محاربتها او نسلم لها جانباً مما حصلنا عليه ونسترجعه في اول فرصة

ثاني عشر

نجمع سائر الاغريق ببولونيا وبمالك النمسا ونسعفهم بقدر الامكان بالحماية والدفاع عنهم حتى يكونوا لنا احباء ما بين الاعداء

ثالث عشر

بعد الاستيلاء على مملكة السويد وغلبة الفرس وبولونيا والتسلط على الممالك العثمانية وجمع جيوشنا ودخول اساطيلنا بالبالتيك والبحر الاسود نشرع في المفاوضات السرية مع فرنسا ودولة النمسا في قسمة الدنيا بيننا فان ارتضت احدى الدولتين ما نعرضه عليها نستعين بها على قهر الاخرى ثم نهجم عليها ونغلبها ولا يصعب علينا ذلك حينئذ حيث يكون بيدنا ملك المشرق ومعظم اوربا

رابع عشر

ان امتنعت كلا الدولتين المذكورتين مما نعرضه عليها وهذا مما يبعد وقوعه يجب السعي بتحريض احدهما على الاخرى فتربص الفرصة ونهجم على المانيا بجيش عظيم ونوجه اسطولين الى البحر المحيط والبحر الاوسط للاستيلاء على فرنسا وبعد قهر فرنسا ومانيا لا يصعب الاستيلاء على بقية ممالك اوربا . اهـ

وهاته الوصية وان انكرتها رجال الدولة الروسية لكن السيرة السياسية والعسكرية الموجودة في الخارج من ذلك التاريخ الى الآن تصدق وجودها اذ هي مطابقة لها مطابقة النعل للرجل فلا زالت تمد سطوتها في اسيا واوربا ولما كانت الدولة العلية هي الدولة ذات الشأن المجاورة لها في كل من القارتين مع مخالفة الديانة جعلتها مطمح نظرها ووجدت سبيلاً لمخادعة الدول الاورباوية بالانتصار للمسيحيين الموافقين لهم في الديانة لما تدعيه من التعدي عليهم فتريد تحريرهم من استيلاء الدولة العلية عليهم على ما سيرد بسطه في الفصل الاول من الخاتمة فجعلت تثير ثورات في احد الاقسام ثم تنتصر له بان يجعل له ادارة مستقلة في داخلية وبعد مدة تغريه بالاستقلال وتنتصر له فاذا تم

استقلاله لا تلبث ان تبطله ثم تنتقل الى قسم آخر يواليه وهكذا ولما تفتنت الدولة العلية الى هذا المقصد تداركت الامر باصلاح الادارة على حسب ما تقتضيه الاصول الشرعية ويزيل تلك الاعتراضات حتى تقوى وتمنع نفسها وتستميل بقية الدول الاورباوية الى انصافها من مشاحناتها فتعاطى المرحوم السلطان محمود مبادي الانتظام بعد ان لاقى متاعب شديدة مع العساكر النكشارية الذين كانوا اعظم اسباب التخضم في الممالك العثمانية العلية حيث عاثوا في الارض بظلم الرعية والاستيلاء على الاحكام السياسية في القاعدة وانحاء الممالك وخروجهم عن طاعة السلاطين وتلاعهم بهم هذا بعد ان كانوا هم عدة الاسلام وناشري اعلام انتصاره عند ما نظمتم الدولة الى خلال القرن الحادي عشر فابتدأوا بما سبق ذكره وتمادوا عليه الى ان وهنت الشوكة وتداركها السلطان محمود فزال ذلك الصنف بالمرة بعد حرب ذريعة ونظم عوضهم العساكر النظامية على نحو انتظام العساكر الاورباوية في الممالك المتقدمة مع انه كان اذ ذاك في تعب عظيم من حرب الروسية التي كانت خاتمتها معاهدة ادرنة الموهنة لتامر استقلال الدولة العلية والجماعة للروسيا اليد في احوال الممالك العلية وكذلك كان السلطان في مهم من ثورة الاغريق في جزيرة مورا واضيف اليه غدر الاسطول الانكليزي باسطوله واساطيل الولايات التابعة للخلافة كمصر وتونس والجزائر اذ بينا تلك الاساطيل العظام راسية في بحر الجزر الاحتراس في شأن ثورة مورة واذا بالاسطول الانكليزي وارد عليها في صورة المعاضد لان السلم متأكد بين الدولتين ولم تكن بينهما شائبة حرب بالمرة واشارت الاساطيل الى بعضها بعلامات السلم فلم تلبث ان تحالت بين الاساطيل العثمانية حتى اذا تم تمككها منها اطلقت عليها النيران من جميع الجهات في آن واحد مع شدة الالتحام والتداخل والمساهمون في حال الدعة اعتماداً على السلم المحقق فهلك جميع تلك الاساطيل وغرقت في لجة البحر دفعة واحدة بمن فيها فكانت حادثة لا تنسى ولا تنمحي من صفحات التواريخ حتى ان اعضاء مجلس الاعيان ومجلس النواب من الانكليز انفسهم هاجوا وماجوا على دولتهم من تلك الفعلة والزموا الوزراء بالمحاكمة والقصاص فانكر وزير البحرية اذنه بذلك وقال ان فعل رئيس الاسطول لما فعل هو افتيات منه ولا علم للدولة به فالزموا احضاره والحكم عليه بالقتل وعند ما احضر وروفع في مجلس الحكم وصدر الحكم بقتله وعلم انه لم يبق له مفر اقبل على وزير البحرية وسارته في اذنه بقوله ايها الوزير ان تلك البطافة التي بخطك قد نسيت ان احرقها وها هي الآن في جيبى فبهت وجهه واطرق صامتاً ثم عقد جلسة

سريّة واطلاق سبيل الرجل ويقال ان الحامل على ذلك ما هو مركز في طباع الدول سيما اذا كان القصد هو اركاس المسطوع عليه لما ياتر به الساطي بيد ان الدولة الانكليزية لم تزل من ذلك الوقت الى الآن تعاضد الدولة العلية وتنصح لها وتظاهرها متى استطاعت كما ياتي ومع هاته الشدائد التي تقدمت الاشارة الى بعضها فالسلطان محمود رحمه الله ونعمه لم يزل جلدًا مقدامًا حتى انه لما بلغه خبر الاسطول وهو يحدث احد كبراء دولته لم يزد على سؤاله عن تحقق الامر من غير انزعاج ثم عاد لحديثه الذي كان فيه وشهر عن ساعد الجد في تجديد الاسطول وافرار الراحة بانتظام العساكر النظامية والاحكام السياسية والشرعية فاخترته المنيّة قبل الاستتباب وتسلطن ولده السلطان عبد المجيد فاخذ في السعي في الانتظام وتغيير السيرة القديمة الى التهذيب الوقفي الذي هو موافق للشرع العزيز كما ياتي في الفصل الرابع من الخاتمة واصدر فرمان العالي المحدث للتنظيمات وتعريته هو

من المعلوم عند الجميع ان دولتنا العلية لم تزل من مبداء ظهور امرها معنيّة بكمال الرعاية للاحكام القرآنية الشريفة والقوانين الشرعية المنيفة وان سلطنتنا السنية قد وصلت بذلك الى الدرجة القصوى من القوة والمكانة ورفاهية الرعايا وعمارة المدن والقرى الا انها منذ مائة وخمسين سنة تناقصت قوتها ومعمورية ممالكها واخذت في التاخر والضعف وذلك لغوائل متعاقبة واسباب متنوعة نشأ منها تجاوز الحدود الشرعية والقوانين المرعية ولا يخفى ان الممالك التي لا تنسج ادارتها على منوال القوانين الشرعية لا تدوم استقامتها فلذلك لم تزل افكارنا منذ جلوسنا على سرير الملك مصروفة الى تدبير وسائل عمارة الممالك ورفاهية الاهالي مما يحصل به المطلوب في مدة يسيرة بعون الله تعالى نظرًا الى حسن الموقع الجغرافي المحيوي على ممالك دولتنا العلية ذات الاراضي الخصبة والاهالي ذوي الاستعداد وتمام القابلية الى ان راينا من المهم وضع قوانين جديدة مؤسسة على القواعد الشرعية المشيدة واعتمادنا في وضع ذلك على العناية الربانية متوسلين بحرمة سيد البرية صلى الله عليه وسلم ومدار القوانين المشار اليها على وجوب حفظ النفس والعرض والمال وعلى بيان المرجع في تعيين الاداء وجلب العساكر اللازمة اما وجوب حفظ النفس والعرض فلكونها اعز الامور الدنيوية فاذا خشي الانسان عليهما اضطر الى التشبث بهن يرجو به وقيتهما كائنًا من كان وان لم يكن في اصل فطرته مجبولا على الخيانة ولا يخفى ان ذلك مما يضر بالدولة والمملكة بخلاف ما اذا كان آمنًا

على نفسه وعرضه فانه لا يجيد عن طريق الصدق والاستقامة وصرف الهمة الى حسن الخدمة لدولته وملته. واما المال فان من نقد الامن عليه لا يتأتى له القيام بحقوق دولته اذ لا يخلو دائماً من شغل بال واضطراب حال بخلاف ما اذا كان آمنًا على ماله فانه يشغل نفسه بما يعنيه في دينه ودنياه وينظر في توسيع دائرة معارفه وعيشه وبذلك يتمكن من قلبه حب الوطن وتشد غيرة عليه وعلى دولته ويكون سعيه على حسب ذلك واما تعيين الاداء فالمرجع فيه ان كل دولة تحتاج في حفظ ممالكها الى القوة العسكرية كما تحتاج في ضبط تصرفاتها الى مصاريف لازمة فلا بد لها من مبلغ وافر من المال بحسب احتياجها وانما يتحصل ذلك بما يضرب على اتباع تلك الدولة فلزم ان يوضع للاداء المشار اليه طريقة مستحسنة وذلك ان الاستبداد وان بقيت معه ممالكها سالمة والحمد لله على ذلك لكن ظهرت آثاره من الاختلال والخراب وذلك لان جعل زمام مصالح المملكة السياسية وامورها المالية بيد شخص واحد موكولة الى اختياره بل لا مانع ان يقال موكولة الى قهره وجبره يتسبب عنه ما ذكر خصوصًا اذا لم يكن ذلك الشخص من اهل الخير فانه يوتر منفعة على منفعة الغير وتكون تصرفاته مبنية على الظلم والظير فوجب لذلك ان نبادر بترتيب معيار مضبوط يعتبر في توزيع الاداء على الاهالي مراعى فيه قدر المكاسب واليسار بحيث لا يؤخذ من احد ما فوق مقدوره بعد ان يجعل لمصاريف الدولة اللازمة للعساكر وغيرها حد محدود بقوانين لا تتعداها واما جلب العساكر فهو من اهم ما يتوقف عليه حفظ الدين والوطن والذب عنهما فيلزم الاهالي ان يقدموا اشخاصًا منهم للخدمة العسكرية لكن الطريقة الجارية في ذلك الى الآن معا فيها من عدم الانتظام تؤدى الى اختلال اصول الزراعة والتجارة والى قلة التناسل (فيقع النقص في الاموال والافس والثمرات) ومنشأ ذلك عدم اعتبار عدد النفوس الموجودة ببلدان المملكة فيؤخذ من بعضها اكثر من المقدور ومن بعضها اقل من الميسور واستمرار الجندي في الخدمة العسكرية مدة حياته وبذلك يقل النسل ويحصل الضجر الخلل بفوائد الخدمة المذكورة فبناء على ذلك نرى من اللازم اذا مست الحاجة لاخذ العسكر من الممالك ان يوضع لذلك اصول مناسبة جارية على منهج المساواة المطلوبة ثم يسلك في الاستخدام العسكري طريقة المناوبة بحيث لا يبقى الشخص في الخدمة المذكورة اكثر من خمسة اعوام مثلاً فهذه الاصول التي عليها مدار القوانين والتنظيمات يحصل بمعونة الله نمو العمران والقوة والامن والراحة فلذلك نقول يلزم من الآن فصاعدًا ان لا يعامل احد

من ارباب الجرائم والجنايات بما ينفي الى ائتلاف نفسه من سم ونحوه بدون مبالاة بل لا يحكم عليهم الا بما تقتضيه القوانين الشرعية وان لا يسلط احد على الوقوع في عرض آخر وهتك حرمة وان يتصرف كل انسان في امواله واملاكه بغاية الحرية وعدم المعارضة وان من جنى جناية لا يحرم ورثته من حق وراثته بالاستيلاء على امواله للجناية التي هم براء منها وهذه المساعدة مناجارية في حق المسلمين وغيرهم من اهل الملل التابعين لسلطنتنا بدون استثناء احد منهم ولا تمام الامان وتعميم الاطمئنان يزداد في اعضاء مجلس الاحكام العلية قدر ما يلزم للنظر في سائر اللوازم وفصلها بما يتفق عليه الاكثر وعلى وكلاء دولتنا العلية ان يحضروا المجلس المذكور في بعض الايام ويبيدي كل واحد ما يستصوبه دون تحاش ولا مداراة واما المفاوضة في شأن التنظيمات العسكرية فانها تكون بدار الشورى الكائنة بمحل السر عسكر وكل ما يستقر عليه الرأي من القوانين يعرض علينا لنوشحه بالخط الميمون ويكون دستور العمل الى ما شاء الله وحيث كان وضع القوانين الشرعية المشار اليها انما هو لاحياء الدين والدولة والملك والملة اكدنا ذلك بالعهد والميثاق من طرفنا الملكي على ان لا يصدر منا شيء يخالفها واقسمنا على ذلك في بيت الخرقه الشريفة بمحضر جميع العلماء والوكلاء وسيخلف كل منهم على ذلك فاذا صدر بعد ذلك من احد الوزراء والعلماء ما يخالف تلك القوانين الشرعية فانه يجازى بالنأديب المناسب لجريمته الثابتة بدون التفات لرتبته ولا مراعاة لذاته وحيث ان مأموري الدولة لم مرتبات كافية ومن ليس له ذلك الآن سيرتب له ما يكفيه وجب ان نشدد في قطع مواد الرشوة المستبشرة طبعاً وشرعاً بوضع قانون يخص عقوبتها ولاستبقاء التنظيمات المشار اليها والاصول المبنية هي عليها المغيرة للعوائد الجورية القديمة وجب ان ننشر هذه الاوراق السلطانية الى همراء الدول المتحابه المقيمين بالاستانة العلية ليكونوا شاهدين على امضاءها كما ننشرها الى اهالي الاستانة وسائر ممالكنا المحمية فمن سعى في حل عرى هاتيه القوانين الموضوعة على اساس شرعي متين فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ولا ينال فلاحاً الى يوم الدين ونسأل الله تعالى ان يوفقنا لاجراء هذا الخير العميم آمين اهـ

ثم ان الجهلاء واصحاب الفوائد الشخصية من المنتسبين للعلم او من اهل السياسة كادوا ان يحدثوا تحييراً في الممالك باشاعة ان التنظيمات تضاد الديانة الاسلامية فاضطر المرحوم السلطان عبد المجيد الى ازالة هذا الوهم من الافكار بارساله شيخ الاسلام احمد عارف الى المالك فقام فيهم خطيباً يشرح ان الشرع المحمدي لا يخالف التنظيمات بل

يقتضيها ولما كان هذا العالم معروفاً بالرسوخ في العلم والورع انقادت العامة لمواعظهم اما ذوو الغايات الخصوصية من ذوي الرياسات فلم يألوا جيداً في تعطيل اجراء التنظيمات بالفعل الى ان وجدت روسيا سبيلاً الى المداخلة سنة ١٢٧٠ فاضطرت الدولة العلية الى حربها المعروفة بحرب القريم وظهرها كل من دولتي فرنسا وانكلترا وسردانيا حيث توجه نامق باشا الى فرنسا والتي على مسامع الامبراطور نابليون الثالث باعانة وزيره دوروان دولويز ان غرض النظر عن تطاول روسيا لا تأمن بوائقه الدول الغربية لان روسيا لا تسمح الله لو تسلطت على الاستانة اما حساً او معنى لماكنت التسلط على البحر المتوسط وحجرت التجارة عن سائر الممالك الشرقية من الممالك الغربية وايضاً تحصل على النفوذ السياسي الذي تخضرم به الدول الغربية اذا لم تقل انها تستولي عليها وحيث كانت فرنسا ناشرة راية الفخر في المعمور لا يسوغ لها اغضاء النظر عن هذا الحادث وترك الدولة العلية منفردة مع خصمها الالد وبسط هذا المعنى بجمرة نفس حركت النخوة الفرنسية في الامبراطور فاجابه الى معاضدة الدولة العلية وشار عليه بان يستوثق من انكلترا محالفتها ومعاضدتها فما وصل الى لندرة حتى وجد القوم في قلق من انتظاره وكادوا ان يحملوه على الاعناق وفتحت دار الندوة لمطالبة وتلقاه اهلها بالرحب والقبول وحماية الذمار فلم تلبث الحرب بضع اشهر حتى اعلنت فرنسا وانكلترا حربهما لروسيا وانضمت اليهما دولة سردينيا اذ كان ذلك تسبباً منها لاتحاد ايطاليا ودخولها في زمرة الدول العظام وامتدت الحرب واستمرت نيرانها الى ان سلمت روسيا للصلح على شروط معاهدة باريس ومضمونها هو ابقاء استقلال الدولة العلية في جميع اجزاء ممالكها واستقلالها في سائر تصرفاتها الداخلية التي يشترط فيها الحرية والامن التام لرعاياها على اختلاف اصنافهم واما المالك التي لها استقلال في ادارتها وهم من النصارى كالصرب والجلب الاسود والافلاق والبغدان فتبقى ممتازة تؤدي الخراج للدولة تحت حمايتها واما البحر الاسود فيكون حائداً حتى لا يسوغ لاحدى الدولتين المالكيتين لشطوطه جعل سفن حربية فيه سوى عدد يسير لمجرد حفظ الراحة الداخلية وكذلك نهر الطونة يكون نهراً تجارياً فقط تحت منازرة جمعية اورباوية ومن ذاك الوقت نخلصت الدولة العلية من اثقال روسيا السابقة ودخلت في سلك الدول الاورباوية العظام وتكفلت الدول باستقلالها ومن سوء النجتم لم يزل اغلب المتوظفين في غفلاتهم مصرين على السيرة الاستبدادية والعدو منهم بالمرصاد فالف جمعيات سرية في قواعد ممالكهم وارسلت عمالها الى الولايات العثمانية التي اغلب

سكانها نصارى والتوا دسائسهم بتعليم الثوران والقاء العداوة بين الراعي والرعية هذا وسفير روسيا في قاعدة الخلافة يحسن اوجه التودد الى روسيا والاستماع الى نصائحها الملائمة لطباع من استماله من الرجال من الاستمساك بالسيرة الاستبدادية التي هي سيرة روسيا لكن على شرط التسليم في الولايات التي يسكنها الصقالبة وبذلك تعقد دولة روسيا مع الدولة العلية معاهدة على الذب والاقدام وتعوضها بمعاذتها ممالك اسلامية عوضاً عما يخرج من عندها وتساعدوا ايضاً على الخط من ديونها الى المقدار الذي يظهر لها فائدت هذه الوسوس واعلنت الدولة العلية بعدم اقتدارها على دفع فائدة ديونها حتى اغتازت منها سكان اوربا واستعمل الاهال في شأن تلك الجمعيات السرية حتى ثارت ولايتا بوسنه وهرسك ثم البلغار ثم الجبل الاسود ثم الصرب وتدارك رجال الدولة الصادقين الخطب بتنظيمهم الى الدسائس الباطلة التي ليس القصد منها الا اضعاف الدولة بيدها وجعلها في قبضة عدوها وافرادها عن الدول الناصحة لها مع انها استقرضت من رعاياها منذ سنة ١٢٧٠ نحو خمسة الاف مليون فرنك ولم يحصل منها ومن مداخيل الدولة التي هي نحو عشرين مليوناً ليرة في السنة على ممر تلك السنين التي هي نصف وعشرون سنة مما يصح ان يعد الا ما تضمنه التقرير الذي قراه الصدر الاعظم بمحضر السلطان عبد العزيز في الباب العالي وهذا مضمونه « انه قد اتخذ جميع الوسائل اللازمة لاصلاح شأن المجالس الحكيمة واتقان تنظيمها وترتيب خدمتها على اعدل وجه ممكن حتى ينال جميع رعايا الدولة منها غاية مأمولهم من حسن المعاملة والانصاف من غير مراعاة الجنسية ولا المذهب وانه بذل جهده في اصلاح قوى الدولة وتنظيمها على ما يعادل تنظيمات الدول الاخرى وان جملة العساكر مع الرديف تبلغ الآن ثمانمائة الف نفر مجهزة الجهاز التام ومصحوبة بما يلزمها من المدافع المتقنة حسب الاختراعات الجديدة وان الاساطيل اعنت باصلاحها غاية الاعناء حتى اصبحت الدولة العثمانية الآن عندها منها ما يجعلها بمنزلة الدول البحرية الكبار وانه متى نجزت السفن المشروع الآن في انشائها في الترسانة العلية يكون للدولة من الفرقاطات المدرعة والمونيتور (وهي سفن ذات ابراج) سبعة عشر فلكاً وانه أبرز الاوامر اللازمة لتحسين سائر حدود السلطنة بالابراج والحصون حسبما تقتضيه ضروريات الوقت وانه جيز ترسانات الدولة بالادوات والمكينات والمهمات اللازمة حتى صارت الآن تستطيع ان تجاري ترسانات اوربا في انشاء السفن الحربية او اصلاحها وانه يفرغ عما قريب من انشاء المصنع الجديد الذي شرع في انشائه

منذ مدة في الطوبخانة وهو مصنع يستطيع ان يصب ثلاثمائة مدفع في كل عام من أحسن مدافع الشيشخان وان اهتمامه الآن بمساعدة وزير المعارف واقراء الوزراء الاخر موجه الى تكثير عدد المكاتب والمدارس توفيراً لاسباب التعليم وترتيبها على وجه يمكن سائر الناس من الانتفاع بها الانتفاع المطلوب وان الاعمال المتعلقة بالسكك الحديدية والطرق المعدة لسير العجلات واقع الاهتمام بها من غير انقطاع ولا توان وان في اواخر اغسطس الآتي تكمل سكة الحديد المشروع في انشائها بين اسكودار وازميدوان الحراثة لا يزال موجياً اليها كل ما تستحقه من عظيم اعنائهم واهتمامهم وتنال يومياً من التسهيلات سائر ما تحتاج اليه منها دوام اعفاء الادوات والآلات اللازمة لها على اختلاف انواعها من اداء رسوم الكرك على الاطلاق في سائر اقاليم السلطنة وهذا كله لزيادة ترغيب الناس في الاشتغال بها حالة كونها هي اعظم بنايع الثروة في الممالك وختم الصدر الاعظم تقريره بقوله ان مالية الدولة باقية على ما كانت عليه . هذا وبعض التقرير لم يكن في الخارج طبق ما ذكر ولهذا تفاقم الامر فيما بعد الى ان استندت رجال السياسة والعساكر الى فتوى من شيخ الاسلام في اخلال فكر السلطان واولوا السلطان مراداً وحيث كان ضعيف المزاج واتزعج بكيفية ولايته وبموت عمه وبالثورة على الوزراء من بعض المعينين لم يطبق تحمل عبء الخلافة فاستند اهل الحل والعقد الى فتوى ايضاً واولوا سلطاننا عبد الحميد ايداً الله فتدارك امر الادارة باصداره الخط الهايوني عند تقديم البيعة وهذا تعريبه « انه لما اعتزل اخي الاكرم حضرة السلطان مراد الخامس عن مشاغل السلطنة والخلافة وفرغ منها جلسنا بموجب القانون العثماني على تحت اجدادنا العظام وقد وجهنا لعهديكم مسند الصدارة العظمى ورياسة مجلس الوكلاء ابقاءً وتجديداً بناءً على ما لذاتكم من الروية المسلم بها والحمية المجربة وما لكم من الوقوف والاطلاع على مهم امور الدولة وكذلك اقررنا جميع الوكلاء على مناصبهم وانني شديد الاتكال في جميع الاحوال على تسهيلات جناب موفق الامور (هو الله سبحانه وتعالى) وتوفيقاته الصمدانية وقصارى آمالي ومقاصدي معطوفة بالحرص لتأييد اساس شوكة دولتنا ومكنتها بحيث تنال صنوف تبعتنا بلا استثناء الحرية ويتنعمون جميعاً بنعمة العدالة والرفاهية فأؤمل بثقة تامة ان جميع وكلاء دولتنا وعما لها يشاركوننا في هذا الاثر ويعاونوننا عليه وقد عرف الناس اجمع بان حال الجحرا والاعشاش الملم بدولتنا له جنات واسباب متنوعة وصور واشكال متعددة فاذا امعنا النظر في ذلك من اي جهة كانت تجتمع مبادئه واسبابه في نقطة واحدة وهي عدم

جربان القوانين والنظامات المؤسسة على الاحكام الجلية الشرعية التي هي المسند الاساسي في دولتنا على حقها وتامها واتباع كل فرد اهواء نفسه في ادارة الامور اما اتساع ميدان عدم الانتظام الطارىء على ادارة دولتنا ملكاً ومالاً وما حصلت عليه امور ماليتنا من عدم الامنية في الافكار العمومية وتعذر وصول المحاكم الى الدرجة المتكفلة بتأمين حقوق الناس وتاخر استفادة مملكتنا حالة كونها قابلة لانواع وسائل العمران كالخرف والصنائع والتجارة والزراعة كما هو مسلم فهو من عدم الثبات الذي وقع على كل ما شرع به من الاجراءات وكل ما حصل من التثبثات الصادرة عن نية خالصة لمقصود اعمار مملكتنا ورفاهية حال رعايانا وتبعتنا وسعادة حالهم ونوالهم بدون استثناء الحرية الشخصية وكون ذلك باجمعه صار عرضة لتغييرات متنوعة منعت انتاج المقصد الاصلي فلا ريب في انه تولد ونشأ عن عدم الثبات باتباع القانون والنظام ولذا كان من اهم ما يلزم ان التدابير الواجب وضعها اولاً فاولاً في مطلب قوانين المملكة المقترضي وضعها وتنظيمها في صورة تكفل بامنية العموم وثقتهم ينبغي ان يتدبرها من هذه النقطة المهمة وهي ان يترتب مجلس عمومي تكون افعاله وآثاره مستوجبة لثقة العموم واعتمادهم ويكون موافقاً لقابلية مملكتنا واخلاق اهلها كائناً باتمام تأمين اجراء القوانين حرية بحرف سواء كانت القوانين الموجودة او التي نتأسس من الآن فصاعداً توفيقاً (موافقة) لاحكام الشرع الشريف المقدسة ولما هو بالحقيقة ضروري ومشروع لمملكتنا وملتنا وناظرًا في موازنة واردات الدولة ومصاريفها فليبحث الوكلاء في هذا المطلب ويتذكروا فيه بتدقيق وتأمل ويعرضوا قرارهم لدينا ويستأذنوا عنه ثم لما كانت مسألة توديع الماموريات الى غير اهلها من المامورين وتبديلهم المتوالية من غير سبب مشروع هي من جملة الامور الباعثة على ايقاع جريان القوانين والنظامات كما ينبغي في حيز الاشكال وهذا مما ياتي بكبر المضرة ملكاً ومصلحة فينبغي ان يتعين من الآن فصاعداً مسلك مخصوص لكل نوع من الخدم والماموريات وتتخذ قاعدة ثابتة يستخدم بمقتضاها في كل عمل من يكون اهلاً له ولا يعزل احد او يبدل من ماموريتهم بلا موجب على وجه ان تكون كافة الوكلاء وماموري الدولة كباراً وصغاراً مسؤولين عن الوظائف الموكولة لهم كل بحسب درجته وكما هو معلوم لدى الخافقين ان ترقية ملل اوربا المادية والمعنوية انما هي حاصلة بقوة الفنون والمعارف ولما كان استعداد كافة صنوف تبعتنا وما فطروا عليه من الذكاء والحمد لله يؤهلهم من كل وجه للترقيات واهم ما لدينا من الامور

الاسراع بتعميم المعارف فاخص ما نتمناه والحالة هذه ان يحصل الاجتهاد بابلاغ تخصيصات المعارف الى الدرجة الكافية حسبما يساعد الامكان وان تستحصل الوسائل الموصلة لتعميم نشر اصول المعارف على النور وبيادر عاجلاً لاصلاح الاصول الملكية والمالية والضبط في الولايات بحيث توضع ضمن دائرة الانتظام في صورة مناسبة للقاعدة التي نتخذ في المركز وحيث ان الحادثة التي ظهرت في العام الماضي في اطراف هرسك وبوسنة باغراء ارباب الاغراض قد انضم لها ايضاً مسألة عصيان الصرب والدم المهرق من الطرفين انما هو دم اولاد وطن واحد وكان دوام هذه الحال التي يرثى لها موجب لكدرنا وتأثرنا الشديد يلزم التثبث بالتدابير المؤثرة المنفضية لاستئصالها وفيما نؤيد مجدداً كافة احكام المعاهدات المنعقدة مع الدول المتحابية نؤثر رعايتها على الوجه الحسن فينبغي المتابعة بالاجتهاد على ازدياد روابط الحب والمسالمة المتبادلين بيننا وبين الدول ونسئل حضرة الرب المتعال ان يقرن مساعينا جميعاً بتوفيقاته السبانية في كافة الاحوال آمين . يوم الاحد في ٢٢ شعبان سنة ١٢٩٣

ثم اعلم الحزم في الثورة وقهر جميع العصابة في سائر الانحاء وعند ما رأت روسيا تهمل الوسائل التي اعدتها لم تطق صبراً حتى جيشت الجيوش ووقفت على قدم الحرب بدعوى ان تعهدات الدولة العلية في حق النصارى لم تجر وانهم لا زالوا في الظلم من الولاة والتعدي من المسلمين وان تعهداتها الجديدة الموافقة للاتحة الكونت اندراسي وزير النمسا التي قدمها على وجه المودة والنصح والمساعدة للدولة العلية للاصلاحات المطلوبة للولايات النائرة هي غير كافية ولم ترضهم فتريد اذا الدولة الروسية ان تطلب الاستقلال في الادارة لتلك الولايات على ان تكون تحت حمايتها وانها تنفذ هذا بقوة السلاح لولا ان انكثرتا جاشت في حلقها وصرحت لما عند ما كانت قد التائرين حساً ومعنى انها ان لم تكف عن هذا الحرب السري فانهما تدخل معها في الحرب الجيري وكذلك دولة النمسا اظهرت التحرش من جبهتها خوفاً من كل منهما على مصالحها اذ دولة الانكليز تخاف من تملك روسيا خليج فارس وخليج السويس وبذلك تسقط من يدها مستعمراتها في الهند ودولة النمسا تخشى علوكعب الصقالبة بجوارها فيظهرون عليها وتلاشى فيما بينهم مع سابقة التآلف بين العثمانيين والهنكاريين الذين هم قسم مستقل من مملكة النمسا حتى ان رئيس الدولة يلقب بامبراطور النمسا وملك هنكاري وهذا التآلف جاء من مساعدة العثمانيين لهم عند ما كان قسم النمسا قاهراً لهنكاري مستبداً عليها في التصرفات السياسية غير

انه منع كل من الدولتين مانع من انفاذ قصدها بالفعل . فاما دولة انكتره فانها لما كانت دولة حرية مجنة لم يكن في قدرتها التصرف الاعلى طبق ارادة الامة وامتها منقسمة الى حزبين احدهما يسمى حزب المحافظين والثاني يسمى حزب الاحرار وتقدم بسط هذه التسمية في الكلام على انكترا وكان الحزب الثاني مضاداً لانتصار دولته للدولة العلية حتى انه لما كان بيده زمام التصرف في سنة ١٢٨٨ وانتهزت روسيا الفرصة من حرب جرمانيا وفرنسا فطلبت تغيير معاهدة باريس فيما يتعلق بتقوية شأنها في البحر الاسود ساعدت اذ ذاك دولة انكترا على ذلك المطلب وغير شرطه وفي هاتو النزله المتكلم عايتها كان التصرف بيد حزب المحافظين لكن الحزب الآخر مضاد لم وكاد ان يجذب اليه الحزب الآخر فلم يكن في وسع زعماء هذا الحزب الذين بيدهم زمام تصرف الدولة ان يخالفوه بالمرة سيما والباعث على انفاذ سياستهم مع المخالفة لم يحصل في هاتو المسألة كما يفقه البصير واضف الى ذلك عدم تحقق محالف ذي قوة برية معتبرة يمكن لانكترا ان تتعاقد معه للانتصار للدولة العلية لان فرنسا الوحيدة لمثل ذلك لم يكن في وسعها الارتباك في الحرب لما تقدم في الفصل الثالث من المقصد في الكلام على فرنسا وهذا السبب المتعلق بفرنسا ذاته هو الذي نكص دولة النمسا عن انفاذ قصد النكاربين في معاضدة الدولة العلية حيث ان الموازنة الاورباوية تغيرت وتحالف الامبراطرة الثلاثة اي امبراطور المانيا والروسيا والنمسا اما حقيقة واما حكماً على مساعدة بعضهم ونفعهم كما بينت في الحوادث فلاجل الجواذب المتباينة المشار اليها غاية ما استطاعته كل من انكترا والنمسا لكبح روسيا ان عقدوا مؤتمراً في الاستانة للاتفاق ما بين الدول الموقعين على معاهدة باريس على ما ينصلح به الحال ويرجع السلم بين الدولتين المتنازعتين فأرسي امرهم فيه على ان طلبوا من الدولة العلية ما يأتي

اولاً . تغيير حدود الجبل الاسود باعطائه بعض اراضي من المملكة العثمانية . ثانياً تشكيل لجنة من مرخصي الدول الاورباوية لتعيين تلك الحدود الجديدة . ثالثاً ابقاء حكومة الصرب على الحالة السالفة بان تكون لهما ولا عليها وتقرر حدودها من جهة بوسنة عملاً بمقتضى الخط السلطاني الصادر سنة ١٢٣٢ . رابعاً الولاة الذين يتعينون الى بوسنة وهرسك والبلغار ينتخبون من جانب الباب العالي مع موافقة دول اوربا في ذلك وابقائهم في مأمورياتهم مدة خمس سنين . خامساً نظراً الى الموقع الجغرافي تقسم تلك الولايات الى الوية ويتعين لها متصرفون من جانب الباب العالي بعد انتخاب اولئك الولاة لهم . سادساً

انشاء مجلس مركب من ثلاثة اعضاء بكل من الولايات تنتخبهم مجالس الولايات لتحرير دخل الولاية وخرجها وانتخاب اعضاء مجالس الادارة وتوزيع الضرائب السلطانية على الاهالي ما عدا رسوم الكمرك والدخان الراجعة للدولة العلية . سابعاً ابطال طريقة التزام مداخيل الدولة واسقاط البقايا السابقة بكل من الولايات الثلاث . ثامناً دخل الولايات المذكورة عدا ما هو راجع للدولة كالدخان والكمرك يعطى منه قسط لخزينة الدولة العلية والقسط الباقي يصرف في مصالح الولايات المذكورة وينظم لكل منها دستور للعمل بذلك . تاسعاً ترتيب المحاكم النظامية . عاشرًا اعطاء حرية الاديان . حادي عشر تنظيم الحرس الاهلي . ثاني عشر العفو العمومي عما سبق من الجنايات السياسية . ثالث عشر اعطاء رخصة للاهالي في شراء الاراضي السلطانية . رابع عشر الشروع في تنفيذ تلك الشروط قبل مضي ثلاثة اشهر . خامس عشر تعيين لجنتين من طرف دول اوربا للاحتساب على اجراء تلك الشروط . غير ان الدولة العلية امتنعت من قبول الاقتراحات المذكورة مخنجة بانها صارت دولة قانونية حرية لجميع اصناف رعاياها على السواء بالقانون الاساسي الذي أحاط به المملكة السلطان الغازي عبد الحميد ايد الله ملكه وقد سبقت الاشارة اليه في الفرمان الذي اصدره عند البيعة العامة وابرزته للعمل بالفعل عند ما كان المؤتمر في مفاوضاته واصحبه بالخط الشريف الآتي نص تعريه في موكب مشهود وكانت تلاوته في يوم كانه يوم عيد وهو

” وزيرى سميع المعالي مدحت باشا

” ان سطوة سلطنتنا كانت في حالة القهقرة في الايام السالفة واسباب ذلك التقهقر لم تكن ناشئة عن المشاق الخارجية فقط بل انما وقعت لاجل الانحراف عن الطريقة المستقيمة في الادارة الداخلية حتى ضعفت امانى وثوق الرعايا بالدولة ولذلك كان المرحوم والدنا الماجد السلطان عبد الحميد منح بعض اصول في تحمين الادارة معروفة بالتنظيمات الخيرية اشتملت على تأمين جميع الرعايا في انفسهم ومالهم وعرضهم وشرفهم طبقاً لقواعد الشريعة المطهرة والتنظيمات المذكورة هي التي كانت سبباً لبقاء السلطنة محافظة على لوازم الامنية الى الآن ومن آثارها المشكورة انها سهلت لنا نجاح مساعينا في تأسيس هذا القانون الجديد الذي اقتضته اراء رجال دولتنا التي نتجت عنهم بحريتهم حيث استندوا الى تلك الامنية وقد تيسر لنا في هذا اليوم الاعلان به . ولما كان هذا اليوم من الايام السعيدة فانه يلزمني ان نذكر الان المقدس المرحوم والدنا ونصفه بعنوان محيي الدولة وان نذكر

مقاصده الحسنة ولا شك انه كان سعى بنفسه في ادخال السلطنة في العهد القانوني الذي سنستظل به الان ولو توفرت مدة تأسيس التنظيمات الخيرية الاسباب المتوفرة الان لكان والدنا المرحوم اسس اذ ذاك احكام هذا القانون الاساسي ولكن العزة الالهية قدرت ان يكون هذا التبديل السعيد الذي هو الكفالة العظمى لخير رعايانا في مدة ولايتنا والله المنه على ذلك. ومن المعلوم المقرر ان اصول ادارة الدولة صارت مغايرة للتبديلات المتتابعة التي وقعت شيئاً فشيئاً في تصرفاتنا الداخلية وفي زيادة خلطتنا مع الدول الاحباب وغاية مرغوبنا ازالة جميع الاسباب المانعة للامة وللبلاد من الانتفاع بالنتائج الطبيعية التي لهم حق فيها كما يلزم وان نرى جميع رعايانا قد جاوزوا الحقوق التي من علائق الامم المهذبة بحيث يكون كلهم متعاضدين بنية سالمة في التقدم والالفة والاتحاد فكان من الواجب اتخاذ طريقة نافعة مستقيمة للحصول على المقصد المذكور ووقاية حقوق الدولة ومحو الخطيئات وانغلطات الناتجة من الاعمال الغير المباحة الناشئة من وجود التصرف الاستبدادي بيد نفر واحد او بعض انفار وان نمنح حقوقاً متساوية لجميع الطوائف المركبة منهم الامة وان نجعلهم في حالة يمكنهم معها الانتفاع بخير الحرية والعدل والتسوية ولا فرق بينهم في ذلك وهذا هو الوجه الوحيد الصالح لحماية جميع المصالح وضماناتها وهذه القواعد الكلية انتجت وجوب عمل آخر مفيد للغاية وهو وجوب تقييد اساس ادارتنا بصورة شورية قانونية ولذلك لما اصدرنا خطنا عند صعودنا على كرسي السلطنة قررنا لزوم احداث مجلس للامة (وفي الاصل برلمنتو) وقد اشغلت جمعية خاصة مشكلة من رجال دولتنا واهل العلم والمتوظفين الاعيان في تأسيس اصول هذا القانون بغاية التدقيق ثم وقع التامل منها بمجلس وزرائنا والموافقة عليها وهذا القانون اشتمل على اثبات الحقوق الراجعة للذات السلطانية وحرية جميع الرعايا العثمانيين السياسية والعرفية وتسويتهم لدى الاحكام السياسية والعرفية ايضاً وبيان مسؤولية الوزراء والمتوظفين ومتعلقات وظيفتهم وحق مجلس الامة في الاحساب على اعمالهم واستقلال المجالس الحكيمة في خدمتها والمعادلة بين دخل الدولة وخرجها معادلة حقيقية وقسمة التصرفات الحكيمة بالاطوان مع بقاء النظر الاعلى فيها للدولة وجميع هذه الاصول المطابقة لاحكام الشريعة المطهرة ولضروريات الوقت ولمرغوبنا قابلات النية الحسنة التي شأنها تحقيق خير الجميع حيث ان ذلك غاية المراد وقد جعلت انكالي على الله وعلى امداد رسوله في ذلك وانطت لعهدتهم هذا القانون بعد ان وافقت عليه بامضائي السلطاني ويقع العمل به حالاً بحول الله في جميع جهات السلطنة

فالآن ارادتنا انكم تعلنوا بهذا القانون وتجروا العمل بمقتضاه من هذا اليوم كما يجب عليكم ايضاً اتخاذ جميع الوسائل اللازمة المتأكدة للاشتغال في تهيئة الترتيب التي تضمن ذكرها القانون المذكور والله تعالى المسئول ان يقارن بالنجاح سعي كل من اشتغل فيما يؤول الى نجاة السلطنة والامة وكتب في ٧ ذي الحجة الحرام سنة ١٢٩٣ .

غير ان اعضاء المؤتمر لم يقنعهم ذلك وسافروا جميعاً من الاستانة دفعة واحدة مظهرين الضدية للدولة العلية والدولة لم تكثر بذلك حيث ان ما فعلته من الرفض لمطلبهم كان عن رأي الامة لانها عقدت مجلساً عاماً من جميع وجوه اصناف رعيته حتى انه حضره المعروف بالدراية والديانة امير الامراء (الفريق) رستم باشا وزير الحرية اذ ذاك في المملكة التونسية حيث كان رسولا عن اميرنا في تهنئة حضرة السلطان بالولاية واجمع جميع اولئك الاعيان على اختلاف ديانتهم على رفض تلك المطالب بل ان النصارى واليهود منهم قالوا نؤثر ارافة آخر نقطة من دمنا وصرف آخر درهم من مالنا على حفظ شرف مملكتنا من الاهانة بالتجزئة وان كان هذا لم يد فيما بعد حقيقة الأمن البعض دون البعض هذا بعد ان كان عرف جميعهم الرجل الوحيد مدحت باشا صاحب الصدارة اذ ذاك بعواقب الانفراد عن الدول واحتمال تعصّبهم جميعاً لكي يتبصروا وليعلم حقيقة ضميرهم فلم يتزحزحوا شيئاً فانفذ السلطان ووزيره هذا الرفض والله درهم من رجال اذ لم يسع سائر الامم الا انصافهم والاذعان بان لم الحق في رفض ذلك الاقتراح بل ان اللورد صالسيوري اشد المخاضين في المؤتمر قال عند ما استقر بمجلس الوزراء في انكلترا لقد انصف القوم في رفضهم للمطالب نعم ان الخصم زاد تالبا واعان بان الدولة العلية اهانت اوربا لكي يمويه احقاقه في اشهر الحرب بيد ان انكلترا مع ذلك لم تسمح له بما اراد وألحت على التعلل للدولة العلية واجتمع سفراء الدول في انكلترا واستقر امرهم على لائحة هذا نص تعريبها « ان الدول التي تعاطت عموماً اسباب سلم المشرق واشتركت لهذا المقصود في مؤتمر الاستانة قد رأت ان الطريقة الوحيدة في بلوغ المقصد الذي اعتمدت عليه هي المحافظة على التوافق الذي وقع من حسن البخت بينهم ومع ذلك يجددون تقرير امر بهمهم وهو من مصالح العموم اعني تحسين حالة امم النصارى بالممالك العثمانية واجراء الاصلاحات في بوسنه وهرسك والبلغار حسبما قبله الباب العالي على ان يجريها من عند نفسه ولذلك اعتبر عقد الصلح مع الصرب حجة اما ما يتعلق بالجليل الاسود فان الدول تعتبر عقد الصلح معه امراً مرغوباً فيه ولا بد له من توطيد به يقع تعديل الحدود وتعطى حرية الجولان في

نهر البويانة لان الدول تعتبر التأويلات التي تقع او ستقع بين الباب العالي وهاتين الولاياتين كأنها تقدمت خطوة الى السكون الذي هو الداعي لرغبتهم العمومية ولهذا يستدعون الباب العالي لتوكيده بترجيح العساكر على قدم السلم ولا يبقى منها هنالك غير عدد العساكر اللازمة لتقرير الراحة وبيادر الى اجراء الاصلاحات اللازمة للراحة وخير الولايات في اقرب وقت حتى يقع ما اشتغل به المؤتمر وقرروا بقتضاه ان الباب العالي حاضرا الى اجراء القسم المهم من تلك المطالب واتخذوا منشوره المؤرخ في ١٣ فبراير سنة ١٨٧٦ وما قرره الدولة العثمانية في المؤتمر حجة سيما وذلك كان علي يد وكلائها وقد كان ظهر للدول بالنظر الى استعدادات الباب العالي الحسنة ومصالحة الحقيقة في اجرائها انها متيقنة بما أمته من ان الباب العالي حيث انتهت هذه الفرصة الحاضرة فانه يقوم بحزم لاجراء الوسائل المعدة لتحسين حال النصارى حقيقة وهذا المطلوب من الامور الضرورية لراحة اوربا وحيث سلك هذه الطريقة علم يقينا ان من شرفه ومصلحته ان يجتهد في ذلك بعزم على وجه مستقيم فتطلبت الدول اذ ذاك ان تلاحظ كيفية اجراء الدولة العثمانية مواعيدها بواسطة وكلائهم في الاستانة ونوابهم واذا بات مأموهم عديم النجاح مرة اخرى بان لم تحسن حال النصارى رعايا حضرة السلطان بكيفية تمنع رجوع الشعبات التي تضطرب بها دائما راحة المشرق فاعلم سيظهر لهم من الواجب ان يقرروا ان مثل هذا الحادث لا يوافق مصالحهم ومصلح اوربا عموما وفي هذا الحال نحتفظ الدول باعلان ما يروونه عموما من الطرق التي ستظهر لهم التزاما لتقرير خير الامم النصارى ومصلح السلم العمومي .

وكتب في لندرة في ٣١ مارس سنة ١٨٧٧

وارسلوها للدولة العلية كالبلاغ الاخير فرضتها وباليتمها قبلتها اذ هي مطابقة لما كان اصدرته من فرمان المطابق للامثلة الكونت اندراسي والمراقبة من الدول اذا كان اجراء الاصلاح حقيقة مقصودا لا ضير فيها سيما ونفس معاهدة باريس المصراحة بكامل استقلال الدولة العلية في ادارة ممالكها هي ايضا مصراحة باشتراط اصلاح الادارة المتضمن لمراقبة الدول لها اذ لا معنى لجعلها شرطا في معاهدتهم الا ان يكون لهم حق في طلب اجرائها كما يطلبون اجراء سائر شروط المعاهدة نعم في ذلك ما ينافي الخطوة لكن باب ارتكاب اخف الضررين لا ينسى ولا يخفى ان دولة روسيا تشمل ما ينفي عن الثمانين مليوناً واذا اضيف لها مظاهروها من اتباع الدولة العلية كانت نحو تسعين مليوناً من النفوس وهي مرتاحة من الحرب وتنهأت لها منذ عشرين سنة واوصلت سكك الحديد الى اطراف

ممالكها التي يعتنى بها ولا ينسى انه منذ ثلاثة وعشرين سنة فقط قد حاربتها اربع دول معاً وكانت الحرب بينهم سجالاً والدولة العلية لا تشمل أكثر من اربعين مليوناً منهم خمسة عشر مليوناً أكثرهم معاضد لعدوها بالمال والرجال واقلهم لا يعينون بالمال الا عن مفضض فضلاً عن الانفس وقد كانت اذ ذاك في حرب اهلية دامت نحو السنتين ولم انتهياً بكامل الاستعداد لتوهم انتصار الدول لها فاذا هم قد انفردوا عنها وتركوها وخصمها فقامت الحرب على ساق وظهر من صناديد العثمانيين ما هو معروف حتى اقر سائر الاجناس لهم بانهم امة لم تزل حية سيما ما بدا من عسكر البطل الغازي عثمان باشا المشير فانه قاتل في بليفا التي صيرها حصناً عظيماً في مدة حربيه بجيش لا يبلغ الاربعين الفا جيشاً عرمرماً من الروس والرومانيا يتجاوز المائة والعشرين الفا وقتل منهم ما ينفي على عدد جيشه ولولا سببية القدر بعدم انجاده لما تيسر للروس مجرد حصار جيشه حتى اضطر الى الهجوم لخرق الحصار بن بقي سليماً من جيشه الذي قدره سبعة وعشرون الفا فراكمت عليه مائة الف او يزيدون الى ان خرج واضطر للتسليم فاقبل عليه القيصر نفسه ولما سلم له سيفه قال له " ان مثلك ايها البطل يحق له الفخر الدائم " ورد اليه السيف وكفى بذلك شهادة له فصيحى الجو للروسيا ونقدت الى ان بلغت جوار القسطنطينية وامتنعت من توسط الدول في الصلح حتى طلبته الدولة العلية منها رأساً وعقدت على شروط تضمنتها معاهدة سان استيفانوس وهذا نص تعريبها

« الشرط الاول انه بموجب الخريطة المربوطة بهذه المعاهدة وبمقتضى الشروط والوجوه الآتي ذكرها تقرر تصحيح حدود ممالك الدولة العلية والجبل الاسود وذلك لاجل انتهاء المنازعات والمصادمات المتتابعة الوقوع فيما بينها فالحدود تمتد من جبل دوبروزيجه على الوجه الذي عينه المؤتمر الذي كان حصل في الاستانة الى غوربتو ويملكه والحد الجديد يستطيل الى غاجقة وعلى هذا متوتركا غاجقو تبقى في تصرف الجبل الاسود وتمتد الحدود ايضا من مجمع انهر بيوه وتارة وتمر من نهر درين الى جهة الشمال وتنتهي الى مجمع هذا النهر مع النهر المعبر عنه فيم واما حدود الجبل المذكور الشرقية فتبتدى من نهر فيم الى بريرة بولرة ومن روستراق الى سوق بلاتينا وبيهور وروستراق تبقيان داخل الجبل فعلى ذلك يكون تحديد الخطوط هكذا اعني من الجبال المسلسلة الجامعة لروغو وبلاو وكوزنره الى شلب باقليني ومن رؤوس جبال قوبريونيق وباباور وبورور حذاء حدود بلاد الارناوط الى اعلى ذروة جبل بروقليتي ومن هذه النقطة الى

كثيب يسقاشيق وينتهي الحد على الخط المستقيم الى عين الماء في جيسني هوتي ويفصل فيما بين جيسني هوتي وجيسني قاستراني ويتجاوز ماء اشقودرة الى ان ينتهي لنهر بويانة وهكذا مع النهر الى مصبه في البحر وبموجب ذلك تبقى نكسيك وغاشقه واشبوزي وبودغوريجية وزابلياق وبارضين الجبل المذكور وقد يصير تعيين حدود اماره الجبل قطعياً بمعرفة لجنة مركبة من بعض مأموري دول اوربا بشرط ان تكون وكلاء الباب العالي والجبل معهم ايضاً فهذه اللجنة تلاحظ منافع الطرفين وامنية البلاد الكائنة في الجهتين ثم تشير في الخريطة الى التعديلات التي ترى لها لزوماً وتعلم انها هي الحق وتوضح في ذلك ما رآته من صالح الجهتين ثم لا يخفى ان امر سير السفن في نهر بويانة لم يزل يجلب النزاع فيما بين الباب العالي والجبل الاسود فلجل قطع هذا النزاع يصير تحرير نظام ذلك بمعرفة اللجنة المذكورة

الشرط الثاني. ان الباب العالي يثبت استقلال اماره الجبل الاسود على الوجه القطعي ثم فيما ياتي نتقرر فيما بين دولة روسيا والدولة العلية والامارة المذكورة كيفية المناسبات التي ستكون بين الباب العالي والجبل وقضية تعيين وكلاء من طرف الامارة في الاستانة وفيما يقتضيه الحال من ممالكها ويتقرر ايضاً امر اعادة ارباب الجنائيات الذين يفرون من بلاد الدولة العلية الى الجبل ومن الجبل الى بلاد الدولة وامر اطاعة اهل الجبل المقيمين او المارين في بلاد الدولة العلية وانقيادهم الى نظمات ومأموري الدولة طبق الحقوق الجارية بين الدول والعادات والمعاملات القديمة التي كانت تجري بحكمهم في بلاد الدولة وستعقد ايضاً مقابلة فيما بين الباب العالي والجبل الاسود لاجل توضيح وتنظيم المسائل المتعلقة بالانشآت العسكرية في قرب الحدود واحوال ومناسبات الاهالي المتجاورة هناك واذا اختلف الباب العالي مع الجبل في بعض مسائل ولم يكن فصلها باتفاقها فتحكم بينهما دولتا روسيا واوستريا ومن بعد هذه المعاهدة اذا وقعت مباحثة او مصادمة فيما بين الباب العالي والجبل ما عدا المطالبات الملكية الجديدة ينبغي ان يفوض امرها الى دولتي روسيا واوستريا وهما باتفاقها يفصلانها بينهما وقد تقرر انه من بعد امضاء مقدمات الصلح الى عشرة ايام يجب على عساكر الجبل الاسود ان تخرج من البلاد الغير الداخلة ضمن الحدود المذكورة اعلاه

الشرط الثالث. ان اماره الصرب تكون مستقلة ويكون حدها بموجب الخريطة المربوطة لهذه المعاهدة مجرى نهر «درين» وتبقى «كوجك ازورنيق» و«سقار» في

ادارة الصرب ويمتد هذا الحد الى منبع نهر «ره زه وه» الكائن جوار «استابلاق» على حسب الحدود القديمة وتبتدى الحدود الجديدة من هنا اعني مع مجرى نهر رزوه الى نهر راسقة ومنه الى «يكي بازار» ومن يكي بازار يصعد الخط الفاصل ويمر من جوار قريتي «مهنتره» و«ارغويج» الى اعلى النهر المذكور حتى ينتهي الى منبعه ويمتد الى بوسور بلاتينا الكائنة في وادي ايبار وينزل مع الماء الجاري الذي يصب في النهر المذكور ومنه يسير مع انهر ايبار وسيدج ولاب الى منبع نهر ياتنسه الكائن في جبل غرابا شينجة بلاتينا وبعدها يمر من التلال الفاصلة بين نهر قريه وترينجه ومن اقصر الطرق الموجودة على مصب نهر ميو واجقة حتى ينتهي ايضاً الى نهر ويرينجه ويسير مع هذا النهر ويقطع ميو واجقة وبلاتينا ويصل الى جهة موراوة في قرب قرية قاليانس ومن هنا يسير الى قرب قرية استابقوجي ويجمع هناك مع نهر بلوسينه وهكذا مع النهر الى موراوة ويمتد مع النهر الى اعلى حتى يصل الى «قوتقايوجية» ويقطع سوق بلاتينا ويجمع بنهر نيساوة ويتصل بقرية قرونجياج ومنها يمر من اقصر الطرق ويمتد على حدود الصرب القديمة الى جنوب شرق «قرة ول بور» وعلى هذا الخط يتصل بنهر الطونة وتقرر اخلاء «اطه قلعة» وهدمها وترتيب لجنة مركبة من مأموري الدولة العلية والصرب لاجل تعيين خط الحدود على الوجه القطعي في برهة ثلاثة اشهر ويكون ذلك بعاونة مأمورين من طرف دولة روسيا وهذه اللجنة تفصل ايضاً المسائل المتعلقة بجزائر نهر «درين» وتقطعها وحينما تبتدى هذه اللجنة بتعيين الحدود الفاصلة بين بلاد الصرب والبغاير ينبغي ان يكون وكيل واحد من طرف البغاير يشارك معهم في هذا الامر

الشرط الرابع. ان المسلمين الذين لهم املاك في البلاد التي صار الحاقها بالصرب اذا لم يريدوا الاقامة هناك فلهم الخيار ان احبوا اجروا املاكهم وان احبوا اقاموا وكلاء من طرفهم لاجل حفظها واستغلالها والمسائل المتعلقة باموالهم الغير المنقولة تفصلها لجنة مركبة من مأموري الدولة العلية والصرب باعانة مأمورين من طرف دولة روسيا في ظرف سنتين وهذه اللجنة تفصل ايضاً في برهة ثلاث سنين امر فراغ املاك الدولة والاوقاف والمسائل المتعلقة ببعض الاشخاص الذين لهم علاقة ونفع في الاملاك المذكورة وذلك يكون غب انعقاد المعاهدة فيما بين الدولة العلية والصرب والاناس المقيمون او الذين يجولون في بلاد الدولة العلية من تبعه الصرب تكون المعاملة معهم على القواعد الكلية بمقتضى الحقوق الكائنة بين الدول وقد تقرر انه من بعد امضاء مقدمات الصلح الى خمسة عشر يوماً

يجب على عساكر الصرب ان تخرج من البلاد التي ليست داخلية في ضمن الحدود المذكورة اعلاه

الشرط الخامس . ان الباب العالي قد اثبت استقلال رومانيا اعني المملكتين ولها ان تطلب من الدولة العلية غرامة الحرب وتجري المذاكرة بهذا الشأن فيما بينها وعند ما تعتقد المعاهدة بين الدولة العلية ورومانيا تنال تبعة رومانيا الامن والامتياز طبق تبعة دول اوربا الشرط السادس . نقرر ان تكون البلغار اماره مختارة في ادارتها تدفع مبلغاً معلوماً الى الدولة العلية ويكون مأمورو الحكومة والعساكر الاهلية من المسيحيين ويصير تعيين حدودها على الوجه القطعي بمعرفة لجنة مركبة من مأموري الدولة العلية والروسيا وذلك قبل خروج عساكر الروسيا من الروم ايلي وهذه اللجنة تبين هناك في الخريطة التعديلات التي ينبغي اجرائها وتلاحظ ملية اكثر الاهالي وتوضح المنافع المحلية تطبيقاً لفن تخطيط الاراضي ونقرر تعيين وتبين مقدار اتساع ملك الصقالبة في خريطة وجعلها اساساً في قطع الحدود وخط الحدود يبتدئ من حدود الصرب الجديدة ومن غرب « وراجه » الى سلسلة الجبل الاسود ومن جهة الغرب يمر من غرب « قومانه » و « قوجاني » و « قلغان دلي » الى جبل « قوارب » ومن هناك يمر من نهر « بوجيج » الى درينه ويلتفت الى جهة الجنوب الى حدود غرب قضاء اخرى حتى ينتهي الى جبل ايناس ومنه يمر من غربي كوريجيه واستاوره ويتصل بجبل غراموس وكذلك يمر من ماء « قاستريا » ويلتصق بنهر موغليينجه ويسير مع النهر الى « بكيجيه » ويمر من نهر وارديكيجه ومن مصب نهر « واردار » وقرية « غاليكو » الى قراء « بارغه » و « صاري كوي » وهناك يمر من وسط عين الماء المبرعنه « بشيك كل » الى مصب نهر « استروما » و « قره صو » ومن السواحل الى « بوروكل » ويمتد الى الشمال الغربي ويمر من سلسلة جبل « رودوب » الى جبلي « جالبته » و « اشوه » ويمر من جبال « اشك قولاج » و « جيبليون » و « قره قولاس » و « جيقار » الى « نهر ارده » ويلتفت لجهة الجنوب ويمر من قراء سو كوتلين وقره حمزة وارناود كوي واقارجي وابنجه الى « تكه دره سي » في قرب « ادرنه » ومن تكه دره سي و « جورلي دره سي » الى « لوله برغوسي » ومن هنا وعن نهر « صوجق دره » الى قرية « سوركن » ومنها من التلال ويقطع « حكيم طاييه سي » حتى يتصل في ساحل البحر الاسود ويبتدئ ايضاً من « منقاليه » ويترك السواحل ويمر من شمال حدود لوا طولجي ومن فرق راسوه الى نهر الطونه

الشرط السابع . ان امير البلغار يصير انتخاباً من طرف الاهالي بالحرية التامة والباب العالي يثبت بانضمام اراء الدول ولا يجوز انتخاب احد من اقارب ملوك دول اوربا الجالسين على سرير الملك للامارة المذكورة وحينما تنحل الامارة كذلك يكون انتخاب الامير الجديد على هذا المنوال وهاته الشروط وقد نقرر انه ينبغي من قبل انتخاب الامير ان يجتمع مجلس معتبري البلغار اما في « فلبه » واما في « طرنوفا » تحت نظارة مأمورين من طرف الروسيا وفي حضور مأمورين من طرف الدولة العلية وتؤسس نظمات هذه الادارة المستقلة توفيقاً لامثالها اعني لنظمات المملكتين التي تنظمت في سنة ١٨٣٠ غب انعقاد مصالحه « ادرنه » وعند تاسيس تلك النظمات ستصير وقاية حقوق ومنافع الاهالي من المسلمين والروم والاولاخ وغيرهم الموجودين والمختلطين مع البلغار بين ونقرر ايضاً احالة تاسيس هذه الادارة الجديدة في البلغار مع ما يلزم من النظر في صور اجرائها لعهدة مأمورين موظفين من طرف دولة الروسيا من هنا الى سنتين وفي انقضاء السنة الاولى من تاسيس الادارة الجديدة اذا لم يحصل اتفاق بهذا الشأن فيما بين الروسيا والباب العالي ودول اوربا يكون للدول المشار اليهم حق ان يوظفوا مأمورين يرافقون المأمورين الروسيين

الشرط الثامن . ليس لعساكر الدولة العثمانية حق بعد هذا للاقامة في البلغار وسيصير هدم القلاع القديمة الكائنة هناك بمعرفة الحكومة المحلية وان الباب العالي له حق ان يتصرف بالادوات الحربية الموجودة في قلاع الطونة التي صار اخلاؤها من العساكر بموجب سند المتاركة الذي تحرر في ٣١ يناير و لآلات الحربية الكائنة في مدينتي شني و وارنه وجميع الاملاك المتعلقة بالحكومة العثمانية كيفما شاء وتبقى عساكر الروسيا في البلغار مقيمة الى ان ينتهي ترتيب العساكر الاهلية الكافلة لحفظ الراحة وتوطيد الامنية واذا اقتضت الحال يقومون فعلاً باعانة المأمورين وسيصير تعيين عدد العساكر الاهلية بالاتفاق فيما بين الدولة العلية ودولة الروسيا وان مدة اقامة عساكر الروسيا في البلغار تكون سنتين والعساكر التي تبقى هناك بعد خروج جميع العساكر الروسية من بلاد الدولة العلية تكون عبارة عن ست فرق مشاة وفرقتين خيالة وجميعها خمسون الفا ومصروف هؤلاء العساكر يكون على البلغار ويكون لها طرق مراسلات في المملكتين في شطوط البحر الاسود من جهة وارنه وبرغوس وفي مدة اقامتها هناك يكون لها المخازن المقتضية على الشطوط المذكورة

الشرط التاسع . ان المرتب السنوي الذي يلزم على البلغار ايفاؤه للدولة العلية يتسلم الى البنك الذي يعينه الباب العالي وهذا البنك يصير تعيينه بمعرفة دولة روسيا والدولة العلية وسائر الدول وذلك في انتهاء السنة الاولى من ابتداء اجراء اصول الادارة الجديدة ومقدار ذلك المرتب يتأسس بالنظر لايراد البلاد والاراضي التي تكون في ادارة الامارة على الحساب المتوسط والبلغار تعهد بالقيام في التعهد الذي على الدولة العلية الى شركة سكة الحديد في طريق وارنة وروسجق غب المذاكرة مع الباب العالي وادارة الشركة المذكورة ومسألة سكة الحديد الاخرى الموجودة ضمن الامارة يصير فصلها بمعرفة الدولة العلية وحكومة البلغار وادارة الشركة

الشرط العاشر . ان الباب العالي له حق في مرور العساكر ونقل المهات والذخائر من الطريق المعينة في داخل البلغار الى الايالات العثمانية التي وراء البلغار ولاجل عدم وقوع مشاكل في هذا الخصوص وتأمين الايجابات العسكرية العثمانية سيوضع نظام بالاتفاق مع الباب العالي والامارة من ابتداء تعاطي هذه المعاهدة الى ثلاثة اشهر في ذلك وهذا الحق المتعلق بالمرور والعبور يخص بالعساكر النظامية فقط دون الباشبوزق والجراكس والعساكر المعاونة والباب العالي كذلك له ان يتعاطى البوسطة عن طريق الامارة ويستعمل مسالك التلغراف في مخبراته فهذان الامران كذلك يصير تعيينهما وتنظيمهما في المدة والشروط المحررة اعلاه

الشرط الحادي عشر . ان المسلمين وغيرهم من اصحاب الاملاك اذا ارادوا الاقامة في خارج الامارة لم ان يحفظوا املاكهم ويؤجروها او يفوضوا امر ادارتها الى من يريدونه ثم ان مأمور الدولة العلية ومأمور البلغار بين يجتمعان تحت نظارة مأمور روسيا ويفصلون المسائل المتعلقة بتصرف الاملاك وفي منافع مسلمي البلغار وذلك يكون في ظرف سنتين واملاك الدولة والاقواف يصير تعيين امرها اما بالبيع واما باستعمالها على الوجه الذي يكون فيه النفع الزائد لجهة الباب العالي ويصير تعيين ذلك بمعرفة لجان مخصوصة محدودة في السنتين المذكورتين والاراضي التي تبقى بدون صاحب عند انقضاء السنتين تباع بالمناذاة والمزايدة ويؤخذ ثمنها ويدفع الى ايتام وارامل المصابين في الاحوال الاخيرة من المسلمين والمسيحيين

الشرط الثاني عشر . ان القلاع الكائنة على نهر الطونة يصير هدمها جميعاً ولا يبقى من بعد هذا على سواحل نهر الطونة قلعة ما مطلقاً ولا يجوز وجود سفن حربية في مياه

رومانيا والصرب والبلغار سوى السفن الصغيرة والزوارق المخصصة والمستعملة في الامور الانضباطية فقط وحقوق ووظائف وامتيازات لجنة الطونة المختلطة تبقى بتمامها على اصلها الشرط الثالث عشر . ان الباب العالي يتعهد بتنظيف البحر في مضيق « سنه » وارجاعه الى حاله السابق ليصلح لمرور السفن منه ويتعهد ان يضمن العطل والضرر الذي حصل للتجار بسبب منع مرور السفائن من نهر الطونة مدة الحرب وسيصير فصل ٥٠٠٠٠٠٠ فرنك من اصل دين لجنة الطونة الى الباب العالي لاجل هذا الامر

الشرط الرابع عشر . ان الاصلاحات التي قدمت الى مرخصي الباب العالي في اول جلسة مؤتمر الاستانة ينبغي حالاً اجراؤها بالفعل في بوسنة وهرسك مع التعديلات التي ستقرر فيما بين دولتي روسيا واوستريا ويجب ان لا يطلب من هاتين الايالتين بقايا الخراج وان لا يؤخذ شيء من الواردات الى ابتداء شهر مارس سنة ١٨٨٠ بل تصرف كلها في الاحياجات المحلية ويسد بها عوز الاهالي والعيال الذين اصبوا في الاحوال الاخيرة ومن بعد انقضاء المدة المذكورة يتعين المبالغ الذي يلزم على الاهالي دفعه في كل سنة الى الحكومة المركزية بالاتفاق فيما بين الدولة العلية ودولتي روسيا واوستريا الشرط الخامس عشر . يتعهد الباب العالي باجراء احكام النظام الاساسي الذي وضع في سنة ١٨٦٨ المخصص بجزيرة كريد طبقاً لمطالب الاهالي الذي بينوه مقدماً ويلزم اجراء الاصلاحات الماثلة لنظامات كريد في « ترعاله » و « يانيه » وفي سائر جهات الروم ابلي التي ليس لها نظامات مخصوصة ويصير تشكيل لجنة مركبة من الاهالي المحلية في كل ايالة لاجل ترتيب وتأليف النظامات الجديدة ثم يصير تقديمها الى الباب العالي ليتذكر مع دولة روسيا في ذلك

الشرط السادس عشر . ان خروج عساكر روسيا من ارمينية وارجاع تلك البلاد الى الدولة العلية يمكن ان يفضي الى المناقشة والاختلاف فيما بينهما فلهذا يتعهد الباب العالي حالاً باجراء الاصلاحات على حسب الاحياجات المحلية في الولايات التي سكانها ارمن وتأمين المسيحيين من تعدي الاكراد والجراكسة

الشرط السابع عشر . ان الباب العالي سيعلم العفو العمومي عن المتهمين في الاحوال الاخيرة ويطلق سبيل المحبوسين والمنفيين بسبب ذلك

الشرط الثامن عشر . ان الباب العالي يتعهد بالتبصر بعين الدقة الى ما بينه وكلاهما الدول المتوسطة في خصوص قضاء قوتور وتعيين الحدود الايرانية على الوجه القطعي

الشرط التاسع عشر. ان مبالغ الغرامة الحربية التي طلبها قيصر روسيا هي في مقابلة الاضرار والخسائر التي تكبدتها دولة روسيا بسبب هذه الحرب والباب العالي قد تعهد بدفعها من هاته المبالغ (اولاً) ٩٠٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل في مقابلة مصروف العساكر والادوات الحربية والاشياء التي بليت. (ثانياً) ٤٠٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل لاجل الاضرار الحاصلة في سواحل بلاد روسيا الجنوبية وفي اخراجات البضائع التجارية وفي طرق الحديد (ثالثاً) ١٠٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل بمقابلة الضرر الحاصل من الهجوم على قوقاس (رابعاً) ١٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل لاجل الخسائر التي حصلت لتبعة روسيا المقيمين في الممالك العثمانية ولتأسيساتها فعلى ذلك تكون هذه المبالغ من حيث المجموع عبارة عن ١.٤١٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل يعني ٢٤٥٣١٧٣٩١ ليرة عثمانية وريال مجيدي ابيض ونصف هذا وان القيصر المشار اليه قد لاحظ ضيق حال الدولة العلية من جهة المال وتامل في مقاصدها التي نوهت عنها في هذا الشأن ووافق بالقبول على ان تترك الدولة العلية الاراضي المحررة اسمائها ادناه عوضاً عن القسم الاكثر من المبالغ المذكورة. (اولاً) لواء طولجي يعني قضاء كيليا وسنه ومحمودية وايسافجي وطولجي وماجين وباباطاغى وخرسوه وكوستنجة ومجيديه والجزائر الكائنة في نهر الطونة قد تركتها الدولة العلية جميعاً الا ان الدولة الروسية ليس لها فكر بالحاق هاته البلاد الى ملكها بل انها تحفظ حق مبادلة هذه البلاد بقطعة بسارايا التي اخذت منها بموجب معاهدة سنة ١٨٥٦ فحدود قطعة بسارايا من جهة الجنوب طرف من اراضي كيليا ومصب نهر الطونة والجهات التي يصطادون بها السمك في النهر يصير تفريقها بمعرفة مامورين من طرف الروسية ومن حكومة المملكتين في برهة سنة واحدة اعتباراً من تاريخ تعاطي هذه المعاهدة. (ثانياً) اردهان وقارص وباطوم وبايزيد مع الاراضي الحاوية عليها الى جبل صوغانلي سيصير تسليمها الى دولة روسيا وحينئذ الحدود الفاصلة تكون هكذا اعني يبتدىء الخط الفاصل من الجبال التي فيما بين المياه الجارية والمنصبه في نهري «هوبا» و«جورق» ويمر من الجبال المتسلسلة الواقعة في جنوب قضاء «وارتوين» ومن جوار قريتي «والات» و«بشاك» ومن فوق «درونيك» و«كتي» و«هوجه زار» و«بجقنين طاغ» ومن الجبال الفاصلة للمياه التي تختلط بنهري «تورم» و«جورف» ومن فوق قراء «بالي» و«هين» و«لم كليسا» الى ان ينتهي الى نهر تورم ومن هنا يمر من سيوري طاغ ومن مضيق سيوري طاغ ويتصل بقربة نريمان ويلتفت الى جهة الجنوب حتى يصل الى «زوين» ومن زوين يمر

من غربي طريق اردوست وخراسان الى جنوب جبل صوغانلي ويتصل بقربة «كيلجان» ومنها يمر من جبل «تريا» ومن قربة خميرومن اون رست مسافة ومن تلأل «طاندور» ومن جنوب وادي بايزيد وينتهي في الجهة الجنوبية من «قازلي كول» وهذا المحل هو الحد الفاصل قديماً في ما بين حدود اراضي الدولة العلية واراضي دولة ايران وان الاراضي التي صار الحاقها بمالك الروسية ومذكورة في الخريطة المربوطة بهذه المعاهدة يصير تعيين حدودها قطعياً بمعرفة مامور من طرف الروسية ومأمور من طرف الدولة العلية وهما يلاحظان قواعد تخطيط الاراضي وقضية تأمين حسن ادارة القضاة. (ثالثاً) ان الاراضي التي صار تركها لدولة روسيا كما هو محرز اعلاه قد اعتبرت بمبلغ ١.١٠٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل (مليار ومائة وعشرة ملايين روبل) واما الباقي من الغرامة وهو ٣٠٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل (يعني ثلاثمائة مليون روبل) ما عدا ١٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل التي هي في مقابلة خسائر تبعة الروسية وتأسيساتها ستنتفك دولة روسيا مع الدولة العلية على قضية دفعها وتأمين ايفائها. (رابعاً) ان العشرة ملايين روبل التي تخصصت لتبعة الروسية ومؤسساتها يصير تسويتها هكذا اعني ان سفارة الروسية في الاستانة تجري التدقيقات اللازمة بهذا الشأن على مستدعيات ارباب العلاقة وتعرض الكيفية الى الباب العالي والباب العالي يجري التسوية على مقتضى عرض السفارة

الشرط العشرون. ان الباب العالي يتعهد بان يستعمل التدابير المؤثرة سريعاً في فصل الدعاوي المنازع فيها منذ سنين عديدة المتعلقة بتبعة الروسية وانه اذا اقتضى الامر يدفع غرامة وينفذ احكام الاعلامات

الشرط الحادي والعشرون. ان اهالي البلاد التي تسلمت الى الروسية ان ارادوا الهجرة منها لم ان يبيعوا املاكهم واراضيهم ويهاجروا وقد اعطي لهم مهلة في ذلك ثلاث سنين من تاريخ تعاطي هاته المعاهدة فالذين لا يبيعون املاكهم في هاته المدة ولا يهاجرون يدخلون في حكم الروسية عند انقضاء تلك المدة واملاك الدولة والاقواف يصير بيعها على حسب الاصول التي يعينها مامور الروسية ومأمور الدولة العلية في مدة السنتين المذكورة وهما يتمان ايضاً كيفية نقل الادوات الحربية الموجودة في المحلات التي هي الآن في يد الروس سواء كانت من البلاد التي تسلمت الى دولة روسيا او غيرها

الشرط الثاني والعشرون. ان القسيسين والزوار الذين يسكنون او يسجون في الممالك العثمانية في الروم ايلي والاناطولي من تبعة روسيا سينالون الحقوق والامتيازات

التي ينالها القسيسون والزوار من تبعة سائر الدول سوية وسفارة روسيا الكائنة في الاستانة وقناصلها يحمون حقوق الاشخاص المذكورة وذواتهم ومؤسساتهم والرهبان وغيرهم الموجودين في الاماكن المقدسة وبالخصوص في « اينوروز » فهم حائزون حقوقهم التي كانوا حائزين عليها في السابق ويحفظون الديورة الثلاثة الكائنة في اينوروز مع مشتقاتها المتعلقة بهم كسائر الديورة والمؤسسات المذهبية الكائنة لغيرهم هناك سوية

الشرط الثالث والعشرون . ان المعاهدات والمقاولات التي كانت موجودة فيما بين الدولة العلية والروسية المتعلقة بالتجارة والحكمة وتبعية الروس المقيمين في بلاد الدولة العلية وتعطلت احكامها بسبب هذه الحرب ينبغي ان تجري احكامها كما في السابق وان دولتي الروسية والعثمانية قد اعدوا المناسبات التي كانت قبل هذه الحرب في الامور التجارية وغيرها بمقتضى احكام المعاهدات والمقاولات المذكورة ما عدا المواد التي نسخها هاتئ المعاهدة

الشرط الرابع والعشرون . ان خليج الاستانة وخليج جنات قلعه سواء كان في زمن الحرب او زمن الصلح يكون مفتوحاً للسفن التجارية التي تريد المرور منه الى بلاد روسيا من الدول التي تكون على الحيادة والباب العالي ليس له من بعد هذا ان يضع الحصر الغير المؤثر على الشطوط الموجودة فيما بين البحر الاسود وبحر الازاق والمخالف لمضمون معاهدة باريس التي صار امضاؤها في ٤ ابريل سنة ١٨٥٦

الشرط الخامس والعشرون . ان عساكر الروس يخرجون من بلاد الدولة العلية الكائنة في اوربا (الروم ايلي) ما عدا الباغار وذلك من تاريخ انعقاد الصلح القطعي الى ثلاثة اشهر هذا وان العساكر المذكورة لهم ان يأتوا الاساكن الموجودة في البحر الاسود وبحر مرمرة عند السفر للركوب في السفائن التي تحضرها او تستأجرها دولة روسيا حتى لا يكونوا مجبورين على اطالة مدة الاقامة في الممالك العثمانية وفي رومانيا واما خروج عساكر روسيا من الاناطول فيكون بعد انعقاد الصلح القطعي بستة اشهر ولهم ان يأتوا الى طرابزون لاجل الركوب في السفن ومن هناك يسافرون الى القوقاس

الشرط السادس والعشرون . ان اصول الادارة والاوامر التي وضعتها دولة روسيا في البلاد التي دخلتها عساكرها والتي ينبغي تسليمها الى الدولة العلية بموجب هاته المعاهدة تكون باقية وجارية الى حين توجه العساكر منها وليس للباب العالي المشاركة في الاحكام ولا للعساكر العثمانية الدخول اليها قبل ذلك بناء على هذا

ان امير العساكر الروسية يخبر الضابط الذي يعينه الباب العالي عن سفر عساكر الروسية وليس للباب العالي ان يجري الاحكام من قبل ان تسلم له القلاع والايالات الشرط السابع والعشرون . ان الباب العالي لا يجازي احداً بسوء من تبعته الذين دخلوا في المناسبات مع دولة روسيا في زمن الحرب وليس للأموري الدولة العلية ان تمنع او توقف احداً من الاهالي الذين يرغبون ان يسافروا مع العساكر

الشرط الثامن والعشرون . ان اسرى الحرب يصير ارجاعهم تحت نظارة مامورين مرتبين من طرف الدولتين وذلك عقيب تعاطي مقدمات الصلح وهؤلاء المأمورون يسافرون الى اودسا وسباستبول واما مصروف اسراء العساكر العثمانية تدفعها الدولة العلية في ظرف ست سنوات تحت ثمانية عشر قسطاً بموجب الدفتر الذي يجره المأمورون المذكورون واما قضية مبادلة الاسرى فيما بين حكومتي رومانيا والصرب وامارة الجبل الاسود فيصير اجراؤها على هذا الاساس لكن يطرح مقدار الاسرى الذي عند الدولة العلية من مقدار اسرى عساكرها ولا تلزمها فيه تلك المصاريف

الشرط التاسع والعشرون . ان حضرة امبراطور روسيا والحضرة الملوكانية سيثبتون هذه المعاهدة وامضاء تثبيتها يكون في بطرسبرغ في ظرف خمسة عشر يوماً او بوجه اسرع من ذلك ان امكن وكذلك يجري التصديق رسمياً على الشروط المذكورة في هذه المعاهدة على حسب الاصول الجارية في المعاهدات الصلحية وان الدولتين المتعاهدتين من تاريخ تعاطي المعاهدة يعدون انفسهم رسمياً بانهم متعهدون بان مرخصي الطرفين قد امضوا هذه المعاهدة كما يأتي تصديقاً لمضمونها . — حرر في اياستفانوس في ١٩ شباط الرومي (فبراير) و ٣ ايار (مارس) الافرنجي سنة ١٨٧٨ الامضاء

الكونت اغنايف صفوت نليدوف سعد الله
لكن انكثرا لم تسمح بالاقرار بذلك حتى ادخلت اسطولها بحر مرمرة وعاضدتها بقية الدول في طلب تعديل تلك المعاهدة وعقدوا لذلك مؤتمراً في برلين وارسى الامر فيه على معاهدة نص تعريبها

بسم الله القادر على كل شيء
لما كانت حضرة سلطان العثمانيين وحضرة ملكة مملكة بريطانيا العظمى وارلاندة وامبراطورة الهند وحضرة امبراطور جرمانيا وملك روسيا وحضرة امبراطور اوستريا وملك بوهيميا وملك هنكارييا وحضرة رئيس جمهورية فرنسا وحضرة ملك ايطاليا وحضرة

امبراطور جميع روسيا يريدون لاجل اقرار الراحة العامة في اوربا انتهاء المسائل التي ظهرت في الشرق بسبب ثقلات الاحوال فيها في هذه السنين الثلاث وبسبب الحرب التي عاقبتها معاهدة ايا سطفانوس استقر رأيهم جميعاً على عقد مؤتمر يكون احسن الوسائل لاجل الاتفاق بحسب ما تقرر في معاهدة ايا سطفانوس وبناء على ذلك عينت الدوات الملوكة المشار اليهم وحضرة رئيس جمهورية فرنسا مرخصين وهم حضرة ملكة مملكة بريطانيا العظمى وارلاندا وامبراطورة الهند عينت الاونورابل بنيامين دزرائيلي الذي هو كبير وزراء انكلترا والاونورابل روبرت ارثر تالبت عاسكون سيسل مركيز صالسبري الذي هو ناظر خارجية انكلترا والاونورابل لورد اود ولين ليوبولد روسل الذي هو سفير من الطبقة الاولى لانكلترا لدى حضرة امبراطور جرمانيا وملك بروسيا

وعين حضرة امبراطور جرمانيا وملك بروسيا البرنس بسمارك كبير الوزراء في بروسيا وبرنارد ارنست دوبولوى مستشار الخارجية والبرنس هونلوه شانغفورست سفير المانيا لدى رئيس جمهورية فرنسا

وعين حضرة امبراطور اوستريا وملك بوهيميا وملك هنكاري الكونت اندراسي وزيره الخاص ووزيره في الامور الخارجية والكونت لويس كاروليني سفيره لدى امبراطور جرمانيا وملك بروسيا والبارون هنري دوهاميل سفيره لدى ملك ايطاليا وعين حضرة رئيس جمهورية فرنسا موسيو ولين هنري وادنطون احد اعضاء مجلس الاعيان ووزيره في الامور الخارجية وشارل رايموند كونت دوصان فاليه من اعضاء مجلس الاعيان وسفير فرنسا لدى امبراطور جرمانيا وملك بروسيا وفيلكس ديسبرز المكلف بادارة الامور السياسية في دائرة الخارجية

وعين حضرة ملك ايطاليا الكونت لويس كورتى احد اعضاء مجلس الاعيان ووزيره في الامور الخارجية وادورد كونت دولوني سفيره لدى امبراطور جرمانيا وملك بروسيا وعين امبراطور جميع روسيا البرنس الكسندر غورچيقوف وزيره في الامور الخارجية والكونت دوشوفالوف من قرناء الحضرة الامبراطورية ومن اعضاء المجلس الخاص وسفيره لدى دولة بريطانيا وهول دوبريل سفيره لدى امبراطور جرمانيا وملك بروسيا وعين حضرة سلطان العثمانيين الكسندر قره تيودوري باشا وزيره في الامور النافعة ومحمد علي باشا المشير في عساكره وسعد الله بك سفيره لدى امبراطور جرمانيا وملك

بروسيا فاجتمعوا في برلين بحسب اشارة دولة اوستريا هنكاري وبموجب استدعاء دولة جرمانيا ومعهم سائر المحررات المؤذنة بالتريخ فبعد ان وجدت مطابقة للاصول وقع بينهم الاتفاق على المواد الآتية

(المادة الاولى) صارت الآن البلغار اماره مستقلة في امورها الداخلية (ادارة مخازنة) تدفع خراجاً في كل سنة الى الباب العالي وتكون تحت تابعية الحضرة السلطانية ويكون لها حكومة مسيحية وعساكر وطنية

(المادة الثانية) تكون اماره البلغار عبارة عن الاراضي الآتية ذكرها وهي ان حدود تلك الاراضي من جهة الشمال تبتدئ من حدود الصرب القديمة وتمر عن يمين ساحل نهر الطونة وتنتهي الى محل في شرقي سيلستريا وهذا المحل سيصير تعيينه من طرف المؤتمر الذي يشكل من ماموري دول اوربا ومن هنا ايضاً يتصل الحد في البحر الاسود ويمر من جنوب منقاليا التي صار الحاقها برومانيا اما من جهة الجنوب فانه يبتدئ من مصب النهر ويمر من جوار القرى المسماة «هوجد كوي» و«سلامكوي» و«ابواجق» و«قولة» و«صوجياق» على شاطئ النهر الى جهة فوق المحاذية «اوادي قاجيق» ومن جنوب «بليبة» و«كحالق» على بعد من «جنكة» مقدار متر ٢ ونصف ويتجاوز «دلي قاجي» ويمر من شمال «حاجي محله» ويصعد الى ذروة المحل الكائن فيما بين «تيكناك» و«ايدوس بردهسا» ومنه الى بلقان «قرين اباد» وبلقان «ويره زويقه» ومن بلقان «قرغان» الواقع في شمال المحل المسمى «قوتل» الى ان يتصل بمحل «تيمورقبو» وعلى هذا يكون مروره من سلسلة البلقان الكبير الاصلية ويمتد على جميع مساحته الى ان ينتهي الى ذروة «قوزيقه» ومن هنا يترك ذروة البلقان ويأتفت الى جهة الجنوب ويسير من بين قريتي «بيرتوب» و«دوزنجي» ويغادر قرية بيرتوب المذكورة الى البلغار وقرية دوزنجي الى شرق الروم ايلي ويتصل بنهر «طوزلي دره» ويسير مع مجرى النهر الى مصبه في نهر «طوبولينجه» ثم الى نهر «اسموسكيو» الذي يصب في نهر طوبولينجه المذكور بجوار قرية «تريجه» ويترك من الاراضي الكائنة فوق نهر اسموسكيو المذكور مقدار كيلومتر ٢ الى شرقي الروم ايلي ويمر من مقسم المياه فيما بين اسموسكيو ونهر قامنيغه ويأتفت الى الجنوب الغربي من النهر المسمى وونجاق وينتهي رأساً الى النقطة المذكورة في خريطة اركان حرب دولة اوستريا عدد ٨٧٥ ومن هنا يقطع بخط مستقيم الجهة العليا من وادي اتمان ويمر من بين بوغدينه وقره ولي ويتصل بالخط في مقسم انهر

المريخ فيما بين اسقر وقرلي وحاجيل ويسير مع الخط المذكور من تلال «ولنيا» و«موغيل» الى الممر الواقع في نقطة عدد ٥٣١ والى المحلات المسماة «ازمايلقا» و«ره وسومنايقه» ويدخل من بين «سيوري طاش» و«قادرته» ويتصل بمحدود لواء صوفية ومن هنا يتبدى من «قادرته» الى جهة الجنوب الغربي ويمر من بين نهر قره صو ونهر «استروما قره صو» ويسير مع خط مقسم المياه ومن تلال الجبال المسماة «تيمورقبو» و«اسقوفنيه» و«قاضيسار بلقان» و«حاجي كدك» تجاه بلقان قابتنق ويتصل بمحدود لواء صوفية القديمة وكذلك يمر من بلقان قابتنق المذكور ومن بين وادي «ريلسقارقا» ووادي «بسقارقا» ويسير مع خط مقسم المياه وبدور تل «ودينجه بلانينا» وينزل الى وادي استروما في المحل الذي يختلط به نهر استروما مع نهر ريلسقارقا وبدع قرية «براقلي» للدولة العلية ويصعد من جنوب قرية «بلشينقة» الى فوق ويمر من اقصر خط الى سلسلة «غولما بلانينا» وتل «غيتقة» ويتصل بمحدود لواء صوفية ويترك كامل منشأ صوهارقا للدولة العلية ويلتفت الى جهة الغرب من جبل «رجينقا» ويدور جبال قارونا يابوقه وحدود لواء صوفية القديمة من جبل «قرني وره» ويمر من فوق مياه «أكريصو» ولبنيقه ويطلع الى تلال «بابنابولانا» حتى ينتهي ايضا الى جبل قرني وره المذكور ومن هذا الجبل يمر من تلال «استرزر» و«ويله غوصو» و«مسيد بلانينا» ومن بين «استروما» و«موراوه» مع خط مقسم المياه الى غاسينا وقرنه طراوه ودار قوسقة ودرانيقة بلان وبعدها من فوق دوشا فلادانق ومن مقسم انهر صوقوه وموراوه ويذهب رأسا الى المحل المدعو «استول» ومن هنا ينزل الى الطريق الموصلة الى صوفية وبيروته ويقطع في هذه الطريق الف متر ومنه عن طريق ويدليا بلانينا ويصعد على خط مستقيم الى جبل «رادوجينا» الكائن في سلسلة البلقان الكبير ويترك قرية دويقنجي الى صربستان وقرية سناقوس الى البلغار ثم يلتفت الى جهة الغرب ويدور تلال البلقان المسمى سبروق من صوب استاره بلانينا ويتصل بشرقى حدود اماره الصرب القديمة بجوار «تولا اسميلوه قوفة» ويسير على هاتيه الحدود حتى ينتهي الى نهر الطونة عند «رافويجه» ثم ان هذه الحدود جميعها سيصير تعيينها بمعرفة لجنة مركبة من وكلاء الدول الممضية على المعاهدة وحصل الاتفاق اولاً على ان هاتيه اللجنة تنظر بالاعتناء في خصوص محافظة حدود بلقان شرقي الروم ايلي الكائن تحت سلطة الدولة العلية وثانياً ان لا يصير انشاء استحكام في اطراف «صماقو» بمسافة ١٠ كيلو متر

(المادة الثالثة) يكون انتخاب امير البلغار من اهلها بجرية تامة واقراراً من الباب العالي برضى دول اوربا العظام ولا يصح انتخاب امير عليها من بيوت الدول المذكورة فاذا توفي عن غير ولد يكون انتخاب امير بعده على الشروط والاصول المقررة

(المادة الرابعة) بعد انتخاب الامير تجتمع اعيان البلغار بين في طرئوا لترتيب احكام ونظامات تخص الامارة وفي الجهات التي تكون سكانها من الترك واهل رومانيا والروم وغيرهم يلزم مراعاة حقوقهم ومصالحهم فيما يتعلق بقضية الانتخاب وترتيب الاحكام الاساسية

(المادة الخامسة) المواد الآتية تكون اساساً للحقوق العمومية في البلغار وهي «ان الاختلاف في المذاهب والاعتقادات لا يخرج احداً من الاهلية والجدارة من تمتعه بالحقوق المدنية والسياسية او بدخوله في الوظائف الميرية او العمومية او نواله الشرف او استعماله الصنائع والحرف المختلفة كيفما كان مقره فان الحرية ومباشرة جميع الاعمال الدينية ينبغي تأمينها لجميع الناس القاطنين في البلغار من اهلها ومن الاجانب ايضا ولا يسوغ اتخاذ مانع ما لترتيب درجات ارباب المذاهب المختلفة او لعلاقتهم مع رؤسائهم الروحانيين»

(المادة السادسة) تكون ادارة «البلغار الموقته» تحت ادارة مأمورين من دولة الروسية الامبراطورية الى ان تنتظم فيها القوانين الاساسية ويستدعى مأمور من طرف السلطنة العثمانية والقناصل الذين تنتخبهم الدول الذين وقعوا على هذه المعاهدة بقصد مراقبة اعمال «الادارة الموقته» المذكورة فاذا حصل خلاف بين القناصل المذكورين فابرام العمل يكون على حسب اكثرية الاراء كما انه اذا حصل خلاف بين اكثرية اراء المذكورين والمأمورين من طرف امبراطورية الروسية او المأمورين من طرف الحضرة السلطانية تجتمع سفراء الدول بالاستانة الذين وقعوا على هذه المعاهدة في مؤتمر (كنفرانس) ليقر رأيهم على انتهاء الخلاف المذكور

(المادة السابعة) تشكيل «الادارة الموقته» المذكورة لا يبقى اكثر من تسعة اشهر اعتباراً من يوم التوقيع على هذه المعاهدة وبمجرد انتخاب الامير تصير مباشرة اجراء الاحكام الجديدة فتصير تلك الاحكام دستوراً للعمل وتكون الامارة قد حازت استقلاليتها الادارية (ادارتها المختارة) حوزاً تاماً

(المادة الثامنة) جميع المعاهدات التجارية والسفريّة والاتفاقات التي جرت بين الدول الاجنبية وبين الباب العالي والتي لم يزل عملها جارياً تبقى مرعية الاجراء مع اماره

البلغار فلا يصح تبديل شيء منها مع احدى الدول المذكورة بدون رخصة منها ولا يسوغ وضع شيء من الضرائب على البضائع التي ترسل الى احدى الجنيات في مرورها على البلغار وتكون معاملة جميع الاهالي ورعايا الدول وتجارتهم في الامارة على قدم مساواة تامة وتبقى امتيازات وخصائص الاجانب المقررة في المعاهدات (التي امضيت بين الدول والباب العالي) مرعية الاجراء في الامارة ما دام لم يحصل تعديلها برضى الدول

(المادة التاسعة) الويركو السنوي الذي يجب على امارة البلغار ان تدفعه في كل سنة الى متبوعينا الحضرة السلطانية يكون دفعه الى البنك الذي يعينه الباب العالي ويكون تعيين المبلغ عند ختام السنة الاولى من جريان نظاماتها الجديدة باتفاق بين الدول الموقعين على هذه المعاهدة وهذا الويركو يحسب بنسبة ايراد الامارة وحيث انها ستحمل جانباً من ديون السلطنة العمومية يلزم للدول ايضاً ان يتذكروا على مقدار الدين الذي يعين على الامارة وذلك عند مذاكرتهم في امر الويركو

(المادة العاشرة) جميع التعهدات والاتفاقات التي وعدت السلطنة العثمانية باجرائها مع شركة سكة الحديد بين وارند وروسحق تدخل في عهدة امارة البلغار اعتباراً من مبادلة التوقيع على هذه المعاهدة اما تسوية الحسابات السابقة التي كانت بين الشركة المذكورة وبين الباب العالي فامرها يكون بين الباب العالي وحكومة البلغار والشركة المذكورة وكذلك دخل في عهدة البلغار سائر تعهدات الباب العالي مع دولة اوستريا وهنكاريا ومع الشركة المنوط بعهدتها تشغيل سكك الحديد في الروم ايلي فيما يتعلق باتمام السكك المذكورة واتصالها في الاراضي التي دخلت الآن في حوزة البلغار ويكون عقد شروط الاتفاقات اللازمة لتسوية هذه المسائل بين دولة اوستريا وهنكاريا والباب العالي والصرب وامارة البلغار عند اقرار الصلح

(المادة الحادية عشرة) بعد هذا لا تبقى العساكر العثمانية في البلغار وهدم سائر القلاع والحصون يكون على مصروف حكومة الامارة في ظرف سنة واحدة او اقل من ذلك ان امكن وينبغي لتلك الحكومة ان تتخذ وسائل معجلة لذلك ولا يسوغ لها ان تبني بدلها حصوناً جديدة ويكون للباب العالي حق في ان يتصرف في المهات الحربية وغيرها من الاشياء التي هي ملك له الباقية في حصون الطونة التي اخلتها العساكر العثمانية بموجب الهدنة التي حصلت في ٣١ جنينوارى (كانون الثاني) وكذلك التي في شمله (شنى) ووارنه (المادة الثانية عشرة) المسامون وغيرهم الذين لهم املاك في البلغار ويريدون السكنى

خارجاً عنها يبقون متمتعين باملاكهم فيمكنهم والحالة هذه ايجارها الى غيرهم وادارتها بمعرفة من ينتخبونه وتشكل لجنة مؤلفة من الترك والبلغاريين لتسوية جميع المسائل المتعلقة بكيفية نقل وتشغيل املاك الوقف لحساب الباب العالي والمسائل المتعلقة بالذين لهم مصالح فيها وهذه التسوية تكون في ظرف سنتين ثم ان البلغار بين الذين يسافرون يسكنون في باقي اطراف الممالك العثمانية يكونون تحت الاحكام والقوانين العثمانية

(المادة الثالثة عشرة) تشكل على جنوب البلقان ولاية تحت اسم « ولاية الروم ايلي الشرقية » وتكون تحت تابعة الحضرة السلطانية تابعة سياسية وعسكرية بشرط ان تكون مشمولة باستقلالية ادارتها ويكون واليها نصرانياً

(المادة الرابعة عشرة) حدود « ولاية الروم ايلي الشرقية » تكون متصلة بحدود البلغار من جهتي الشمال والشمال الغربي والولاية المذكورة تكون عبارة عن الاراضي الكائنة ضمن الدائرة الآتي ذكرها « فخذ هذه الولاية يبتدىء من البحر الاسود ويسير على النهر الواقع في جوار القرى المسماة هوجه كوى وسلام كوى وايواجق وقوليه وصوجينلى الى جبهة فوق محاذيا لوادي « دلي فامحق » ويمر من فوق « چكنه » مقدار مسافة كيلومتر ٢ ونصف تقريباً ويتصل بجنوب قراء « بلبيه » و « كحالحق » ثم يصعد الى التل الكائن فيما بين « تيكناك » و « ايدوس بره سا » ويمر من بلقان « قرين اباد » و « بره زويجه » و « قزغان » حتى يصل الى « تيمورقبو » بالجهة الشمالية من « قوتل » وبعدها يدور جميع سلسلة البلقان الكبير وينتهي الى تل « قوزيقت » وفي هذه النقطة اعني من ذروة البلقان الكائن على غربي حدود الروم ايلي ينزل الى جبهة الجنوب ماراً من بين قرية بيتروب التي تركت للبلغاريين قرية دوزانس الباقية في الروم ايلي ويصل الى نهر « طوزلي دره » ويسير مع النهر الى مجععه مع نهر طوبولينقا وكذلك يمر مع هذا النهر الى مجععه مع نهر « سموسقيور » في جوار قرية « بريسوا » وعلى هذا يترك لروم ايلي الشرقية في شطوط مجاري هاتوا النهر محلاً مقدار كيلو مترو ٢ ثم يتبع الخطوط الفاصلة للمياه المذكورة ويسير الى جبهة فوق على طول انهر « سموسقيور » و « قامنيقا » ويلتفت الى الجنوب الغربي في تل « ووانجاق » ويصل الى المحل المبين في خريطة اركان حرب دولة اوستريا عدد ٨٧٥ ثم يقطع على خط عمودي مجرى نهر « ايجان دره » من الاعلى ويمر من بين « بوغدينا » و « فارولا » حتى يصل الى الخط الفاصل الكائن فيما بين نهري « اسقر » و « ماريقا » ويسير على طول الخط الموضح في الخريطة المذكورة تحت رقم ٥٣٠

من تلال « وولينا موجيلا » و « جمابليقا » و « روه سومناتيقا » ويجتمع بمحدود لواء صوفيه فيما بين « سيوري طاش » و « قادر تبه » فعلى هذا تفرق حدود الروم ايلي والبلغار من جبل « قادر تبه » ثم الخط الفاصل المذكور يمر الى قدام من بين انهر ماريقا وتوابعه وبين انهر « مستافره صو » واتباعه تابعا استقامة الخطوط الفاصلة لهذه المياه ويتوجه الى جهتي الجنوب الشرقي والجنوب ماريا من تلال جبل « دسبوت » الى صوب جبل « كروشوا » وهذا الجبل كان مبدأ الحدد التي عينتها معاهدة اياسطفانوس ثم الخط المذكور يتبع الخط المعين في المعاهدة المذكورة اعني انه يبتدئ من هذا الجبل ويمر على سلسلة « قره بلقان » من تلال « قولاقلي طاغ واشك جيلي وقره قولاس » وايشيقلر ويسير جهة الجنوب الشرقي حتى ينتهي الى نهر « واردا » ويسير مع هذا النهر على طول حتى يصل الى قرية « اطه قلعه » وتبقى هذه القرية في سلطة الدولة العلية ومن هنا يصعد ذروة جبل « بش تبه » ثم ينزل ويمر من جسر « مصطفى باشا » ويتجاوز نهر المريج من جهة فوق بمسافة خمسة كيلومتر ثم يتوجه الى جهة الشمال مع بين الانهر الصغار التي تصب في نهري « خانلي دره » و « مريج » ويسير على خط مقسم المياه الى المحل المسمى « كودلر بايري » ومن هنا يلتفت الى جهة الشرق ويمتد الى « صقار بايري » ومنه الى وادي « طونجه » والى « بيوك دربند » ويترك « بيوك دربند » و « صوجاق » الى جهة الشمال ثم يسير من بين الانهر التي تصب في نهر طونجه من جهة الشمال وفي نهر المريج من جهة الجنوب على خط مقسم المياه ويصعد الى تل « قبيلر » وتبقى قبيلر في الروم ايلي الشرقية ثم يلتفت الى جهة الجنوب ويمر من بين المياه الكائنة فيما بين نهر المريج من جهة الجنوب وبين قريتي « بلورن » و « التلي » التي تصب في البحر الاسود ويصل الى جنوب قرية « الماللي » ويدور تلال « ووسنه » و « زواق » من شمال المحل المسمى « قراكلق » ويسير مع الخط الفاصل فيما بين نهري « دوكة » و « قره اغاج » حتى يتصل بالبحر الاسود

(المادة الخامسة عشرة) يكون للحضرة السلطانية حق في ان تبشر محافظة الحدود البرية والبحرية وذلك بان تبني في تلك الحدود استحكامات وتقيم فيها عساكر ولتأمين الراحة العمومية في ولاية « الروم ايلي » الشرقية بشكل فيها ضبطية وعساكر داخلية ومذاهب الاهالي الذين تواف منهم هذه العساكر والضبطية تكون مرعية ويكون تعيين ضباطهم من طرف الحضرة السلطانية وقد تعهدت الحضرة السلطانية بان لا توظف في

حصون الحدود عساكر غير نظامية كالباشي بوزق والجراكسة وفي جميع الاحوال لا يسوغ للعساكر النظامية المذكورة ان تتعدى على الاهالي وعند مررهم في الولاية (لاستقرارهم في الاستحكامات) لا يسوغ لهم الاقامة فيها

(المادة السادسة عشرة) يكون للوالي حق في ان يستدعي العساكر العثمانية اذا حصل ما يخل بالراحة الداخلية والخارجية فاذا وقع ما يوجب ذلك يخبر الباب العالي نواب الدول بالاستئذان عن قراره وعن السبب الذي احوجه اليه

(المادة السابعة عشرة) يكون تعيين والي « ولاية الروم ايلي الشرقية » مدة خمس سنين من طرف الباب العالي باتفاق الدول

(المادة الثامنة عشرة) بمجرد مبادلة التوقيع على هذه المعاهدة تشكل لجنة اورباوية للنظر في تراتيب ادارة « ولاية الروم ايلي الشرقية » بالاتفاق مع الباب العالي ومن خصائصها ان تبين في ظرف ثلاثة اشهر وظيفة مأمورية الوالي وما له من الاستطاعة وترتيب الولاية الادارية والنظامية والمالية ويكون ابتداء اشغالها تنظيم اختلاف احكام الولايات وما حصل عليه المذاكرة في الجلسة الثامنة من المؤتمر الذي عقد في الاستئذان وبعد ان يحصل القرار على جميع المصالح المتعلقة بالولاية المذكورة يصدر فرمان من طرف الحضرة السلطانية فيبلغه الباب العالي الى الدول

(المادة التاسعة عشرة) يناط بعهد اللجنة الاورباوية المذكورة بالاتفاق مع الباب العالي ادارة المالية في الولاية الى ان تنجز القوانين الجديدة المراد وضعها

(المادة العشرون) جميع المعاهدات والاتفاقات والمعاملات التي جرى تداولها بين الباب العالي والدول الاجنبية او التي ستعقد فيما بعد يكون معمولاً بها في « ولاية الروم ايلي الشرقية » كما هو جار في سائر السلطنة العثمانية وجميع الامتيازات والخصائص التي حازتها الاجانب على اختلاف وظائفهم ومصلحتهم تبقى محترمة في الولاية المذكورة وقد تعهد الباب العالي بان جميع احكام السلطنة هناك فيما يخص المذاهب المختلفة يكون معمولاً بها ومرعية الاجراء

(المادة الحادية والعشرون) تبقى حقوق الباب العالي وتعهداته فيما يتعلق بسكك الحديد في الروم ايلي الشرقية معمولاً بها ومرعية الاجراء

(المادة الثانية والعشرون) تكون قوة الروسية في البلغار وفي « ولاية الروم ايلي الشرقية » مؤلفة من ست فرق من المشاة وفرقتين من الخيالة وجميع ذلك لا يزيد على

٥٠٠٠٠ نفر وتكون مصارفهم على الولايات التي يتبوأونها وتبقى علاقاتهم ومواصلتهم مع روسيا بواسطة رومانيا بحسب الاتفاق الذي يحصل بين الحكومتين المذكورتين فضلاً عن ذلك تكون بواسطة مراسي البحر الاسود مثل وارنه وبورغاس حتى يمكن لهم ان يتخذوا هناك مخازن للوازمهم مدة اقامتهم وتقرر ايضاً ان اقامة العساكر الامبراطورية في « ولاية الروم ابلي الشرقية » والبلغار تكون مدة تسعة اشهر اعتباراً من يوم مبادلة التوقيع على هذه المعاهدة وقد تعهدت دولة الروسية الامبراطورية انه قبل انقضاء هذه المدة تمنع مرور عساكرها من رومانيا فتخلو منهم اماره البلغار

(المادة الثالثة والعشرون) قد تعهد الباب العالي بان يجري في جزيرة كريد المنظمات التي تقرر فيها في سنة ١٨٦٨ والتعديلات التي يرى من العدل اجراؤها وكذلك يجري في بقية الولايات نظمات وقوانين على ما تقتضيه المصالح الداخلية كما في كريد مما لم ينص عليه في هذه المعاهدة نصاً خصوصياً الا فيما يتعلق بالغاء الضرائب كما هو جارٍ الآن في كريد ويشكل من طرف الباب العالي لجان مخصوصة يكون اكثر اعضائها من الاهالي للنظر في متعلقات المنظمات اللازم اجراؤها في كل ولاية ثم تعرضها على الباب العالي للتروي فيها وقبل ان يعمل بها وتجعل دستوراً للعمل يلزم الباب العالي ان يستشير اللجنة الاورباوية المنعقدة للنظر في احوال الروم ابلي الشرقية

(المادة الرابعة والعشرون) اذا فرض انه لم يقع اتفاق بين الباب العالي ودولة اليونان فيما يتعلق بتعديل الحدود كما تقرر في المادة ١٣ من مضبطة مؤتمر برلين فدول جرمانيا واوستريا وهنكاري وفرنسا وبريطانيا العظمى وايطاليا والروسية تحفظ لنفسها عرض التوسط بين الفريقين تسهيلاً للمذاكرات

(المادة الخامسة والعشرون) نتبأ عساكر اوستريا وهنكاريا ولايتي بوسنه وهرسك ويناط بها ايضاً امر ادارتهما وحيث انها لا تريد ان تتولى ادارة سنجينة يكي بازار الممتدة بين الصرب والجبل الاسود على الخط الجنوبي الشرقي ما وراء ميترووتسه فالادارة العثمانية تبقى معمولاً بها هناك وحيث ان المراد اقرار الاحوال السياسية الجديدة وحرية المواصلات وتأمينها فدولة اوستريا وهنكاري تحفظ لنفسها الحق بان يكون لها قشل وطرق تجارية وعسكرية في جميع الجهات المذكورة ولهذا الغاية تحفظ لنفسها هي والدولة العثمانية ان تتفقا على المواد المتعلقة بهذه المسألة

(المادة السادسة والعشرون) قد اعترف الباب العالي باستقلال الجبل الاسود

وكذلك اعترفه بقية الدول الموقعين على هذه المعاهدة الذين لم يعترفوه سابقاً (المادة السابعة والعشرون) اتفق الموقعون على هذه المعاهدة على ان استقلال الجبل الاسود يكون مربوطاً بالمواد الآتية وهي « لا يسوغ التمييز في الاعنقادات الدينية في الجبل فلا يخرج احداً من الاهلية والجدارة لجميع ما يتعلق بتمتعهم بالحقوق المدنية والسياسية او بدخولهم في الوظائف المدنية او العمومية او نواله الشرف او استعماله الصنائع والحرف المختلفة كيفما كان مقره فليجمع الاهالي التابعين للجبل الاسود وللجانب ايضاً الحرية التامة في جميع المتعلقات المذهبية ولا يسوغ اتخاذ مانع ما في ترتيب درجات ارباب المذاهب المختلفة او في علاقاتهم مع رؤسائهم الروحانيين »

(المادة الثامنة والعشرون) قد صار تعيين حدود الجبل الاسود كما سيأتي وهي انها تبتدئ من « ايلينو برودو » وتسير الى شمال « فلوبوق » وتمر من فوق « تره بنيجه » وتصل بمحل « غرانقارو » وتبقى غرانقارو ضمن لواء هرسك ومنها يصعد الخط الفاصل الى جبهة فوق من نهر غرانقارو ويصل الى محل يبعد عن النهر الذي يصب في « سيدلقد » مقدار كيلو متر فقط ومن هنا يسير على اقصر طريق ويصعد الى التلال التي في جوار « تره بنيجه » ثم يذهب الى « بيلاتوه » ويترك هذه القرية للجبل يسير من التلال الى جبهة الشمال وتلي قدر الامكان يمر بعيداً عن طريق « بيلكه » و « قوريتو » و « غاجقه » مقدار ٦ كيلومتر ويصل الى الطريق الكائنة فيما بين « سوبنا بلانينا » وجبل قوريله ومنها عن جبهة الشرق يمتد الى جبل اورلين ويترك قرية « وارنقويجي » لهرسك ثم يمتد من الشمال الشرقي ويدع « روانه » داخل الجبل ويمر من تلال « لبرسليك » و « ولجاق » ويسير من اقصر طريق وينزل الى نهر « بيوه » ويتجاوز هذا النهر ويصل الى « تاره » الكائنة بين « قرقويقه » وبين « وندوينه » ومن تارة يصعد الى « موجقواق » ويتصل بمحل « سقوج زرو » ومن هنا الى قرية « صوقولار » ويجتمع بالحدود القديمة ثم يمر الى تلال مقرا بلانينا وتبقى قرية مقرا داخل الجبل ويمر ايضاً من السلسلة الاصلية الى الطريق المذكور في خريطة اركان حرب اوستريا تحت رقم ٢١٦٦ ومن فوق مقسم المياه الواقع بين « ليم » و « درين » وبين « سيونه زم » ثم يتصل بالحدود الجديدة بعد مروره فيما بين قبيلة « قاجي دره قلوبجي » وبين قوسقار جنه و « فلامنتي » و « غرودي » وبعد ذلك ينزل الى صحراء بودغوريجيه ويترك قبائل قوسقار جنه وقلامنتي وغرودي وهوتي لبلاد الارناووط ويتصل « بيلاونيقه » ومن هنا يمر من جوار جزيرة « غوريتقه طوبال »

ويتجاوز مائة اشقودره ويسير رأساً من « غوريقه » طوبول الى التلال ويمر من مقسم المياه الكائن فيما بين « مغورد » و « فاليد » مع خط المقسم المذكور ويترك « ميرقويق » داخل الجبل وينتهي الى بحر ونديك (فينيسيا) عند قرية « فروجي » ثم يلتفت الى الشمال الغربي ويمر في الساحل من بين قرى « سوسانه » و « زويسى » ويتصل بمنتهى الحدود الجديدة في جهة الجنوب الشرقي فوق « ورسوته بلانينا »

(المادة التاسعة والعشرون) انضمام انتواري (باري) وشطوط البحر التي تخصها الى الجبل الاسود مشروط على الصورة الآتية وهي ان يعاد على الدولة العثمانية الاراضي الكائنة على جنوب تلك الجهة الى بويانا من ضمنها دولسنيو ويضم الى دلماتيا مرسى سبزا والاراضي المتعلقة بها الى غاية حدودها الجنوبية كما هي مبينة بالتفصيل في الخريطة ويكون للجبل الحرية المطلقة التامة للسفر في نهر بويانه ولكن لا يسوغ له ان يبنى على النهر حصوناً او استحکامات الا ما لزم للمحافظة على اشقودره خاصة فتكون تلك الحصون والحالة هذه غير خارجة عن دائرة مسافتها حول المدينة المذكورة بستة كيلومتر (٦٠٠٠ متر او نحو عشرة اميال) ولا يكون له بواخر حربية ولا راية ولا يسوغ لاي دولة كانت ان تدخل بواخرها الحربية الى مرسى انتواري اما الحصون الكائنة في ارض الجبل بين النهر وشط البحر فتهدم بالكيفية ولا يسوغ اعادة بنائها وبفوض لعهد اوستريا وهنكاري ادارة البحرية والصحية في انتواري وفي شطوط الجبل وعلى الجبل ان يستعمل القوانين والاصطلاحات البحرية على موجب القوانين والاصطلاحات الجارية في دلماتيا (باوستريا) وقد تعهدت اوستريا وهنكاري بان تحمي بواخر الجبل الاسود التجارية ويلزم للجبل ان يتفق مع اوستريا وهنكاري على مد سكك الحديد وانشاء طرق عادية في الاراضي التي دخلت حديثاً في حوزته وعلى تأمين حرية المواصلات عليها

(المادة الثلاثون) المسلمون وغيرهم الذين يملكون عقارات في الاراضي التي انضمت الى الجبل الاسود ويريدون ان يستوطنوا خارجاً عن الامارة لهم حق بان يبقوا مالكي عقاراتهم بايجارها او تشغيلها بواسطة من يختارونه وتشكل لجنة مؤلفة من مأمورين من العثمانيين واهل الجبل الاسود لتسوية المسائل التي تتعلق بكيفية نقل الاملاك او حرثها او ادارتها سواء هي من املاك الوقف او الاملاك الميرية التي للباب العالي فتجري تسوية جميع متعلقات الذين لهم مصلحة فيها وهذه التسوية تكون في ظرف ثلاث سنين

(المادة الحادية والثلاثون) على امارة الجبل الاسود ان تتفق مع الباب العالي على

ما يتعلق بتعيين وكلاء من طرفها في الاستانة او في جهات اخرى من السلطنة العثمانية مما يرى لازماً اما اهل الجبل المقيمون في السلطنة العثمانية او المسافرون فيها فيكونون تحت احكام الدولة العثمانية على حسب الاصول المقررة بين الدول وعلى حسب العوائد المقررة مع الجبل

(المادة الثانية والثلاثون) يلزم ان عساكر الجبل الاسود تخلي الاراضي التي هم الآن مستولون عليها مما لم يدخل في حدود امارة الجبل الجديدة وذلك في ظرف عشرين يوماً اعتباراً من يوم التوقيع على هذه المعاهدة او اقل من هذه المدة اذا امكن كذلك يلزم للعساكر السلطانية ان تخلي في المدة المذكورة الاراضي التي دخلت الان في حوزة الجبل

(المادة الثالثة والثلاثون) حيث انه يلزم الجبل الاسود ان يتحمل جانباً من الديون العثمانية العمومية في مقابلة الاراضي الجديدة التي دخلت في حوزته بموجب شروط الصلح تعين نواب الدول الاجنبية في الاستانة هذا المبلغ بالاتفاق مع الباب العالي على اصول عادلة

(المادة الرابعة والثلاثون) لما كان الموقعون على هذه المعاهدة معترفين باستقلالية امارة الصرب ربطتها بالشروط المحررة في المادة الآتية

(المادة الخامسة والثلاثون) لا يسوغ التمييز في الاعتقادات الدينية في الصرب ضد احد حتى يخرج من الاهلية والجدارة لجميع ما يتعلق بالحقوق المدنية والسياسية او بدخوله في الوظائف الميرية او العمومية او نواله الشرف او استعماله الصنائع والحرف المختلفة كيفما كان مقره فجميع الاهالي التابعين للصرب والاجانب ايضاً الحرية التامة في جميع المتعلقات المذهبية ولا يسوغ اتخاذ مانع ما في ترتيب درجات ارباب المذاهب المختلفة او في علاقتهم مع رؤسائهم الروحانيين

(المادة السادسة والثلاثون) امارة الصرب تكون مالكة للاراضي الموجودة في ضمن الحدود الآتي ذكرها وهي ان الخط الفاصل يمر على طول الخط الحالي ومن مصب نهر « درينا » في نهر صاوا وبذهب مع المجري ويترك « ازرونيق وزخار » للامارة ولا يترك الخط المذكور اعني الحدود القديمة الى « قابونيق » ثم يفترق في ذروة جبل قابونيق عن الخط المذكور ويسير من جنوب الجبل على طول حدود نيش الشرقية ويمر من تلال « ماريقا وماردار بلانينا » وهذه التلال هي الخط الفاصل بين نهر « ابلاروسينيكا »

وطوبليقا « وعلى هذا تبقى « بره بولاد » للدولة العلية وبعدة يسلك خط مقسم المياه الى جهة الجنوب من بين « برونينا » ومدودجا ويترك وادي مدودجا كله للصرب ويصعد الى تل « قولجا بلانينا » ويكون هو الخط الفاصل فيما بين الانهر المسماة « بولجنيقا وترنيقا ومورا » ويصل الى تل « بولجنيقا » ثم يذهب من تجاه « قابنا بلانينا » الى مجمع انهر « قوانسقا ومورا » ويتجاوز ويسير على الخط الفاصل فيما بين مياه النهر الذي يخلط بنهر مورا في جوار « قوانسقا ونرهدوس » ويتصل « بلانينا ايليجه » فوق « ترغويست » ومن هنا اعني من ذروة جبل ايليجه يمتد الى ذروة جبل « قتلوق » ويمر من المحلات المدروجة في الخريطة تحت عدد ١٥١٦ و ١٥٤٧ ومن « بابينا غورا » وينتهي الى جبل « قرني وره » ثم يبتدئ من هذا الجبل ويجمع بمحدود البلغار يعني يمر من تلال « استره سرو ويلوغلو ومسيد بلانينا » ويسير على خط مقسم المياه الواقع فيما بين استروما و « مورا » وينتهي الى المحلات المدعوة « غاسينا وقرنه تراوه ودارقوسقوه ودراينيقة بلان » وبعدها يمر من فوق « دشاني قلادق » ومن اعلى مقسم مياه « صوقوه ومورا » ويذهب رأساً الى « استول » ومن هنا ينزل الى قرية « سفوزه » من جهة شمالها الغربي ويقطع طريق « بيروت » بمسافة مقدار الف كيلومتر عن صوفية ويصعد على خط مستقيم الى « ويدليق بلانينا » ويمر من جبل « رادوجينا » الواقع في سلسلة البلقان الكبير ويترك قرية « دوقنجي » لامارة الصرب وقرية « سناقوس » الى البلغارستان ثم يسير من ذروة هذا الجبل الى جهة الشمال الغربي ويمر من بلقان « سيروق » ومن « استارا بلانينا » ويصعد الى تلال البلقان وفي جوار « قولاسميليجه قوقا » يتصل بمحدود الصرب الشرقية القديمة ويسير على هذه الحدود الى نهر الطونة وينتهي عند النهر في « راقويجه »

(المادة السابعة والثلاثون) لا يغير شيء في الصرب من الشروط الحالية فيما يخص العلاقات التجارية الكائنة بين الممالك الاجنبية وبين اماره الصرب الى ان يجري بدلها اتفاقات جديدة ولا يسوغ ان يؤخذ على البضائع التي تمر في الصرب مرسله الى جهة اخرى شيء من العوائد او الرسوم اما المزايا والامتيازات الشاملة الآن رعايا الدول الاجنبية في الصرب وحقوق الاحكام وحماية القناصل لرعاياهم على الاصول المعمول بها الآن فتبقى مرعية الاجراء الى ان يحصل اتفاق بين اماره الصرب والدول الاجنبية على تعديلها

(المادة الثامنة والثلاثون) التعهدات التي تعهد بها الباب العالي مع دولة اوستريا وهنكارييا او مع شركة سكة الحديد في الروم ابلي او فيما يتعلق بانقضاء السكك الحديدية وتشغيلها في الاراضي التي دخلت في حوزة الصرب تبقى مرعية الاجراء عند اماره الصرب وعند التوقيع على هذه المعاهدة يجري اتفاق بين دولة اوستريا وهنكارييا والباب العالي والصرب وامارة البلغار على قدر ما يخصها لتسوية هذه المسائل

(المادة التاسعة والثلاثون) المسلمون الذين يملكون عقارات في الاراضي التي انضمت الى الصرب ويريدون ان يستوطنوا خارجاً عن الامارة لم الحرية بأن يبقوا مالكي عقاراتهم بموجرتهم او تشغيلها بواسطة من يختارونه وستشكل لجنة مؤلفة من مأمورين من العثمانيين والصربيين لاجل تسوية جميع المسائل التي تتعلق بكيفية نقل وادارة الاملاك المتعلقة بالوقف او الاملاك الميرية التي للباب العالي وكذلك تسوية جميع متعلقات الناس الذين لم مصالحه فيها وهذه التسوية تكون في ظرف ثلاث سنين (المادة الاربعون) تكون معاملة رعية الصرب القاطنين في السلطنة العثمانية او المسافرين فيها بحسب اصول الاحكام والقوانين المتداولة بين الدول الى ان تحصل معاهدة بين الدولة العثمانية والصرب

(المادة الحادية والاربعون) يلزم لعساكر الصرب اخلاء جميع الاماكن التي لم تدخل في حوزة امارتهم في ظرف خمسة عشر يوماً اعتباراً من يوم التوقيع على هذه المعاهدة كذلك يلزم للعساكر السلطانية ان تغلي في المدة المذكورة الاماكن التي دخلت في حوزة الامارة

(المادة الثانية والاربعون) حيث انه يتعين على الصرب حمل جانب من الديون العثمانية العمومية في مقابلة الاراضي الجديدة التي حازتها بموجب هذه المعاهدة فسفراء الدول الاجنبية في الاسنانة يعينون مبلغ قيمة الاراضي المذكورة على صورة عادلة بالاتفاق مع الباب العالي

(المادة الثالثة والاربعون) لما كان الموقعون على هذه المعاهدة معترفين باستقلالية رومانيا ربطتها بالشرطين الآتين

(المادة الرابعة والاربعون) لا يسوغ التمييز في الاعتقادات الدينية في رومانيا ضد احد حتى يخرج من الاهلية والجدارة لجميع ما يتعلق بالحقوق المدنية والسياسية بدخوله في الوظائف الميرية او العمومية او نواله الشرف او استعماله الصنائع والحرف

المختلفة كينما كان مقره فجميع الاهالي التابعين لرومانيا والاجانب ايضا الحرية التامة في جميع المتعلقة المذهبية ولا يسوغ اتخاذ مانع ما في ترتيب درجات ارباب المذاهب المختلفة او في علاقتهم مع رؤسائهم الروحانيين فتكون معاملة رعايا جميع الدول سواء كانوا من التجار او غيرهم في رومانيا بدون تمييز في المذهب على قدم مساواة تامة

(المادة الخامسة والاربعون) اماره رومانيا تعيد على حضرة امبراطور الروسية اراضي بيسارايا التي كانت انفصلت من الروسية بموجب معاهدة باريس التي امضيت في سنة ١٨٥٦ وحددوها في الجهات الغربية من مجرى نهر البروث وفي الجنوب من نهر « كيليا » وفي « ستاري استانبول »

(المادة السادسة والاربعون) يضم الى رومانيا الجزر الثلاثة التي على الطونة وجزر « يلان طاغ » وسنجقية طولجي وهي تشمل قضائات كيليا وسولين ومحمودية وزانجه وطولجي وماجين وبابا طاغ وهرسوا وكوستنجه ومجيدية وما عدا ذلك يعطى لها ايضا الاراضي الكائنة على جنوب الدبروجه الى ان تصل الى خط بيتدي من شرق سيليستريا ويمتد الى البحر الاسود على جنوب منغاليه ويكون تعيين تخوم تلك الحدود في تلك المواقع بمعرفة اللجنة الاورباوية المنوط بعهدتها تعيين حدود البلغار

(المادة السابعة والاربعون) مسألة تقسيم المياه والصيدا تعرض على لجنة الطونة الاورباوية فتكون حكما عليها

(المادة الثامنة والاربعون) لا يجوز وضع رسومات او عوائد في رومانيا على السلع التي ترد اليها بقصد ارسالها الى جهة اخرى

(المادة التاسعة والاربعون) يسوغ لرومانيا ان تعقد مع الدول الاجنبية اتفاقا لتسوية مسألة امتيازات ووظائف فواصلهم فيما يتعلق بحماية رعاياهم في الامارة الا ان الحقوق الحالية تبقى مرعية الاجراء ما دام لم يحصل اتفاق عمومي بين الامارة والدول (المادة الخمسون) تبقى رعية رومانيا القاطنون في الممالك العثمانية او المسافرين فيها او رعايا العثمانيين المسافرين في رومانيا او القاطنون فيها متمتعين بالحقوق التي تشمل رعايا بقية الدول الاورباوية الى ان تعقد معاهدة لتسوية امتيازات القناصل ووظائفهم بين الدولة العثمانية ورومانيا

(المادة الحادية والخمسون) تعهدات الباب العالي ووظائفه فيما يتعلق باتمام الاشغال النافعة وما اشبهها في الاراضي التي دخلت في حوزة رومانيا تعود الى عهدة رومانيا

(المادة الثانية والخمسون) لاجل زيادة تأمين حرية السفر في نهر الطونة التي اعترف انها من المصالح الاورباوية قرر رأي الموقعين على هذه المعاهدة بان جميع الحصون والاستحكامات الموجودة الآن على النهر من عند المحل الذي يقال له « ابواب الحديد » الى فم النهر تهدم بالكلية فلا يسوغ بعد هذا بناء غيرها ولا يجوز سفر احدى البواخر الحربية على الطونة منحدر « ابواب الحديد » الا البواخر الصغيرة المعينة لخدمة الضبطية في النهر وخدمة الكبارك ولكن يسوغ لبواخر الدول الموجودة في فم نهر الطونة لاجل الحراسة ان تسافر في النهر الى غاية « غلاتس »

(المادة الثالثة والخمسون) تبقى لجنة الطونة الاورباوية مقررة في وظائفها ولرومانيا فيها نائب وتجري اعمال وظائفها الى « غلاتس » بحرية تامة مستقلة عن مداخله مأموري تلك الاراضي وتبقى ايضا سائر معاهداتها واتفاقاتها واشغها واعمالها وقراراتها فيما يتعلق بامتيازاتها وخصائصها ووظائفها ثابتة الاجراء

(المادة الرابعة والخمسون) قبل نهاية الاجل المقرر لبقاء لجنة الطونة الاورباوية بسنة واحدة يلزم للدول ان يتفقوا على تطويل سلطتهم او على التعديلات التي يرون اجرائها من اللازم

(المادة الخامسة والخمسون) جميع المنظمات المتعلقة بالسفر في النهر ووظائف الضبطية فيه من « ابواب الحديد » الى « غلاتس » يكون ترتيبها وتنسيقها من طرف اللجنة الاورباوية بمساعدة نواب من طرف الممالك الكائنة بسواحل النهر ويصير تأليفها بالانظمة الموجودة او التي ستحدث في امور النهر اسفل من غلاتس

(المادة السادسة والخمسون) يلزم للجنة الطونة الاورباوية ان تلتزم مع الدول فيما يتعلق بتوفير الفئارات الكائنة على جزر « يلان طاغ »

(المادة السابعة والخمسون) قد فوض لاوستريا وهنكارييا الاشغال اللازم اجرائها لازالة موانع السفر التي تحدث من « ابواب الحديد » والشلالات ويلزم على الممالك المجاورة النهر من الجهة المذكورة ان تجري جميع التسهيلات اللازمة لمصلحة تلك الاشغال اما المواد المقررة في المادة الرابعة من معاهدة لندرا التي امضيت في ١٣ مارس سنة ١٨٧١ فيما يتعلق باخذ ضرائب مؤقتة لسد مصاريف تلك الاعمال والاشغال فتبقى منوطة بدولة اوستريا وهنكارييا

(المادة الثامنة والخمسون) الباب العالي يسلم الى امبراطورية الروسية في اسيا

(الاناطول) اراضي اردهان وقارص وباطوم مع مرسى باطوم وجميع الاراضي الكائنة بين تخوم الروسية والتركية القديمة والتخوم الاتي بينها وهي « الحدود الجديدة » بتبديء من البحر الاسود على حسب الخط المقرر في معاهدة اياستفانوس الى نقطة في الجهة الشمالية الغربية من « خورده » وعلى جنوب « ارتوين » وتمتد على خط مستقيم الى نهر « جوروك » وبعد عبوره هذا النهر يسير شرقي « اششين » ويستمر على خط مستقيم في الجنوب وهناك يلاقي حدود الروسية المشروحة في المعاهدة المذكورة وذلك في نقطة على جنوب « ناريمان » مع بقاء مدينة « اولني » في حوزة الروسية ثم يتبدىء الخط بالقرب من « ناريمان » الى الجهة الشرقية ويكون مروره من « تربنيق » وبعد دخول مدينة تربنيق في حوزة الروس يسير الى « بنك شاي » مجارياً نهره الى ان يصل الى « باردوز » وبعد دخول مدينة باردوز ويكي كوي في عهدة الروسية يؤخذ نقطة من غرب قرية « قره اونجان » تجعل الحدود عليها على خط الى ان يصل الى « ميجنجر » ومنها على خط مستقيم الى ان يصل الى تلال « قباداغ » فيستمر على خط مصب نهر « الاركس » في الشمال ومصب نهر « مرادصوي » في الجنوب الى ان يصل الى حدود روسيا القديمة (المادة التاسعة والخمسون) امبراطور الروسية يصرح هنا بان غاية مقصده ان يجعل باطوم مرسى حراً (معنى حر ان تكون البضائع معفاة من جميع رسومات الدخول او الخروج)

(المادة الستون) تعيد الروسية على تركية اودية الشغراد ومدينة « بايزيد » التي سلمت للروسية بموجب المادة ١٩ من معاهدة اياستفانوس وقد سلم الباب العالي الى مملكة ايران مدينة « قطور » واراضها كما قرره عليه رأي اللجنة الانكليزية والروسية التي نيط بعهدتها تعيين تخوم تركية وايران

(المادة الحادية والستون) الباب العالي يتعهد بان يجري بدون تأخير في الولايات التي سكانها من الارمن سائر الاصلاحات والتحسينات التي تحتاج اليها امورها الداخلية وان يتعهد بتأمينهم من تعدي الجراكسة والاكراذ عليهم وينيد الدول الاجنبية المرة بعد المرة التثبتات التي اتخذها لهذه الغاية وهي تراقب كيفية اجرائها

(المادة الثانية والستون) حيث ان الباب العالي اظهر رغبته في ابقاء اصول حرية الديانة وتوسيع مداها توسيعاً مطلقاً فان الموقعين على هذه المعاهدة ينزلون هذه الرغبة منزلة الفعل فلا يسوغ التمييز في الاعتقادات الدينية في جميع اطراف السلطنة العثمانية

حتى يخرج احداً عن الاهلية والجدارة بجميع ما يتعلق بتمتعهم بالحقوق المدنية والسياسية او بدخولهم في الوظائف الميرية او العمومية او نواله الشرف او استعماله الصنائع والحرف المختلفة كيفما كان مقره ويؤذن لجميع الناس بان يؤدوا الشهادة في جميع المحاكم بدون تمييز احد في الدين واستعمال سائر الامور الدينية يكون بحرية فلا يكون مانع ما لترتيب درجات ارباب المذاهب المختلفة او لعلاقتهم مع رؤسائهم ويكون الاكليروس (اصحاب الرتب الكنائسية) والزوار والرهبان من جميع الامم الذين يسافرون في الممالك العثمانية في الروم ابلي والاناطول حائزين حقوقاً واحدة وامتيازات وخصائص واحدة وفوض الى القناصل ونواب الدول الاجنبية في تلك الممالك حق في حماية اولئك المذكورين وحماية محلاتهم الدينية والخيرية حماية رسمية في الاماكن المقدسة او غيرها اما الحقوق المسلمة لفرنسا فلم تنزل مرعية الاجراء وصار من المعلوم المقرر هنا انه لا يسوغ تبديل حال من الاحوال الحاضرة في الاماكن المقدسة اما زوار جبل اثوس من اي جنس كانوا فيبقون حافظين لاملاكهم وامتيازاتهم ومنحهم السابقة ويبقون متمتعين بمساواة تامة في الحقوق والمزايا

(المادة الثالثة والستون) تبقى معاهدة باريس التي امضيت في ٣٠ مارس ١٨٥٦ ومعاهدة لندن التي امضيت في ١٣ مارس ١٨٧١ مرعية الاجراء وذلك فيما يتعلق بالمواد التي لم تنسخها ولم تعد لها هذه المعاهدة

(المادة الرابعة والستون) يقع التصديق على هذه المعاهدة بعد ثلاثة اسابيع او اقل ان امكن وللشهادة بذلك اثبت الموقعون اسماءهم على هذه المعاهدة بعد ان وضعوا عليها اخنامهم

تحريراً في برلين في اليوم الثالث عشر من شهر يوليه (تموز) سنة ١٨٧٨

الامضاء

فون بسمارك	صالسبري	هايمول	شوفالوف
فون بولوى	اودروسل	وادنطون	دوبريل
هوهنلوه	كورتي	سان فاليه	قره تيودوري
اندراسي	لاوني	دهبريس	محمد علي
كارولي	غورجيفوف	بكنسفيلد	سعد الله

وعند الاخذ في العمل بمقتضى هذه المعاهدة طلبت روسيا عقد معاهدة نهائية لتصحيح ما سلم من معاهدة سان استيفانوس لتخرج عساكرها من الاراضي العثمانية فاستقر الامر على معاهدة تعريبها

(المادة ١) يقع بعد هذا صلح ووداد بين السلطنتين

(المادة ٢) قد وقع الاتفاق بين الدولتين على ان تصرحا بان المواد التي تضمنتها معاهدة برلين التي صار اجرائها بموجب توسط الدول السبع جرى العمل بها عوضاً عن شروط صلح معاهدة اياسطفانوس التي صار تعديلها او تبديلها في مؤتمر برلين (المادة ٣) جميع مواد معاهدة اياسطفانوس التي لم يحصل تبديلها او تعديلها او الغاؤها في معاهدة برلين جرت تسويتها في المواد الآتية من هذه المعاهدة تسوية قطعية

(المادة ٤) بعد اسقاط قيمة الاراضي التي سلمتها تركيا الى الروسية بموجب معاهدة برلين يبقى مبلغ الغرامة الحرية المتعين على الباب العالي اداؤه ٨٠٢٥٠٠٠٠٠ فرنك وكيفية اعطاء هذا المبلغ والضمان عليه تكون بالاتفاق بين دولة الحضرة العلية السلطانية ودولة قيصر الروسية ما عدا ما صرح به في المضبطة الحادية عشرة من معاهدة برلين فيما يتعلق بالغرامة الارضية والحقوق الاولوية المخصصة بالذين لم مطالب على الدولة العلية

(المادة ٥) مطالب رعية الروسية القاطنين في تركيا بصفة تعويض عن الضرر الذي حصل لهم في مدة الحرب الاخيرة تعطى عند رؤيتها وتسويتها بمعرفة سفارة الروسية بالاستانة واطلاع الباب العالي عليها وعلى كل حال لا يمكن ان تزيد على ٢٦٧٥٠٠٠٠ فرنك ويلزم تقديمها الى الباب العالي في ظرف سنة واحدة اعتباراً من يوم مبادلة هذه المعاهدة المصدق عليها وبعد مضي سنتين لا يقبل الباب العالي شيئاً منها

(المادة ٦) يعين من طرف الباب العالي ومن طرف دولة الروسية مأمران مخصوصان لتسديد حساب تموين العساكر العثمانية الذين كانوا اسرى في الحرب الاخيرة وهذه المصاريف تعين الى يوم التوقيع على معاهدة برلين ويسقط منها المبلغ الذي صرفته الدولة العثمانية على مؤونة الروس الذين كانوا اسرى عندها وبعد تسوية هذا الحساب يدفع الباب العالي المبلغ الى الروسية في احد وعشرين قسطاً متساوية يكون دفع آخر قسط منها في ظرف سبع سنين

(المادة ٧) سكان الاماكن التي احقت بالروسية الذين يريدون الاقامة في غيرها يسوغ لهم الخروج منها بحرية تامة كما انه يسوغ لهم ايضاً بيع املاكهم وعقاراتهم «الغير المنقولة» ولجل هذه الغاية تعطى لهم مهلة ثلاث سنين اعتباراً من يوم التصديق على هذه المعاهدة فاذا انقضت هذه المدة ولم يخرجوا من الاماكن ولم يبيعوا عقاراتهم يصيرون رعية للروسية

(المادة ٨) قد تعهد الموقعون على هذه المعاهدة بان لا يعاقبوا او يسببوا معاقبة رعية الدولتين الذين كان لهم علاقة او مشاركة مع عساكرها في الحرب الاخيرة واذا اراد احد من العثمانيين ان يتبع عساكر الروس عند خروجهم من ارض الدولة العلية فلا يسوغ للأموري هذه الدولة ان يمنعهم

(المادة ٩) منحت رعية الدولة العثمانية الذين اشتركوا في الانقلاب الاخير الذي وقع في ولاياتها بالروم اليلى الامان والعفو التام بحيث ان كل من حبس منهم لهذا السبب او نفي او ابعد من بلادهم يعفى عنه ويحول الحرية التامة

(المادة ١٠) جميع المعاهدات والاتفاقات والتعهدات التي كانت حاصلة بين الموقعين على هذه المعاهدة فيما يتعلق بالاحكام وحال رعية الروسية القاطنين في تركيا ثم الغيت بسبب الحرب الاخيرة تصير معمولاً بها كما كانت سابقاً فتبقى علاقة كل من الدولتين من جهة تعهداتها وعلاقاتها التجارية وغيرها على الحالة التي كانت عليها قبل الاعلان بالحرب ما عدا ما صرح به في هذه المعاهدة او في معاهدة برلين

(المادة ١١) يتشبت الباب العالي بالوسائط الفعالة لتسوية جميع الدعاوي والمنازعات المخصصة برعية الروسية الموقوفة منذ بعض سنين ويعطى لهم تعويض اذا اقتضتها الحال مع المبادرة الى انتهاء جميع الدعاوي التي صدر بها لهم اعلامات وقرار من المجالس

(المادة ١٢) بعد التصديق على هذه المعاهدة يقع تبادلها في صان بطرسبرج في ظرف اسبوعين او اقل اذا امكن

تجريباً بالاستانة العلية في ٨ شباط (فبراير) ١٨٧٩

فتلخص مما تقدم ان سائر الممالك العثمانية هي آمنة للوارد عليها واحكام الدولة المعلنة بها لكل من حوته ممالكها شرعية سياسية منظمة ولها مجلس شورى ومجلس اعيان

ومجلس مبعوثان (نواب) وان اعترض الآن من القلائل الخارجية ما اوجب تأخير اجتماع المجلسين الاخيرين لان تمام اجراء الاصلاحات حقيقة واما تعيين قواها البرية والبحرية والدخل والخرج فقد تقدم ذكره مع بقية الدول

﴿ الى هنا وقف بالمؤلف رحمه الله القلم ﴾ وبذلك اختتم هذا الكتاب وتم ﴿

تقاريط

﴿ كتاب صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار ﴾

مكتوب

وارد من فخر العلماء والاشراف السيد علوي السقاف شيخ السادة بمكة المكرمة سابقا حرسه الله
الحمد لله تعالى

حضرة العالم العلامة والخبر الفهامة الملاذ الانخم والماجد الهام الاكرم مولانا الشيخ
محمد بيرم ادام الله النفع به امين
بعد اداء تحيات عاطرة . واشواق متكاثرة . هو اني بعد ان تشرف ناظري بالمرور
على جملة صالحة من تحرير انكم البديعة العالية المنار . وجدتها جديرة بما سميت به من صفوة
الاعتبار . بمستودع الاقطار والامصار . اضاء بسياحي فيها ناظري . وتنزه من الغموم
بجولاني بها خاطري . كيف وهي خريدة غراء عريضة الا انها غريبة في بلاد الروم .
وعروس تجلت في منصتها الا انها لا يكافئها كل خاطب لها يروم . اشرقت فيها كواكب
التدقيق . وازاءت في آفاقها شمس التحقيق . ابدعت معانيها واحسنت . واحكمت مبانيها
وانقنت . فشكر الله تعالى لكم حسن هذا الصنيع . واساله تعالى دوام النفع بكم لكل وضع
ورفع . وها هي يد الخادم عائدة اليكم . بعبية عريضتنا هذه النائية عنا في اثم ايادكم .
ودمت . في عز كما رمت

مستمد دعواتكم الصالحة
﴿ علوي بن احمد السقاف ﴾

في ٢٩ ذي الحجة سنة ١٣٠٠

ترجمة مكتوب

وارد عن لسان صاحب المحشة ملك السويد والنرويج اوسكار الثاني من مدينة اوبسالا
بتاريخ ٧ سبتمبر سنة ١٨٨٩

حضرة السيد

بأمر من جلالة الملك انشرف بأن اخبركم بورود تأليفكم الموسوم بصفوة الاعتبار
الذي تفضلتم بتقديمه الى مقامه السامي بصفة كونه حامياً ورئيس شرف المؤتمر الثامن
الدولي للمستشرقين وقد كلفني جلالتك بان ابلغ سيادتكم جزيل شكره على هذه الهدية
النفيسة وتفضل يا حضرة السيد بقبول فائق اجلاي واحترامي رئيس الكتاب
❖ دوسيلسنغ ❖

واسم الكتاب مذكور في الصحيفة ٦٢ من فهرسة الكتب التي قدمت الى جلالة الملك المشار اليه بملك المناسبة



ترجمة مكتوب وارد باللغة التركية

من اكتب كتاب عصر الوزير المرحوم سعد الله باشا سفير الدولة العلية في رايته سابقاً
من مدينة وياه بتاريخ ٤ مايس ١٨٨٨

فضيلتو افندم حضر تاري

وصلت ليد الاعزاز نيقتمكم الكريمة واني لني غاية الابتهاج مما تفضلتم باظهاره في
حق هذا العاجز من آثار توجهاتكم الودادية وارجوكم قبول عذري لتأخري عن المبادرة
بالاجابة. هذا واني اتباهى بوقوفي بالخبر على ما كنت اسمعه بالخبر عن فضائل ذاتكم العالية
وكالاتكم المشهورة وانكم نحرير صاحب قلم اوقتموه لخدمة الملة والمدنية الاسلامية واقبالها
وترقيها وقد حفظت ذكرى ملاقاتنا التي تشرفت بها عند ما حضرتم الى اوربا لتبديل
الهواء واهنيكم على توفيقكم تحرير رحلتكم المسماة بصفوة الاعتبار المشحونة بالفوائد العظيمة
التي اتحتموني بنسخة منها لطفاً منكم وتكرماً « نخير الناس من ينفع الناس » واني ارجو
ان لا تنسوني من دوام توجهاتكم والامر لسيدي في كل حال ❖ سعد الله ❖



فهرست

❖ الجزء الخامس من صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار ❖

صحيفة

- | | |
|----|---|
| ٢ | فصل في تاريخ الحجاز — مطلب في تاريخه القديم |
| ٣ | ذكر العرب البائدة |
| ٣ | بحث في عمر الارض |
| ٤ | ذكر العرب العاربة |
| ٧ | اصول التشريع في الاسلام |
| ٨ | ذكر العرب المستعربة |
| ٩ | ذكر العرب المخضرمين |
| ٩ | فصل في التاريخ الجديد للحجاز |
| ٩ | مختصر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم |
| ١٢ | ولاية العائلة الشريفة الحالية اماره الحجاز |
| ١٣ | مطلب في السياسة الداخلية للحجاز |
| ١٧ | مطلب في سياسته الخارجية |
| ١٧ | مطلب في عوائد وصفات الاهالي بالحجاز |
| ١٩ | مطلب في التجارة بالحجاز |
| ٢١ | مطلب في الصنائع به |
| ٢٣ | مطلب في المعارف به |
| ٢٤ | مطلب في الاحكام به |
| ٢٦ | مطلب في هيئة المساكن به |
| ٢٧ | حكم تنظيم المدن في الاسلام |
| ٢٨ | مطلب في اللبس وبقية العادات بالحجاز |
| ٣٠ | مطلب في اللغة به |
| ٣١ | الباب العاشر — في المملكة العثمانية |
| ٣١ | فصل في سفر المؤلف اليها |

٣٢	ذكر خليج السويس
٣٥	ذكر مدينة بيروت
٣٦	ذكر رستم باشا متصرف لبنان اذ ذاك
٣٩	ذكر المرحوم مدحت باشا
٤٠	ذكر من اجتمع بهم المؤلف من الاعيان في بيروت
٤٠	ذكر مدينة ازميز
٤١	ذكر جنناق قلعه
٤١	وصول المؤلف للقسطنطينية
٤٢	مطلب في صفة القسطنطينية
٤٦	فصل في مجمل تاريخ الدولة العثمانية
٤٧	قصيدة « عقد الدر والمرجان في سلاطين آل عثمان » لشيخ بيرم الثاني
٥٢	وصية بطرس الاكبر قيصر روسيا
٥٥	اصلاحات السلطان محمود الثاني وترتيب الجيش النظامي سنة ١٢٤١
٥٥	واقعة نافارين ببحر الجزر وحرقت الاساطيل العثمانية
٥٦	فرمان كلخانه الصادر بالتنظيمات الخيرية في ٢٦ شعبان سنة ١٢٥٥
٥٩	ذكر حرب القريم ومعاهدة باريس المعقودة في ٣٠ مارس سنة ١٨٥٦
٦١	الفرمان الذي اصدره جلالة السلطان عبد الحميد الثاني عند جلوسه
٦٣	دسائس روسيا وثورة بعض الولايات بالروم ايلي
٦٤	اقتراحات مؤتمر الاستانة
٦٥	الفرمان الصادر بالقانون الاساسي
٦٧	لائحة (بروتوكول) لندره وهي البلاغ النهائي قبل الحرب الاخيرة
٦٨	انتساب الحرب بين الدولة العلية وروسيا سنة ١٢٩٤
٦٩	معاهدة الصلح المعقودة في اياستفانوس في ٣ مارس سنة ١٨٧٨
٧٩	معاهدة برلين المعقودة في ١٣ يولييه سنة ١٨٧٨
٩٨	المعاهدة التي ابرمت مع الدولة العلية لاخلاء الاراضي العثمانية من العساكر الروسية
	تقاريط الكتاب
	ترجمة المؤلف رحمه الله

ترجمة

المرحوم السيد محمد بيرم الخامس

هو السيد محمد بن مصطفى بن محمد الثالث بن محمد الثاني بن محمد الاول بن حسين بن احمد بن محمد بن محمد بن حسين بن بيرام حضر الى تونس قائداً على احدى فرق الجيش العثماني عند فتحها من يد الاسبانيول على يد الصدر الاعظم سنان باشا سنة ٩٨١ هجرية وقد تزوج بيرام بنتاً من آل ابي عبد الله بن الابار القضاعي صاحب كتاب التكملة وإعتاب الكتاب وهو الذي ارسله صاحب بلنسية زيان بن ابي الحملات الى صاحب افريقية (تونس) ابي زكريا يحيى بن ابي حفص يستغيث به لما حاصره ملك برشلونة الاسبانيولي فانشده قصيدته المشهورة التي اولها

ادرك بخيلك خيل الله اندلسا ان السبيل الى منجاتها درسا

وقد قدر الله ان الاسطول الذي ارسله صاحب تونس لم يصل في الوقت المناسب لانجاد الاندلسيين فرجع ابن الابار لتونس حيث استوطن بها سنة ٦٣٥ وقد امهرها بيرام اربعة آلاف ريال هذا هو المنشأ الاصل لهذه العائلة

وقد ولد السيد محمد بيرم بمدينة تونس في المحرم سنة ١٢٥٦ هجرية الموافق لمارس سنة ١٨٤٠ ميلادية وامه بنت الفريق محمود خوجه وزير البحرية بالايالة التونسية وامها بنت الغماد ذي الشرف المعروف ويتصل نسب آل بيرم

بالسادة الاشراف من جهات اخرى ايضاً اهمها جهة محمد بيرم الاول فان والدته بنت السيدة الشريفة حسينة بنت محمد بن ابي القاسم بن محمد بن علي بن حسن الهندي الشريف وهذا السيد قدم الى تونس واجمعت عامتها وخاصتها على الاعتقاد بنسبه الطاهر والتبرك به ونسله فيها بركة اهل تونس الى الآن اما نسبه فيتصل الى الحسين البط عليه السلام وقد تولى محمد بيرم الثاني نقابة الاشراف في حياة ابيه مضافة الى خطة القضاء التي كانت بيده سنة ١٢٠٦ واستمرت النقابة في يد ولده محمد بيرم الثالث وحفيده محمد بيرم الرابع الى حين وفاته سنة ١٢٧٨ كما ان رئاسة الفتيين الحنفية المبرع عنها في تونس بمشيخة الاسلام استمرت في يدهم ويد ابيهم محمد بيرم الاول من ذي القعدة سنة ١١٨٦ الى ٤ جمادى الاولى سنة ١٢٧٨ اي احدى وتسعون سنة وستة اشهر ولم تنقطع الا مدة قليلة بين وفاة بيرم الاول وولاية بيرم الثاني . وكان جميع آل بيرم منخرطين في سلك العلماء مفتخرين بخدمة العلم الا القليل منهم فقد دخلوا في الخدمة العسكرية واجتمع لهذه العائلة خدمة الدين من الطريقتين طريق العلم وطريق الجهاد حتى ان احمد بيرم توفي بجراحة اصابته في محاربة الجزاير بين لمراد باي امير تونس اذ ذاك سنة ١١١٢ وكان هذه الخدمة السياسية اثرت في صاحب الترجمة مع قرابته لوزير البحرية حينئذ فصار له ميل كلي للتدخل في الامور الملكية ومعرفة احوال الحكومة وقد كان جده محمود خوجه رام ادخاله في الخدمة العسكرية لولا ممانعة عمه شيخ الاسلام بيرم الرابع فدخل صاحب الترجمة الى جامع الزيتونة وقرأ على مشايخ الوقت المدودين ولم ينعمه ذلك عن اشغال فكره بما يهواه من

امور الادارة مع تباعد اهل العلم عادة عن كل ما هو خارج عن دائرة دروسهم وقد جرت عادة الكثير من العلماء والادباء بتونس ان يكون لكل واحد منهم سفر شبيه بالسفينة يسمونه "كناشا" يجمعون فيه ما يحلو لديهم اجمعه من انشاتهم او انشآت غيرهم علمية وادبية نظماً ونثراً متضمنة الفوائد المختلفة في فنون ومعاني شتى وقد خطى صاحب الترجمة على خطاهم وعمره سبعة عشر سنة واول ما افتتح به كتابه ما تجمع لديه من اوامر وقوانين وانظمامات في شؤون الحكومة اصدرها اذ ذاك صهره الامير محمد باشا وهذا يدل دلالة واضحة لا شبهة فيها على ميل صاحب الترجمة وتعلقه باحوال السياسة وقد كان في حال صباه يرى العربان يفدون على والده وهو مشغول بالزراعة يتضجرون ويتوجعون مما يصيبهم من ظلم الحكام وتشديدهم في نهب الاموال بسائر الطرق التي اخترعوها في ذلك الوقت مما هو مبسوط في الكلام عن سياسة تونس الداخلية في صفوة الاعتبار فاطر فيه نحيبهم وبكاؤهم فاوقف حياته من ذلك العهد على الانتصار للرعايا وتخفيف الاستبداد عليهم والسعي وراء نشر القوانين وتأسيس المجالس النيابية والميل بكل جوارحه للحرية مع ما جرت به العادة من تباعد ذوي البيوتات عن مثل ذلك حتى لقد بلغ به الولع بالحرية وحب المجالس الشورية ان تخالف رأياً يوماً وهو صغير السن لا يتجاوز من العمر عشرين سنة مع ابيه وابن عمه عندما افتتح الامير الصادق باشا المجلس الاكبر واسس قوانين عهد الامان (كونستيتسيون) فكان صاحب الترجمة ينتصر لهذه المستحدثات ويتوسم فيها خيراً للبلاد وذاتك يخالفانه مع ان احدهما كان من جملة اعضاء المجلس لما غرس في اذهان اصحاب

البيوتات من التنجني عن مثل هذه المستحدثات التي لا تروق في اعين حكامهم وبعد وفاة عمه الشيخ بيرم الرابع ولاه الامير مشيخة المدرسة العنقية في ٦ جمادى الاولى سنة ١٢٧٨ فباشر التدريس فيها ومن عادة علماء تونس من مشايخ المدارس ان يقرأوا فيها صحيح البخاري خصوصاً في الاشهر الثلاثة المكرمة واعتباراً من ١٥ رمضان يبتدىء كل واحد منهم بحسب الدور يختم ما قرأه وذلك بان يتلو الحديث الشريف الذي وقف عليه ويكتب عنه ما يعين له من الشروح والتعليقات ويكون لذلك مجلس حافل يستمر من العصر الى قريب الغروب وتوالي الاحتفالات المذكورة الى الليلة السابعة والعشرين من رمضان حيث يكون ختم جامع الزيتونة ودور المدرسة العنقية في اليوم الخامس والعشرين منه وقد حضر الامير بنفسه ذلك الختم في تلك السنة تشجيعاً للشيخ الجديد وكان حديث الختم قوله عليه الصلاة والسلام "ان امتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين فمن استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل" وفي ٩ جمادى الثانية سنة ١٢٧٨ صار مدرساً في جامع الزيتونة من الطبقة الثانية وفي ١٥ رجب سنة ١٢٨٤ رقي مدرساً من الطبقة الاولى فاستمر مباشراً للتدريس مشغولاً بادارة املاكه وعقاراته واموره الخصوصية وترفي والده الى رحمة ربه في ١٤ جمادى الاولى سنة ١٢٨٠ وترك له ثروة عظيمة وفي تلك الاثناء ظهرت الفتنة العمومية في الايالة التونسية متسببة عما كان يتوقعه ويخشاه من عاقبة ظلم الرعية واستبداد الحكام وقبيل ذلك اقبلت المجالس الشورية التي كان صاحب الترجمة يتولع بها ويهاها ولا يتوسم لخير المملكة سواها وكان ذلك اثر عليه تأثيراً شديداً حتى انه كاتب احد

اصدقائه من امرء المسلمين النقيمين باوربا بما نص محل الحاجة منه " فيا لها من حال . يرثي لها من رام النزال . وتخر لشدها شامحات الجبال . الى ان قال فقد فاز من نبض بنفسه . واستراح من فتنة باطنه وحسه . اذ الآيات وردت على ذلك ناصة . فقال تعالى وانتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة . ففاز المخفقون . وابتلى المتأهلون . ووالله العظيم . ونبيه الكريم . طالما نهضت عزائي الى الترحال . فاثقلني قيود العيال . مع ما انا عليه من الوحدة عن اخ شقيق . اوقرب يخلفني فيهم عند الضيق . ولم استطع التخلص بكلي . لا لا يخفى مما يثقل كلي . واقسم بالقرآن . وصفات الرحمن . انني عرضت للبيع املاكي . لا تخلص بها من اشراكي . واستعين منها بالاثمان . فلم اجد من يصرف لهذا الوجه اي عنان . ولو من اعيان الاعيان . الخ " (والمكتوب كله منشور في الصحيفة ٣٦ من الجزء الثاني من صفوة الاعتبار) ومن ذلك الحين اشتد اتصاله بالوزير خير الدين باشا اذ كان هو رئيس المجلس الاكبر الذي انفي وكانت مناسبة الوصلة بينهما حجة للحرية وتعميم الشورى في المملكة وهما كما لا يخفى القوتان الوحيدتان لحفظ استقلال البلاد من التلاشي ولذلك فانه لما تولى خير الدين باشا الوزارة الكبرى في تونس في رمضان سنة ١٢٩٠ كان صاحب الترجمة من اكبر انصاره ومحازبيه وتظاهر بذلك تظاهراً كلياً حتى نشر في الرائد التونسي الذي هو جريدة الحكومة الرسمية مکتوبين اظهر فيها انبساط الاهالي من تغيير الوزارة وبين ذلك المتصرين للحاكم السابق وانهم فئة قليلة لا تحب خير البلاد وكان بذلك اول تونسي جاهر بآرائه السياسية في الجرائد تحت امضائه على ما اظن وزاد

على هذا التظاهر الادبي بان سعى في اعمال تظاهر مادّي وذلك بان اتفق مع علماء جامع الزيتونة على اقامة احتفالات في الجامع شكراً لله على انقاذ البلاد من عهد الجور وادخالها في عصر الاطمئنان والرجوع لعهد الامان وحصل بالفعل ذلك الاحتفال واعقبه كثير مثله في جهات الحاضرة وبقية بلدان المملكة فكانت نهضة حقيقية وطنية صادرة عن اخلاص نية حباً في الحرية واستقامة الاحكام ولما استقرّ الوزير المشار اليه في المنصب ووجه عزيمته لاصلاح الادارة رأى ان الاوقاف مشتتة قد استولت عليها ايدي الخراب والاطماع فرأى ان جمعها في ادارة واحدة يكفل حفظها ويجمع ريعها فيصرف في اوجه المشروعة وذلك على النحو الجاري في دار الخلافة السعيدة وقد رأى الوزير ان يعهد الى صاحب الترجمة امر هذه الادارة الجديدة لما يعهده فيه من معرفته بالاحكام الشرعية واطلاعه على مقتضيات الوقتية فامتنع المرحوم اولاً من قبول اي وظيفة كانت لانه لم يكن يميل الى التقيد بشيء مما يمنعه عن السعي وراء ضالته المنشودة وهي الحرية للرعية ودخوله في الوظائف بجملة بل ارب مقيداً مع الوزير بالآداب التي تقتضيها الوظيفة اما بقاؤه خارجاً عن دائرة الحكومة فيبقى على حريته التي تمكنه من تذكير الوزير بما عساه ينساه من تميمه لما كان تعهد باجرائه هذا فضلاً عما كانت عليه سجيّة صاحب الترجمة من الهمة وابةاء النفس حتى كأن جده حسين بيرم المتوفي سنة ١١٥٥ قد نظر اليه بظهر الغيب لما ذبل البيتين الشهيرين
 شيآن لو بكت الدماء عليها عيناى حتى تؤذنا بذهاب
 لم يبلغا المعشار من حقيها فقد الشباب وفرقة الاحباب

بقوله

واشد من هذين ان يلقي الفتى ذل السؤال ووقفه الابواب
ومع ذلك فقد تغلب اصحابه عليه وقبل ادارة الاوقاف في ١٧ صفر
سنة ١٢٩١ ولم ينفرد مع ذلك بامرها بل شارك معه مجلساً مؤلفاً من ثلاثة
اعضاء احدهم من رجال الادارة والاثنان الاخران من اعيان الاهالي والتجار
وجعل نظرهم في الاوقاف على قسمين الاول الاوقاف الاهلية اي التي هي
موقوفة على ذرية الواقف او قرابته والثاني الاوقاف التي على اعمال البر
مثل الجوامع وقراءة القرآن وغير ذلك فاما نظرهم في الاول فهو مجرد نظر
ارشاد واما القسم الثاني فنظرهم عليه نظر تصرف مطلق والمباشر للاعمال هو
الرئيس بعد اخذ رأي الاعضاء عنها وقد جمع الاوقاف كل نوع منها لجهة
واحدة بان ضم مثلاً جوامع الخطب كلها لجهة والمدارس كلها لجهة واوقاف
القرآن لجهة وهكذا الى آخر انواع الموقوف عليه وجعل لكل قسم وكيلًا
خاصًا مباشر العمل في ذلك تحت النظر الاصلي فيقبض الوكيل ويصرف في
اقامة الشعائر وفي اصلاح الموقوف والموقوف عليه ولكنه لا يعمل شيئاً الا
بعد الاستئذان من رئيس المجلس وجميع حساباته ترسم في دفترين مخصوصين
بشهادة عدلين احد الدفترين للحسابات اليومية والثاني للحسابات العمومية
وانما جمع كل نوع من الاوقاف تحت نظر وكيل واحد لان الموقوف عليه
مختلف الربيع بعضه غني وبعضه فقير فاذا كانت ادارتها جميعاً متحدة فيصرف
من دخل الغني على الفقير لانهما من نوع واحد وبذلك تيسرت سهولة
الاصلاح ثم انه في آخر كل اسبوع يقدم الوكلاء حساباتهم ويوردون

للخزينة العمومية كل ما زاد عندهم من الايراد على المصروفات الضرورية
وهذه الخزينة لها ثلاثة مفاتيح اثنان منها يبقيان بطرف امين المال والثالث
يحفظ عند الرئيس ولا تفتح الا بحضور الجميع ثم ان جميع امكان الاوقاف
لا يحصل تأجيرها الا بعد الاعلان والمزايدة علناً بحضور القاضي ثم ان اموال
الاوقاف اول ما يقام منها الوقف والموقوف عليه حسب نص الواقف ويقدم
الاهم على المهم وجميع مداورات المجلس ودفاتر الايراد والصرف في الخزينة
العمومية يضيها جميع الاعضاء مع الرئيس يومياً وكان يصرف من فواضل
الاوقاف على الاوقاف التي لم يحضرها دخلها وذلك على وجه القرض ولما
يحضر ملها تعيد ما استقرضته للخزينة العمومية ثم يدفع منها جميع مرتبات
الحكام الشرعيين من قضاة ومفتيين في جميع المملكة والسادة الاشراف
ويدفع منها مصروفات نظارة المعارف من موظفيها ومرتبات مدرسي جامع
الزيتونة ومصروفات دواوين الشريعة المطهرة ومصروفات المجلس البلدي
بمحاضرة تونس واصلاح الطرقات وتنظيفها واقامة الجسور والقناطر ومصروفات
المستشفى والمكتبة العمومية وغير ذلك من مصاريف بعض المهمات التي تحدث
احياناً وترجع الى مصلحة عمومية ان كان في الفواضل ما يوفي بها وبسبب
اجراء قوانين الاوقاف حقيقة بدون محابة تحسن حالها وزادت ايراداتها
حتى بلغت في السنة الخامسة من وجود هذه الادارة مليونين ومائة وخمسين
الف ريالاً ونيماً وكانت في السنة الاولى مليوناً واحداً ومائتي الف ريال
ونيماً زيادة على ما ظهر من الاوقاف التي كانت تلاشتها ايدي العدوان حتى
بلغت الى مئات من قطع الاراضي والدكاكين والبيوت وآلاف من شجر

الزيتون كما هو مبسوط في العدد ١٨ من الرائد التونسي سنة ١٢٩٧ وظهرت
اوجه من الموقوف عليه لم تكن في الحسبان كالوقوف على تنوير الاماكن
المظلمة في الليل والوقف على التقاط العقارب الى غير ذلك من اوجه البر.
وقد التزم الرئيس ان يفرغ جهده لاصلاح هذه الادارة المستجدة وتدريب
عمالها على العمل حسب المرغوب حتى التزم في اول الامر ان يباشر جميع
الاعمال بنفسه جزئية وكلية ليلاً ونهاراً واستمر على ذلك مدة طراً عليه في
اثنائها مرضٌ عصبي لم يفارقه الى ان قضى عليه وكان ابتداء المرض في
صيف سنة ١٢٩٢ وبسبب هذا المرض عزم على السفر للتداوي في اوربا
فسافر اليها في شوال سنة ١٢٩٢ وكان ذلك سبباً لكتابه صفوة الاعتبار ولم
تكن هذه الرحلة اول تأليف له بل قد سبق له كتابة رسالة سماها "تحفة
الخواص في حل صيد بندق الرصاص" ومضمونها احتواء عنوانها وسبب
تأليفها الخلاف الحاصل بين بعض العلماء في حل اكل الصيد المذكور من
عدمه والى ايضا في اول نشأته مجموعاً مختصراً مفيداً في فن العروض
وذلك عند بداية تعاطيه لنظم القريض وحرر مسألة فقهية في جواز اسدال
شعر الرأس وسببها ان الامير امر رجال حكومته باسدال شعرهم وكانوا
يخلقونه فاستفتى في جواز ذلك من عدمه واختلف فتاوى العلماء خشية
القول بالتشبه بالافرنج فكتب المرحوم رسالته بالجواز مستنداً على عمل النبي
صلى الله عليه وسلم . وفي تلك السنة اي سنة ١٢٩٢ افتتحت في تونس اول
مدرسة على حسب النظام الجديد المتبع في اوربا سميت المدرسة الصادقية نسبة
للامير فكان المرحوم من اعضاء اللجنة التي رتبت نظاماتها واهتم كثيراً باقناع

الناس على ادخال ابنائهم فيها وكان هو من اول العاملين بقوله فجعل ابنه كاتب
هذه الاسطر من جملة تلامذتها وقد حصل في بداية الامر نفور الناس منها اذ
ان العادة جرت بنفرة غير المألوف ولم تنزل تلك المدرسة ناشرة فوائدها بين
التونسيين واكثر المتولين مناصب الحكومة بتونس الآن هم من الشبان
الذين تغذوا بلبان معارفها

وفي ١٠ جمادي الثانية سنة ١٢٩٢ عهدت اليه نظارة مطبعة الحكومة
فنظمها واصلح شأنها واصدر الرائد التونسي (الجريدة الرسمية) في مواعيده
المعينة كل اسبوع مرة وكان لا يصدر الا بحسب التيسير ولما كان الرائد
التونسي هو الجريدة الوحيدة التي تصدر في تونس بذل كل ما في وسعه
لجعله مفيداً لبني وطنه واستعان على تحريره بجهابذة اعلام كالشيخ حمزة فتح
الله المصري والشيخ محمد السنوسي التونسي ونشرت فيه مقالات رنانة حاثت
على الجامعة والوحدة والعدل والائتلاف لا سيما زمن الحرب بين الدولة
العلية والروسيا وقد قسم المرحوم وقته فكان يتوجه لادارة الاوقاف صباح
كل يوم ويتوجه للمطبعة بعد الظهر وفي تلك الاثناء نظم المكتبة الصادقية
بازاء جامع الزيتونة وهي مكتبة جمعت آفاقاً من الكتب النفيسة في كل
فن تبرع بجانب عظيم منها الوزير خير الدين باشا واكثرها كتب استولت
عليها الحكومة من مملوكات الوزير القديم مصطفى خزندار وجعلها مفتوحة
للمطالعة واستفادة العموم في جميع اوقات النهار بشرط ان لا يخرج منها كتاب
وجميع مصاريف هذه المكتبة تحملت بها ادارة الاوقاف على ما مر بيانه
وفي سنة ١٢٩٣ لما ظهرت الحرب بين الدولة العلية والصرب بذل

صاحب الترجمة غاية مجهودة لمساعدة الدولة بالمال والخييل والبغال حيث لم تيسر مساعدتها بالرجال لاسباب سياسية وموانع محلية وقد نشر صاحب جريدة الجوائب الصادرة بالاستانة قصيدة لصاحب الترجمة في الحث على التعاون والاتلاف عند تلك المناسبة قال فيها

يا امة الاسلام صونوا عزمكم بتعاقد وتمدد وتنافس
يا امة الاسلام احيوا ذكركم بتآلف وتودد وتانس
يا امة الاسلام نموا صيتكم بمعارف وصنائع ومجالس
يا امة الاسلام حوطوا امركم بتشاور وتدبر وخوارس
يا امة الاسلام اجلوا فخركم بديانة قد استرت بجنادس
يا امة الاسلام هبوا للفلاح ولا تضيعوا نجاحكم بتقاعس
يا امة الاسلام عوا واستيقظوا ان الهلاك مسارع للناعس
يا امة الاسلام زيدوا ثروة بتعاون ومصانع ومغارس
يا امة الاسلام شيدوا مجدكم بتناصر وتناصح وتجانس
يا امة الاسلام شدوا عزمكم فثباتكم بين البرايا ما نسي
ولما خلت وظيفة شيخ الاسلام بتونس عند وفاة صاحبها توجهت
الانظار لتولية صاحب الترجمة عليها حتى ان المنصب المذكور بقي خاليا مدة
شهرين لذلك فاعتذر بان الوقت غير مناسب لاعادة جاه هذا المنصب
ورجوع عزه اليه كما كان عليه زمن عمه

ولما استغنى خير الدين باشا من الوزارة التونسية في رجب سنة ١٢٩٤
رام صاحب الترجمة التخلي عن وظائفه ايضا غير ان مداخلة الامير الشخصية

منعته من تنفيذ هذا العزم وقد رأى من الوزير محمد خزنة دار جميل العناية كما يستدل عليه من المکتوب الآتي

”الهام الاوحد التحرير الشيخ السيد محمد بيرم رئيس جمعية الاوقاف
دام مجده اما بعد السلام عليكم وبركاته فالواصل اليكم ترجمة مکتوب ورد
من المكلف بامور دولة اسبانيا للاطلاع عليها وتعرفونا بما يجاب الرجل في
النزلة وفي امن الله دتم والسلام من كاتبه محمد في ٢٩ ذي الحجة سنة
١٢٩٤” ومن ذلك الحين ايضا صار الوزير مصطفى بن اسماعيل يظهر له كمال
التودد والتلطف وفي مصيف سنة ١٢٩٥ اثناء وجود المعرض الباريسي سنة
١٨٧٨ توجه المرحوم ثانيا الى باريس للمعالجة من مرضه الذي لم يفارقه
وفي هذه السنة زار لندره من بلاد الانكليز وعند عودته عرج على
الجزائر وفي مدة اقامته بباريس اكرمه المارشال مكاهون رئيس الجمهورية
الفرنسوية اذ ذاك باحضاره في الاوبره وهو التياترو الكبير في نفس لوجته
(حجرته) وحضر بعض الاحتفالات التي اقامها الوزراء اثناء المعرض
وبالجملة فان القوم اكرموا اكراما فائقا وفي تلك السفارة احتفل ولي
عهد الامارة بتونس وهو الامير الحالي بختن نجليه فكاتبه المرحوم بالتهنئة
وكانت بينهما علاقة ودية قديمة فاجابه الامير بهذا المکتوب ونصه بعد
الحمدة والتصلة

تبدت في حلا الحسن الحلي خريدة ذات ثغر العسي
تجر مطارفا وتميس تيبا ويسطو لحظها في كل حي
فيا لله ما احلى دلالا واعذب لفظها شهد الشهي

ي ج

ترجمة المرحوم

فما للبحر لم يصبح فراثاً وقد امست به زمن المي
 فقلت لها انتم يا خود فخر . فقالت بنت فكر البيرمي
 لقد حاز المعارف والمعالى وحيد الدهر ذو الحسب النقي
 انت من نحوكم درر التهاني منظمة بسلك جوهرى
 وكيف يفوت حظك بابتعاد وفي الاحشاء ذو ود خفي
 وها ولدي الزكي يروم وصلاً لجانبكم بباريس السمي
 واني ارتجي بشرى الشفاء وعودكما مع اللطف الخفي
 الماجد الزكي العالم ابو عبد الله الشيخ السيد محمد بيرم حرسه الله تعالى .
 اما بعد اتم السلام فقد ورد نظمكم الرائق . وما تضمنه من التاريخ الفائق .
 في التهنئة بالختان واني اهنيك بذلك كما ارتجي هنيئاً . بتمام شفائك . وانت
 ان ترحلت عن حمانا جسماً . فلم يزل ودك مرتسماً . بدفاتر الاحشاء رسماً .
 والسلام من الفقير الى ربه امير الامراء علي باي امير الاحمال عفى عنه
 في ٢ رجب الاصب من سنة ١٢٩٥

ولما رجع من هذه السفارة واستقر مدة احب ان ينظم المستشفى التونسي
 على النحو الذي رآه في اوربا من ائقان المستشفيات والاعتناء بالمرضى
 وتقسيمهم كل قسم على حدة وكذلك تحسين حال المجانين اذ ان المستشفى
 التونسي واحد يقبل جميع المرضى واستعان على ذلك بحكام ماهرين اهمهم
 الدكتور ماسكرو حكيم الامير الخصوصي وقد حسن للوزير مصطفى بن
 اسماعيل هذا العمل وتخصيص احدى القشلاقات العسكرية القديمة الواسعة
 لهذا الغرض وكانت معطلة خاوية تنمي بفراغها واقفال ابوابها ما كانت عليه

السيد محمد بيرم

ي د

البلاد التونسية في العصر السالف من القوة والاستعداد والتأهب للمكافحة
 والجلاد والمدافعة عن استقلال البلاد والقشلة واقعة في حي مرتفع نقي الهواء
 وفي تلك الاثناء حصلت منازعة بين الحكومة التونسية و احد الفرنسيين
 المدعو الكونت دو صانسي على ارض فسيحة تعرف بهنشير سيدي ثابت
 كانت تنازلت له عنها الحكومة لتحسين حالة الزرع وانتاج الخيل ولما اخل
 بالشروط التي اعطيت له بمقتضاها وانتهت مدة التنازل رامت الحكومة
 استرجاعها وبينما هي تنازعه فيها اذا بالوزير وبعض اعوانه دخلوها عنوة
 فوقع لذلك هرج ومرج وانتزها قنصل الفرنسيين الموسيو روستان فرصة
 لارهاب الامير والاستيلاء على الوزير وزيادة شوكة دولته في تونس
 فقطع العلاقات السياسية وطلب عدة مطالب للترضية اهمها عزل الوزير
 والتعويض على الكونت . وكل مطلع على تاريخ تونس الحديث مل بما كتب
 عن مصطفى بن اسماعيل في صفوة الاعتبار وغيرها يعلم انه لم يكن اهلاً
 لتقليد الوزارة ولا لمباشرة شؤون المملكة باي وجه من الوجوه وهكذا
 جرت سنة الخلق كلما اخذت امة في الانحلال والاضمحلال تسلط عليها
 الوضع . ونبد الرفيع . ونقد الغافل . وتأخر العاقل . وتملك الغبي .
 واحتقر الذكي . وانتصر الجهل . وخذل الفضل . وقامت دولة الاوغاد والسفل .
 ليقضي الله امراً كان مفعولاً ولولا سيطرة الظلم والاستبداد من الحكام
 والجامهم الاهالي بلجام من الجور والاعتساف . لما رفع مصطفى بن اسماعيل
 من حضيض الارض الى عنان السماء . ومن دائرة السوق الى منصب الوزراء
 والله الامر من قبل ومن بعد ولما كان الوزير المذكور يحس من نفسه بعدم

اللياقة لمركزه كان دائماً متوقفاً الشر من كل مقتدر على تفهيم البايع بحقيقة حاله وسوء اعماله ولذلك فان رستان علم ان لا شيء يقوده غير الارهاب فطلب عزله ارهاباً له فسهل عليه قياده من ذلك الحين فصار في يده كالميت في يد غاسله وقد اسرع الوزير بترضية القنصل ترضية رسمية على الاعتداء الذي حصل منه فداءً لمركزه واستقر الرأي على تشكيل لجنة للتحكيم تحت رئاسة قاض فرنساوي يكون فيها عضوان تونسيان وعضوان فرنساويان تنظر في جميع مدعيات الطرفين وتصدر حكمها فيها فكان صاحب الترجمة احد ذينك العضوين التونسيين وقد ناضل عن حقوق حكومته بجميع قواه وبلغ به تعب الفكر والبدن منتهاه حتى عاد اليه المرض بعد ان كاد يشفى منه وقد اوصاه الحكماء الذين باشروا معالجته في باريس وفي مقدمتهم شاركو الشهير بان يقلل ما امكن من الاشتغال بالفكر ويتباعد عن الانفعالات النفسانية اذ ان مرضه عصبي واقع في الاعصاب الواصلة بين المعدة والقلب مع ضعف شديد في الدم تطراً عليه ادوار غريبة في الوجع والالم التزم لتسكينها بتعاطي المرفين وهو روح الافيون وقد رجع من باريس آخر مرة وكاد يبطل استعماله بالمرّة بل بقي عدّة اشهر لا يستعمله اصلاً غير ان مسألة صانسي وما رآه فيها من حيف الاجنبي لاهتضام حقوق البلاد والتلاعب باستقلالها اعاد اليه المرض كله باشد مما كان عليه وقد صدر الحكم بمحقوقية الحكومة التونسية كما هي العادة في جميع المسائل التي تقع من هذا القبيل في البلاد الشرقية في مثل هذه الاوقات

وفي تلك الاثناء انهي تنظيم المستشفى الجديد المسمى بالصادقي وهو على

قسمين احدهما مجاني للفقراء يسع مائة مريض والآخر للموسرين باجرة معينة زهيدة وافتتحه الامير بنفسه في موكب حافل حضره في يوم ١٠ فبراير سنة ١٨٧٩ (١٨ صفر سنة ١٢٩٦) واعلن الوزير عن لسان الحكومة بحسن مساعي صاحب الترجمة في تنظيم هذا المستشفى بقوله في خطاب القاه على مسامع الامير في ذلك الاحتفال وهو "بمقتضى الاذن العلي وعناية سيدنا ادام الله تعالى بقاءه بمصالح بلاده وقع انجاز هذه المأثرة الجميلة التي هي احدى مآثر الحضرة العلية وهي هذا المستشفى الصادقي الذي شرفه سيدنا ايداه الله تعالى بالحضور فيه هذا اليوم وقد اعتنى الشيخ السيد محمد بيرم ببذل الجهد في انجازه وترتيبه على الكيفية المشاهدة بما نرجو من الله تعالى ان يحل ذلك من سيدنا محل الاستحسان" فاجاب الامير بالشكر والثناء واهدى الى صاحب الترجمة في ذلك اليوم علبة مرصعة ذات قيمة وافرة مكتوب عليها اسمه بالاحجار الكريمة. وفي اواسط تلك السنة تطاول احد اعوان الوزير على القاضي المالكي الشرعي بديوان الحكم وهو امر لم يعهد له مثيل في تونس حيث لم تزل الاحكام الشرعية وحكامها مرموقين بهين التبجيل والاحترام اللائقين فهاجت البلاد لذلك وماجت واتفق الحكام الشرعيون على تعطيل الاحكام الى ان يسترضيهم الامير بعزل الوزير وعقاب تابعه العقاب الصارم واجراء القوانين والمجاسس الشورية في البلاد لتكون ضمانه كافية على عدم العود لمثل هذا الحادث المكدر وعدم تسليم الادارة لمن لا يكون كفواً لها وبعد ان اتفقت كلمتهم على هذه المطالب وكادوا ان يحصلوا عليها دخل بين بعضهم داخل الغرور والتفرقة فتشتت آراؤهم وانحلت جامعتهم ورضوا

بتباعد التابع المتناول لاحدى معاقل المملكة في قابس الواقعة على حدود طرابلس وتشكيل الامير لمجلس سماه مجلس الشورى للنظر في مهمات امور الدولة وجعله تحت رئاسة الوزير نفسه واعضاؤه بقية وزراء المملكة ومستشاروها وليس فيهم الا اثنان من الاهالي والباقي كلهم من ممالك الجراكسة وزاد عليهم اثنين هما السيد محمد بيرم والعربي باشا زروق رئيس المجلس البلدي وكانا من اشد المعضدين لعزائم الحكام الشرعيين في مطالبهم التي طلبوها وكان ذلك في ١١ رجب سنة ١٢٩٦ ولا يخفى ما في رضا المشايخ بمثل هذا المجلس خصوصا بعد تعيين صاحبهم فيه من الايقاع بهما والتغاضي عن صالح البلاد الحقيقي ولم تطل الايام حتى اختلق الوزير مأمورية لصاحب الترجمة وارسله بها الى فرنسا وحاصلها السعي لدى كبراء القوم وخصوصا غامبيتا رئيس مجلس النواب اذ ذاك وصاحب القول الفصل في بلاده لتغيير قنصلهم في تونس لانه اشتد على الحكومة اشتدادا لم يبق لها حرية للعمل في شئونها الداخلية قط ولم يقف عند حد في القاء الدسائس والفتن وتوغير الصدور بين الراعي والرعية حتى انه لما طلب اعيان الاهالي التونسيين ما طلبوه من تأسيس الحرية والشورى في بلادهم كان الموسيو رستان نائب الجمهورية الفرنسية ينصح الامير بعدم الاصغاء الى هذا الطلب وان العساكر الفرنسية بالجزائر مستعدة لمعاضدته وكسر شوكة الاهالي واذلالهم عند اللزوم وهي سياسة قديمة اتبعتها فرنسا في تونس نفسها فان قوانين عهد الامان السابق ذكرها المؤسسة في تونس سنة ١٢٧٤ كانت بمساعي فرنسا وانكلا ترا ظاهرا وتهديدهما للامير باستطوليها للذين حضروا لذلك الغرض

وكان ذلك لمجرد قتل يهودي في اقامة حدٍ اقتضته الشريعة ولما اجريت تلك القوانين بالفعل سنة ١٢٧٧ وتوجه الامير لمقابلة الامبراطور نابليون الثالث في الجزائر واهدى اليه نسخة من تلك القوانين اقتبلها منه بالشكر ظاهرا ولما اختلى الامبراطور بقنصله ايون روش وبخه توبيخا شديدا على ما رواه المرحوم الجنرال حسين وافهمه غلظه من المعاضدة على اجراء القوانين الشورية في تونس حقيقة وقال له ان العرب اذا تأنسوا بالعدالة والحرية فلا راحة لنا معهم في الجزائر مطلقا ومن ذلك الحين وجه القنصل همة لا قناع الوزير مصطفى خزنة دار بالغاء تلك القوانين ووجد منه اذنا صاغية فالغاها وبقيت كذلك الى هذا الوقت . وقد قبل السيد محمد بيرم مأموريته كما قبل المرحوم حسين باشا وزير المعارف اذ ذاك بتونس مثلها لدى البرنس بسمارك ولما توجه صاحب الترجمة للسلام على الامير سلام الوداع واجهه بكلام اللوم والعتاب على ما جرى منه من تعضيد المطالب الاهلية فاجابه الشيخ بيرم بكلام اثر في نفسه تأثيرا لم يزل يكرره بتوجه الى آخر مدته وهو انه قال له اننا نطلب الحرية التي قال سيدنا انه لا يعطيها لنا غيره فاجابه الامير لمن اعطي الحرية النجار والحداد ام لك او لهذا (واشار الى احد كبار الحاضرين) فان النجار والحداد اذا اعطيا الحرية اساءوا التصرف بها ولم تبقى لنا معها راحة فقال له السيد بيرم ان الحرية التي يعطيها سيدنا للحداد والنجار تصيرها مثلي انا ومثل هذا وأشار الى ذلك الوجيه وسبب انزعاج الامير من هذا الجواب هو تكرار لفظة الحرية فيه ولم يعهد انه سمعه من قبل حتى ان امراء تونس قديما كانوا يعتقدون انهم يمتلكون البلاد بمن فيها من

الارزاق والانعام والسكان امتلاكاً شرعياً لا ينازع فيه منازع وأورد المؤرخ اللبيب الشيخ احمد بن ابي الضياف في تاريخه نادرة جرت له مع امير تونس حسين باشا الثاني في هذا الموضوع كادت ان تورده حتفه رحمه الله . ولما وصل صاحب الترجمة هذه المرة الى باريس وكان ظاهر امره انه توجه للتداوي اجتمع بالموسيو غامبيتا وفاوضه في المسألة التي كلفه بها الوزير وسلمه تقريراً فيها هذه صورته

” اني اقدم على وجه خصوصي غير رسمي الى حضرتكم العلية تقرير ما هو واقع في المملكة التونسية مما عساه ان يكدر صفاء القلوب حيث كنت أنا واهل بلادي على علم من ان الدولة العظيمة الحرة لا يبلغها ما هو حاصل الآن من نائبها في تونس الذي اتخذ طريقة التشديد والتخويف ديدناً في كل شيء حتى صير حكومتنا متخذة من اصدقائها عوضاً عن زيادة اللفة والركون الذي هو الواجب مع الامة الفرنسية التي كل اهلنا يعلم انها وحدها هي التي تفيدنا ولهذا عند ما امتلأ وطابنا من الكدر لم نقصد الاً ابلاغ الحال الى رجالها المنصفين من غير ان نطرق باباً غير بابها وذلك ان موسيورستان النائب المذكور بعد ان اوقع دولتنا في ارتباك وكاد يغير علينا الدولة الفرنسية في نازلة موسيو دو صانسي التي لا تستحق تلك الاهمية حسبما يوضح ذلك التقرير الذي حرره مجلس التحقيق المعين من فرنسا وبعد ان اضطر حكومتنا الفقيرة التي لم تستطع دفع كيونها (فوائد ديونها) ولا مرتبات متوظفيها الى دفع مبالغ مجاناً من المال والاملاك الى اناس لا فائدة بهم لكلا الدولتين لاسباب نتحاشى عن ذكرها امام فخامتكم حتى انه خسرنا

في مدة الستة اشهر الاخيرة فقط نحو مائة الف وسبعة واربعين الفا فبعد هذا كله اذا هو الآن يتعرض رسمياً لتحسين ادارة البلاد التي بها نتمدن الاهالي ويدخلون في الحضارة وكانت الدولة الفرنسية انالتنا اياها على يد نائبها سنة ١٢٧٤ (١٨٥٨) انتصاراً للانسانية والحق فعوناً عن زيادة التقدم مع تقدم العالم اذا هو الآن مضادٌ لذلك وقال الى سيادة سيدنا الباي لا تفعل مجلس الشورى الذي طلبته منك الاهالي وابق على حالتك العتيقة بل اوعز اليه مع بعض اعوانه المنكشف حالم بان يقتل نحو ثلاثة اشخاص وينفي نحو سبعة ويلتجئ الى حمايته ولا عليه في شيء فلولا مكارم سيادة سيدنا الباي لا وقع البلاد بل فرنسا ذاتها في ارتباكات مضادة للانسانية والعدالة المحبولة عليها الدولة الجمهورية الفرنسية . فيا ايها الحضرة الفخيمة هل ترضى الامة والدولة التي ترسل ابناءها الى اقصى المشرق والمغرب لحفظ الانسانية ان يكون نائبها مضاداً لذلك في بلاد هي جارة لها عندما كانت الدولة العظيمة تخرج اهل الجزائر من الحكم العسكري الى الحكم البلدي مستتراً في دعواه بعدم التعرف بالمجلس بانه سماع ان المقصد منه هو التعرض لمصالح فرنسا مع انه على علم بان مصلحة الامة الفرنسية يعتبرها ويراعيها كل من الامر والمأمور في بلادنا لعلنا بمقامها بيد انه اذا كانت المصلحة ليست لفرنسا وانما هي مجرد فوائد شخصية فان مصلحة البلاد تقدم عليها وهو الذي نؤمل المعاضدة عليه من الرجال المشهورين في العالم من الدولة الفرنسية وتبقى بما اثرهم مزينة صحف التاريخ فهذا انا انهي الى مسامعكم الشريفة اختصاراً ما هو حاصل ولحضرتكم ان تطلبوا الايضاح ممن يعلم حالة بلادنا من الذين لم خبرة بها من الصادقين

وقد بادر صاحب الترجمة بارسال تفصيل المقابلة وما حصل فيها من الكلام الى الوزير بمكتوب مؤرخ في ١٢ شعبان سنة ١٢٩٦ من جملة ما قاله له فيه عن لسان غامبيتا " ان كنتم تريدون الارتياح من الرجل (اي رستان) فيجب ان تكتبوا هذا الامر بل ولا اجتماعكم بي في شأنه والّا كان ذلك ينقض قصدكم " وما كاد يصل هذا المكتوب الى تونس حتى انتشر الخبر بسر المسألة ولم يعلم ان كانت الاشاعة حصت من نفس الوزير او من المترجم الذي كان الواسطة في الكلام بين غامبيتا وصاحب الترجمة الذي لم يكن يتكلم اللسان الفرنسي والحاصل ان الفصل انتهز هذه الفرصة الجديدة وارعد وبرق على الامير والوزير وزاد في اغفار صدورهما على صاحب الترجمة وساعده البخت او الصدفة بانه في الوقت الذي كان الاهالي في تونس يطلبون تأسيس الشورى في بلادهم كانت الدول مشغولة في مصر بجعل اسماعيل باشا وحصل ذلك على يد خير الدين باشا صاحب الصدارة حينئذ وارتباطات الباشا المذكور بتونس وخصوصاً بصاحب الترجمة مشهورة عند الجميع فاستمتعوا من ذلك ان طلب الشورى في تونس لم يكن القصد منه الا احداث ارتباكات في المملكة تفتح الباب لمداخلة الباب العالي خصوصاً وكان صاحب الترجمة معارضاً شديداً المعارضة في وصل سكة الحديد بين الجزائر وتونس وتعيين الحد الفاصل بينهما الا بعد العرض للدولة العلية وزادوا في اقناع الباي بالتلغراف الذي ارسله خير الدين باشا يعلمه فيه بفصل اسماعيل باشا عن خديوية مصر وقد استعمل الصدر الاعظم في تلغرافه عبارات اشتم منها رائحة التهديد والوعيد للباي حتى التزم الحال للاستفهام من الباب العالي

بواسطة السفارة الفرنسية عن الغرض من عبارات ذلك التلغراف مع انه في ذلك الوقت كانت العلاقات الخصوصية بين المرحوم وخير الدين باشا معقدة مكدره من حين خروج الباشا المذكور من وزارة تونس ولم يصف ماؤها الا بعد ذلك التاريخ كما يدل عليه المكتوب الآتي "الفاضل الزكي الثقة المعتمد الشيخ سيدي محمد بيرم حرس الله تعالى كماله وبعد قد وصلنا مكتوبكم في ٢٢ من الشهر وعلمنا ما احتوى عليه من لذيذ الخطاب ونحن لله الحمد على ما يسر الاحباب من العافية التامة في امورنا الحسية والمعنوية واما ما اشرتم اليه من الاحوال السالفة عن قدومنا لدار الخلافة فجوابه عفي الله عما سلف والسلام من خير الدين في ٢٩ شعبان سنة ١٢٩٦ "

ومن راجع تاريخ مكتوب صاحب الترجمة المذكور اعلاه وجواب المرحوم خير الدين باشا عنه وقارن بينهما وبين تاريخ انفصال الباشا المشار اليه عن الصدارة العظمى الواقع في ٩ شعبان سنة ١٢٩٦ يعلم علم اليقين انه في مدة صدارة الباشا المشار اليه لم تكن بينه وبين الشيخ بيرم ادنى علاقة وان كل ما بناه اذ ذاك المرجفون بناء على علاقاتها الودادية القديمة هو محض اختلاق وكان الوزير التونسي غفل او تغافل عن حقيقة المأمورية التي اناطها بمهمة صاحب الترجمة فارسل اليه تلغرافاً رسمياً الى باريس نص ترجمته

من باردو في ٧ اغسطس سنة ١٨٧٩ (الموافق ١٨ شعبان سنة ١٢٩٦)
 " من الوزير الاكبر الى الشيخ سيدي محمد بيرم . شاعت الاخبار بانك متداخل في امور سياسية خصوصاً وانه لم يصدر لكم ادنى امر فيها ولذلك

فان سيدنا المعظم يأمركم صريحاً بان لا تتدخلوا مطلقاً في هذه المسائل حيث انكم سافرتُم لمعالجة صحتكم واذا انتهت مدة التداوي فارجعوا الى تونس

ثم بعد ذلك ورد له مكتوب من الوزير بتاريخ ٢٥ شعبان جواباً عن مكتوبه المؤرخ في ١٢ شعبان وفيه يقول " اما بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقد بلغنا مكتوبكم الخصوصي وعلمنا ما ذكرتم وما وقع مع موسيو غامبيتا فمثلك من يعتمد عليه وعلى صداقته واما كتمان السر فيكون هنا لان نفعه لنا وانما الله يحقق الامل من اتمام الوعد لان القنصل في غاية القوة الخ "

فلم يسمع صاحب الترجمة بعد هذا الاضطراب في اقوال الوزير الا ان يستعفى من وظائفه فاجابه الوزير عن الاستعفاء بهذا المكتوب ونصه " الفاضل الزكي المدرس الشيخ السيد محمد بيرم رئيس جمعية الاوقاف حرسه الله اما بعد السلام عليكم ورحمة الله فان ما عرضتموه علينا من طلب الاعفاء من رئاسة جمعية الاوقاف علمناه ومن معلوماتكم انكم كنتم طلبتم هذا منا قبل سفركم على خير فلم نسعفكم لذلك والذي نعرفكم به انني لم نزل على رأي في عدم اسعافكم لما ذكر ورجو الله ان يجمعنا بكم وانتم على حال كمال ودمتم بحفظ الله والسلام من الفقير الى ربه امير الامراء مصطفى الوزير الاكبر عفا عنه في ٣ رمضان سنة ١٢٩٦ "

وفي اليوم نفسه ارسل له مكتوباً آخر نصه " اما بعد السلام عليكم ورحمة الله فانه بلغنا كتابكم المؤرخ في ٢٥ الشهر الفارط متضمناً ما نحن

على ثقة منه من سلوككم الطريق المستقيم في اقوالكم واعمالكم وتحرككم في الاجتماع من ان ينسب اليكم غير ما قصدتموه ولا يستغرب ذلك من مثلكم ورجو الله ان يجمعنا بكم وانتم على حال كمال ودمتم بحفظ الله والسلام " وقد رجع صاحب الترجمة الى تونس بعد الاحاح الشديد عليه من اصدقائه فوجد الحال متغيراً وملاح الوزير تظهر الشر ومع ذلك فقد ابلغه صاحب الترجمة ما رآه وسمعه في باريس بخصوص المسئلة التونسية واراها رجال السياسة فيها ومن جملة ما بلغه ان الاخبار رابجة هناك بان القنصل اقنعه بمساعدة فرنسا على مرغوباتها من ضم تونس اليها وفي مقابلة ذلك تضمن للوزير ولاية العهد على الامارة واستيلائه عليها بعد سيده ونصحته بان لا يغتر بهذه الترهات فان القنصل اذا حصل على مرغوبه لا يوفي وعده للوزير ولا تعود الخسارة الا على البلاد واهلها وقد حقق الزمن حدس السيد بيرم فانه لما دخلت فرنسا في تونس سنة ١٢٩٨ لم تطل مدتها فيها حتى عزلت مصطفى ابن اسماعيل عن الوزارة واخرجته من البلاد بالمرة ولم توف له بما وعدته به بل نظرت اليه نظر الخائن وكثيراً ما تكلمت جرائدها وارباب الوجاهة فيها لتجريده عن نشان اللجيون دونور الفرنسي وهو حامل اول درجة منه وبقي يتقارب متغرباً في البلدان نقذفه امواج النذل والسؤال بعد ان صرف ما ادخره ايام عزه من الاموال الطائلة واصبح

يوماً يحذون ويوماً بالعقيق وبا! حديد يوماً وبالخليصاء

الى ان جاءت به المقادير الى القسطنطينية حيث تفاضت الدولة العثمانية عن ذنوبه وابقتة يتنعم بلذيد الحياة ويتحسر على ماضي عزه وغبن

صفقته . اما صاحب الترجمة فانه بعد عودته الى تونس من مأموريته توجه الى (المرسى) للسلام على ولي عهد الامارة الامير الحالي السابق ذكره فوجد الامير المشار اليه في مركبته امام محطة السكة الحديد فاركبه معه وسارا الى بستان الامير فكبر هذا الامر على مصطفى بن اسماعيل وامر صاحب الترجمة بالكف عن التردد على ولي العهد وكثرت الدلائل على سوء نية الوزير نحو السيد بيرم وتغلب دسائس موسيو رستان ضده حتى نصحه بعض الاصدقاء من خواص حاشية الباي بالسفر خارج المملكة لان بقاءه في البلاد فيه خطر عليه فطلب بعد عيد الفطر التوجه لاداء فريضة الحج خصوصا وقد تهدده الوزير بانه اذا شاع الخبر الذي كان اعلمه به بخصوص مساعيه لولاية الامارة يلقيه تحت اعباء المسؤولية الثقيلة فامتنع الوزير من اعطاء الرخصة بالسفر وقد توسط حينئذ السيد الشريف نقيب الاشراف السابق في تونس للحصول على تلك الرخصة وبين للوزير عدم جواز منع المسلمين من اداء فريضة الحج وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم وللسادة الاشراف في تونس النفوذ الكبير والكلمة المسموعة فالتزم الوزير بالاجابة وقد سافر صاحب الترجمة من تونس في ٢٦ شوال سنة ١٢٩٦ ولم يعد اليها بعد وقصد مالطه ومنها للاسكندرية ومصر القاهرة وفيها تقابل مع الخديو المرحوم توفيق باشا وكان ذلك في ابتداء ولايته فقدم له قصيدة في التهنئة بالولاية وتاريخها وقد دار الحديث بينهما عن كيفية نظام اللجنة المالية الدولية المؤلفة في تونس لادارة اشغال الدين وعن النتائج التي انتجتها وهل البلاد متضررة منها ام لا وكان ذلك بسبب ما اقترحتة انكلترا وفرنسا اذ ذاك على الحكومة

المصرية من اقامة لجنة للمراقبة المالية ثم ان المرحوم سار الى الحجاز وقد تقابل في مكة المكرمة مع المولى الشريف حسين الامير السابق واکرم وفادته ثم بعد اداء فريضة الحج والمناسك توجه للزيارة في المدينة المنورة حيث اقام ثلاثة ايام وكان مرضه العصبي مشتتاً عليه في الطريق وهناك توسل للحضرة النبوية بقصيدة طويلة طالباً من الله الشفاء للبدن والطف بالوطن ومطلع القصيدة الى السدة العظمى شددت عزائي الى سدة الاجلال شمس المكارم الى باب خير الخلق خصصت وجهتي ومن فضل باب الله املت راحمي اليك رسول الله قد جئت ضارعاً وفضلك ممدود على كل قادم فياخير خلق الله جدلي بالرضا وامن مخافي من عقاب المآثم ويا اكرم الامجاد هب لي توبة واسس على التقوى قيام دعائي وانت ملاذي في اموري كلها فعجل شفائي من سقامي الملازم ألا يا رسول الله طهر بلادنا فقد جار في الانحاء ظالماً مخاصمي يريد خلاف الحق في الخلق جائراً فننصحه رشداً لذا كان ظالمي فعجل بانقاذ البلاد من الذي تأبط شرّاً وارtedy بالمظالم وفرج همومي والكروب وعلتي وليس سواك يرتجى للعظام وللعدل ان ينقاد كل ملوكنا اكما يحل الدين اعلى العواصم ومن المدينة المنورة توجه الى ينبع وسافر منها الى بيروت ماراً على خليج السويس وقد ذكر هذه الرحلة في اول هذا الجزء الخامس وما لاقاه في سفره من كرم واکرام صاحب السباحة السيد السند سلمان افندي القادري نقيب اشراف بغداد

ولما وصل الى بيروت لاقاه والي سورية اذ ذاك المنعم المقام الجليل
الذكر مدحت باشا بمزيد العناية الرعاية واحتفل به اعيان المدينة من مسلمين
ومسيحيين بما ابقى لهم في نفسه الذكر الحسن والثناء المستطاب وكان المرحوم
من جملة المشتركين المساعدين في جمعية المقاصد الخيرية التي تأسست في
بيروت لانشاء مدارس خيرية وقد زار تلك المدارس ولاقى من احتفال
الاساتذة والتلامذة وانشادهم القصائد والمقالات الرائقة بين يديه ما زاد
ابتهاجه وقد هنا الشاعر الدراكة البليغ المرحوم الشيخ ابراهيم الاحدب
بقصيدة شائقة ذات اربعة واربعين بيتاً مطلعها

بدر العلى تاريخه (من غربه) في الشرق اشرق نوره لمحبه

ومنها

من اين هذا الطيب هل ريم النقا ليلاً سرى ليدير راحة صبه
او جاء بيروتاً محمد يرم من طيبة فذكت نوافح قربه
حيث الزمان على تلون طبعه ادى به كفارة عن ذنبه
وقد مدحه ايضاً الاديب الفاضل واللوزعي الكامل الشيخ ابو حسن
قاسم افندي الكسبي البيروتي بقصيدة غراء منها

به تونس الغرب استعزت وحرزت بصحبته الفضل الذي ليس يجحد
يفار على الدين الحنيف لانه خير به لا يعتريه التردد
عليه من العلم الشريف جلالة يقوم لها الدهر الحسود ويقعد
وسيرته الحسناء في كل موطن بألسنة الايام تنلى وتنشد
وبعد ان اقام هناك اسبوعاً رام فيه التوجه لدمشق الشام لرؤية

معالمها العظام وملاقة السيد الامير عبد القادر الجزائري غير ان الوقت لم
يسعف بذلك لتراكم النتائج في الطريق وتعطيله للسكة فتوجه توجاً الى
القسطنطينية وهناك ورد عليه مكتوب من الامير المشار اليه نصه

بسم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله حمد المتوسلين . والصلاة والسلام
على سيد المرسلين . وعلى آله وصحبه آمين . من خادم اهل الله عبد القادر بن
محيي الدين الحسيني الى جناب العالم الفاضل . والهمام الكامل . صاحب المقام
السني . الشيخ السيد محمد بيرم افندي المحترم . ادام الله عليه سوابغ النعم . اما بعد
اهداء تحية مقرونة بالاخلاص والتكريم . وادعية متوالية بدوام نفعكم العميم .
فالموجب لتحريره اولاً السؤال عن راحة وجودكم السعيد . والابتهاج
بسماع حديثكم المجيد . وثانياً قد بلغنا من ولدنا عبد القادر افندي الدنا
سلامكم . ومزيد محبتكم وودادكم . وحصل لنا بذلك تمام السرور . زادكم الله
نوراً على نور . ورغبة بربط اسباب المودة بجنابكم . واستجلاب بدائع
خطابكم . ومجابه دعائكم على الدوام . تحررت لكم هذه الارقام . وعليكم السلام
في ١٦ جمادى الاولى سنة ٩٧

المخلص

عبد القادر الحسيني

وكان المرحوم قبل توجهه الى الاستانة ارسل مكتوباً بواسطة بعض
خواصه للوزير بتونس نصه "الصدر الهمام امير الامراء جناب الوزير الاكبر
سيدي مصطفى اطال الله عمره اما بعد السلام التام فاني قضيت المناسك والله
الحمد ولم استطع المبادرة بالرجوع الى الوطن لاني في اضطرار الى اراحة البال
والبدن للاسباب التي تعلمونها حقاً فلزمتني مراعاة الحال الى ان ينفس الله

الكرب لقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة والله حفيظ وولي من يتوكل عليه والسلام في غرة صفر سنة ١٢٩٧ " الا ان هذا المكتوب لما بلغ تونس منعه احياء صاحب الترجمة وخواصه من الوصول ليد الوزير وبقي المرحوم في وظائفه الى حين وصوله للاستانة ولما ورد خبر وصوله اليها اسرعت الحكومة التونسية بتوجيه جميع وظائفه الى غيره وهو المرحوم الشيخ احمد الورتاني وما يجمل بي ذكره هنا ان عائلة صاحب الترجمة رأت من مكارم اخلاق هذا الخلف وحسن تودده وتلطفه بها ما يندر وجود مثله في العصر السافه فضلاً عن هذا الزمان في وقت اضطهاد الحكومة لسلفه ومراقبتها الشديدة لكل ما يتعلق به ثم ان صاحب الترجمة لما استقر بدار الخلافة مدح الحضرة السلطانية بقصيدة مطلعها

النصر والتأييد والعمر المديد قد توجت في عرشها عبد الحميد
وارخ سنة الجلوس الشاهاني بقوله

بشرى الولاية قد اتت تاريخها خلافة يسنى بها عبد الحميد

ولم تطل الايام حتى ارسل الوزير التونسي يطلب من الباب العالي ارجاع الشيخ يرم الى تونس مدعيًا انه سافر بدون رخصة الحكومة ولم يقدم حسابًا عن ادارته في الاوقاف والواقع ونفس الامر انه لم يطلبه الا بالحاح فنصل فرنسا عليه من جهة لان فرنسا لا تحب حصول الارتباط بين تونس والدولة العلية باي وجه من الوجوه حتى انها من بين سائر الدول لم تعترف بفرمان سنة ١٢٨٨ المقرر لتابعية تونس للخلافة الاسلامية ومن جهة اخرى قد خشي الوزير من التحام صاحب الترجمة بخير الدين باشا وافسادها مساعيه

لتولي الامارة واطلاع الدولة العثمانية على دسائسه وسوء سياسة الحكومة التونسية في مدة الصادق باي لانه سلم جميع الامور بيد وزيره العديم الخبرة وقد بذل مصطفى بن اسماعيل جميع مجهوده واغرى بعض كبار الرجال في الاستانة لمساعدته على اخراج الشيخ يرم منها غير ان حكمة مولانا امير المؤمنين وعدالته حالت بين صاحب الترجمة وبين اعدائه واصدر امره العالي بانه اذا كانت هناك دعوى على ناظر اوقاف تونس المقيم بالاستانة فلترفع فيها اذ ان تونس لم تخرج عن كونها من الولايات العثمانية التي تجمعها جامعة تحت السلطنة وبذلك سكت مصطفى بن اسماعيل عن دعواه الفاسدة اما اولاً فلان صاحب الترجمة لم يخرج من تونس الا ببجواز (باسبورت) رسمي ممضي عليه من الوزير نفسه بصفة كونه وزير الخارجية لم يزل محفوظاً للآن وقد حضر لوداعه يوم السفر كثير من كبار رجال الحكومة بما فيهم وزير البحرية وأعدله بامر الوزير الاكبر زورق خصوصي من زوارق الباي لتوصيله للباخرة وقد اوصاه الوزير بمحضر جمهور عديد من التونسيين لاحضار بعض هدايا من الحرمين المحترمين هذا ما يتعلق بالسفر واما حساب الاوقاف فقد جرت العادة بنشره سنوياً في الجريدة الرسمية " الرائد التونسي " ولم يتأخر نشره قط وهو محفوظ في مجموعة الرائد يمكن مراجعته ثم ان صاحب الترجمة قبل سفره للحجاز اخذ براءة من مجلس ادارة الاوقاف ممضى عليها من جميع الاعضاء ومن امين الصندوق وهي حجة قوية ناطقة بان لا شبهة في الحساب ولا شيء من اموال الاوقاف باق في ذمة الناظر وتلك البراءة هي بنصها بالحرف الواحد

الحمد لله
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم

ريالات فضه

٣٥٣٩٣٩ ^١/_{٢١٠}

٣٠٤٨٢٩ ^٢/_{٤٠٤٢}

٤٩٠٥٩ ^٢/_{٤٠٥١}

٨٦٢ ٥٠٠٠٠

٤٠٤٣٤ ^٢/_{٤٠٥١}

اطلعت الجمعية على حساب دخلها وخرجها سنة ١٢٩٦ التاريخ بانضمام حسابات السنين السابقة اليها فكانت جملة الدخل ثلاثمائة الف وثلاثة وخمسين الف ريال وتسعمائة وتسعة وثلاثين ريالاً ونصف ريال وعشرة نواصر فضة وجملة الخرج ثلاثمائة الف واربعة آلاف وثمانمائة ريال وثمانين ريالاً الأثمانية نواصر ونصف ناصري فضه الذي بتذاكر الجمعية وكان الفاضل ما قدره تسعة واربعون الف ريال وستون ريالاً الأ سبعة نواصر ونصف ناصري فضة اخرج منه الرئيس ثمانية آلاف ريال وستمائة ريال وخمسة وعشرين ريالاً فضة صرف خمسة آلاف فرنك صرفت في مصالح الدولة وخرجت فيها تذكرتين منها لقابضها يدفعها مصروفاً على يد الوزير الأكبر ولم يدفعها القابض الى الآن احداها تذكرة مؤرخة في ٢٧ القعدة من عام ١٢٩٣ عدد ٤٦١٩ بها الف فرنك اثنان وثنائيتها مؤرخة في ١٥ الحجة سنة ١٢٩٥ عدد ٣٥٦٩ بها ثلاثة آلاف فرنك ولما كان الفصل الواحد والعشرون من ترتيب الداخلية للجمعية قاض بابقاء المفتاح الثالث

للخزنة الثانية عند الرئيس والفصل السابع عشر من الترتيب المذكور قاض بان كاهية الجمعية يقوم مقام الرئيس عند غيبته وقد اراد الرئيس السفر الى اروبا فبمقتضى ذلك ابقيت تذكرتا الدولة المذكورتان بالخزنة الثانية المذكورة وسلم الى الكاهية مفتاحها الثالث بحضور الجمعية بعد اطلاعها على الحساب المذكور وسلامة ذمة الرئيس مما في عهده وكان الباقي تحت يد امين مال الجمعية اربعين الف ريال واربعائة ريال وخمسة وثلاثين ريالاً الأ سبعة نواصر ونصف ناصري فضة وكتب في ٢٠ يونيه الموافق لرجب الاصب ١٣ من عام ستة وتسعين ومائتين والف

صح احمد الورثاني

صح محمد بن الامين

صح محمد الشاذلي السنوسي

صح من محمود بن سالم

هذا وقد خرج صاحب الترجمة من القطر التونسي وترك وظائفه فيه ولم يكسب منها شيئاً مع انه كان يسهل عليه كثيراً في تلك الاوقات الدخول في ابواب الكسب بلا معارض ولا ممانع كما جرت به العادة عند الكثير محافظة منه على الاستقامة واحترام الحق لا سيما والاقواف لم تكن في بادئ امرها مضبوطة ولا معلومة فامرها في الواقع موكل لذمته وطهارة نفسه فكان كثيراً ما يلتزم لبيع املاكه وعقاراته لتسديد مصاريفه الواسعة حتى ان مصاريف سفره الاخير لباريس حيث توجه بمأمرية من طرف الوزير التونسي تحمل بها من عنده وبلغت اربعة عشر الف فرنك مع ان الوزير المذكور وعده بتسديدها ولم يوف بعد . ولما استقرت اقامته في دار الخلافة وجد المرحوم خير الدين باشا مهتماً

بتقديم تقرير بشأن الاصلاحات المقترني ادخالها في نظام الدولة العلية
لزيادة سطوتها وتأيد عظمتها على حسب ما يفكر وقد انتهى التقرير المذكور
بالفعل غير انه لم يحز محل القبول لانه لم يكن مطابقاً في بعض وجوهه
لاحكام الشريعة الغراء فاخذ الشيخ بيرم في تطبيقه عليها ولما انتهى منه حصل
تقديمه للحضرة السلطانية ومن ذلك الحين شملته الانظار الشاهانية بعين
ملاحظتها لدقة علومه واتساع معارفه ثم انه تفرغ لتدوين "صفوة الاعتبار
بمستودع الامصار والاقطار" وتم الجزئين الاولين منه وكان يقصد تقديمه
للحضرة المعظمة المشار اليها عند اتمامه خصوصاً وهو شارع في جغل خاتمة
الكتاب المذكور على نحو مقدمتي ابن خلدون واقوم المسالك اي انها
تتضمن ما يقتضيه الحال لاصلاح الاحوال في البلاد الاسلامية لعود عصر
شبابها اليها كما هو غرضه الوحيد الذي يدأب له منذ زمان ويتحمل في
سبيله كل مشقة وعناء وقد تحسنت صحته اذ ذاك واستراح من آتاع المرض
وكاد ان يشفى منه تماماً حتى ان استعماله المرفين قل بحيث بلغ درجة تقرب
العدم وبينما هو على ذلك الحال متنعم بالمنتظر الرحمة من الله بانقاذ
بلاده من حكومتها الجائرة اذ ذاك وقد اعتذر عن العمل بمقترحات
اقترحها عليه الموسيو فورنييه سفير فرنسا في ذلك الحين حاصلها الرجوع الى
تونس تحت كنف فرنسا او الإقامة بالجزائر او ببافيس اذ فاجأته الاخبار
بزحف العساكر الفرنسية على الحدود التونسية وابتداء حركة "خير"
المختصرة . نعم ان الشيخ بيرم كان عالماً بما ستأول اليه البلاد من السقوط في يد
فرنسا ولكنه لم يكن ينتظر حصول ذلك في العصر الحاضر وكانت في تلك

الاثناء ترد عليه مكاتبات من بعض احبائه التونسيين وغيرهم بما يحصل في
تونس من تلاعب الوزير بين قنصلي فرنسا وايطاليا وارضاءه احدهما يوماً
واغضابه الآخر يوماً ثانياً وكان الشيخ ينصح مكاتبه ومحبيه بتجنب هذه
الالاعاب المضرة خصوصاً تظاهر الوزير بالميل الفجائي لايطاليا واغضائه مرة
واحدة عن فرنسا حتى انه اهان كرامتها لان ذلك لا تؤمن عواقبه ولم يرض
على ذلك شهر حتى ايدت الوقائع ما كان يخشاه وليس من غرضنا تكرار
كتابة ما حصل في ذلك العهد لدخول فرنسا الى تونس واعلان حمايتها عليها
اذ ان ذلك تكفلت به كتابات غيرنا ولكننا نقول ان الحضرة السلطانية
اصدرت امرها لخير الدين باشا ولصاحب الترجمة بتقديم ما يريانه في هذه المسئلة
لجانها وقد كتب صاحب الترجمة في ذلك تقريراً مفصلاً لخص فيه بيان
حقوق الدولة العلية على البلاد التونسية وارتباطاتها بها قديماً وحديثاً واستنهض
هم الدولة لانقاذ تلك المملكة المسلمة حيث انها مرقد المجاهدين ومدفن الصحابة
والتابعين من الوقوع في يد دولة اجنبية وختم التقرير بنتيجة ما يراه وهو
انه اذا كانت الدولة تشغلها شواغل الحرب الروسية وعواقبها من انقاذ
تونس بالقسر من مغتصبها فلا اقل من انه يلزمها التحالف مع دولة اجنبية
اخرى للتساعد بها على نيل ذلك المرام ولو اقتضى الحال التنازل لها عن
مدينة واحدة مثل مينا بنزرت في مقابل هذا التحالف وكانت الدولة جرت
على مثله مراراً عديدة فان خسارة مدينة واحدة خير من خسارة مملكة
برمتها وقد كان الشيخ بيرم يكتب هذا التقرير والدموع تفرح عينيه والام
العصبي الذي تحرك وتجدد يفتك بجسده وكان يكرر القول على جلسائه بان

لا حذر مما قدر لا سيما وان الفرصة المناسبة للدولة قد فاتت وهذا الزمن زمن قتال لا وقت جدال وسيأتي ذكر هذا التقرير في مجموعة منشأته ورسائله ولما رسخت قدم فرنسا في البلاد يؤس المرحوم من قرب العودة اليها ورام التقرب من عائلته للمخاطبة في شؤون بيع ما تبقى من املاكه ونقله العائلة من تونس الى بلاد اخرى فسافر الى ايطاليا لذلك الغرض واقام في مدينة ليفورنو لقربها من تونس وكان مدة اقامته في الاستانة معاشرًا لاهلها وخصوصًا ابناء العرب منهم معاشرة الصفاء والاخلاص متباعدًا عن المزاحمة في طلب المناصب او التداخل فيما لا يعنيه ولم ير منهم الا ما يسره وكان السيد سلمان القادري رجع من القسطنطينية الى بغداد فلما استقر بها كاتب صاحب الترجمة بما نصه

”كتابي هذا وانامتلي من الاشواق . ومضطرب لما لها من الاحراق . كيف لا وحب ذلك المولى الاجل . والنجيب الافضل . قد اخذ بهجامع القلوب . واحاط بالفكر على اتم اسلوب . لمزيد ما انطوى عليه من الاوصاف الحميدة . والمكارم السديدة . مع طبع رائق . وعلو جناب فائق . وشهامة كاملة . ونجابة فاضلة . وعلم وافر . وفضل متكاثر . فكل فضيلة به حرية . وكل مفخرة له سجية . وليكن معلوماً لسيدي ادام الله تعالى بقاءه . وانه كل ما يتمناه . باني لم اخل ذكر ثنائيه الجميل من اساني . ولم ينفك تخيل شخصه المنير لحظة عن جناني . بل لا زلت آنسًا بما ذكرته من الذكر والخيال . مفخرة بما حصلته من محبة ذلك المولى النبيل بين الاحباب في جميع الاحوال . ثم اني وان قدمت من قبل هذا عريضة لم احظ بجوابها من ذلك الجنب

الرفيع لكفي ابدي عذرًا لما وقع من القصور مدة من عدم ترديفه بكتاب آخر اذ ترادف العرائض . معدود لدي من جملة الفرائض . فلم يكن التأخير المذكور ناشئًا من قصور في المحبة . ولا عن نقصير في العلم بعلو الدرجة والمرتبة . بل ذلك نوع من التقدير . ووجدانك القوي عالم خبير . يصدق ما يدعيه هذا الخالص الفقير . فالرجو من بعد هذا ان تستمر المراسلات في البين . وينقطع بوجودها البين . افندم

الداعي
في ١٩ جمادى الاولى سنة ١٢٩٩ پوست نشين حضرت كيلاني
نقيب بغداد

✽ السيد سلمان القادري ✽

وقد كان صاحب الترجمة على عادة اهل تونس وعلى ما امتاز به من النشيع الكلي لآل البيت النبوي الكريم يميل ميلًا خاصًا للسيد المشار اليه لنسبه العالي وحسبه العالي وفضله المتتالي حتى ان ذلك كان من جملة البواعث على الايقاع به تشفيًا من سيادة السيد النقيب حرسه الله ومع ذلك فقد كان المرحوم يسعى جهده لجعل علاقاته مع جميع من يعاشره من العرب وغيرهم في الاستانة على احسن ما يكون من المجاملة وحسن المعاملة وكان مع صاحبي الساحة السيد احمد اسعد افندي والسيد ابي الهدى افندي على قدم الوداد وحسن الاعتقاد كما يظهر من آثارها المحفوظة لديه ونذكرها هنا تبركًا بهما وافتخارًا بודהما

”اخذت يا بهجة الفضلاء . وقرّة اعين العلماء .

كتابكم الكريم . وامركم المحترم الفخيم . واطلعت على رسالتكم الجميلة (١)

(١) عقد الدر والمرجان في سلاطين آل عثمان

الشاهدة لحضرتكم بايادي العلم الطويلة . واني بحمده تعالى ممن يجب ان يسدي المعروف لاهل الفضائل . سيما لمثل حضرتكم من ارباب المزايا العلمية والفواضل . فاذا وفق المولى نقوم بتقديمها لمحلها . ودمتم ارباب المناقب واهلها

الداعي

(ابو الهدى)

” قدوة الاماجد الكرام . ذو الفضل والاحترام . محبنا العزيز السيد محمد بيرام . حفظه الله آمين

وبعد مزيد السلام . مع التحية والاكرام . نعرف سيادتكم هو ان الساعة ثلاثة ونصف في يومنا هذا لازم تشر فونا في البيت مع نجلكم المكرم لاجل ان نتبرك بكم . هذا ما لازم ودمتم . في عز وسرور . وانتم حبور في ٧ ذي القعدة سنة ١٣٠٠

الداعي

(احمد اسعد)

وبعد ان اتفق صاحب الترجمة مع عائلته على العود الى الاستانة والسكنى بها حيث لم ير محلاً انسب منها من بلاد الاسلام ولا تليق السكنى بهائلة مسلمة في بلاد اجنبية مع انه كان يخطر في بال بعض التونسيين اذ ذاك التوجه في عدد كبير الى امريكا للاستيطان بها غير ان هذا الفكر لم يمكن تنفيذه لصعوبات حالت دونه فقصد المرحوم التوجه الى القسطنطينية وعرج على جنيفا من بلاد سويسره حيث ابقى كاتب هذه الاحرف في احدى مدارسها المعتبرة ثم قصد وياه وبلاد المجر والصرب ورومانيا حيث اقام ليلة في بخارست ومنها توجه الى وارنه من اعمال البلغار

ومنها ركب الباخرة قاصداً دار الخلافة حيث لم تتصل السكة الحديد اذ ذاك بينها وبين اوروبا وقد قاسى في هذه السفرة الام البرد واتعاب السفر الذي حق فيه القول بانه قطعة من العذاب خصوصاً ولم يكن صاحب الترجمة يتكلم بلغة اجنبية الا بعض كلمات فرنساوية وليس في النمسا ولا في البلاد التي عرج عليها كثيراً ممن يتكلم تلك اللغة وكان يسرع المسير للوصول قبل عائلته الى الاستانة لتحضير محل لنزولها وقد وصل اليها قبل العائلة بنحو يومين او ثلاثة وبعد ان استراحوا قليلاً فاجأهم ذوو الدسائس والاغراض بوشايات اوغرت الصدور على صاحب الترجمة وكادت ان توقعه فيما لا تحمد عقباه وكان مبنى تلك البوشايات على حصول الحركة العرابية بمصر اثناء وجود الشيخ بيرم في اوروبا فبنى عليها اصحاب الاغراض اقوالاً فاسدة ومزاعم بعيدة منشأها الحقيقي حزازات في صدورهم من الحسد له وبغية الايقاع بارباب المناصب من اصدقائه واحبائه فارادوا الانتقام منهم بالاساءة الى صاحبهم وجعله محل تهمة يستخرجون منها ما يروج غرضهم في النكاية باولئك الرجال فالتزم هذا المهاجر بدينه الى دار الخلافة الاسلامية ان ينزوي في بيته ويلزمه مدة تقرب من الستة اشهر لا يخرج منه الا لقضاء الضروري او اداء فرض عين كصلاة الجمعة وقد رأى في تلك الاثناء من تودد الهام الابر الصالح الورع الشيخ محمد ظافر افندي المدني وتلطف الفريق الغيور الحاج حسن باشا محافظ مركز بشكطاش محل سكنه وكلاهما من اقرب المقرئين للذات الشاهانية المخلصين لها في السر والعلانية ما اطلق لسانه بالشكر وقلبه بالدعاء الصالح لها والحق يقال ان

الحضرة الخاقانية لم تفتقر عن شمول صاحب الترجمة بعين رعايتها وكثيراً ما كان امير المؤمنين نصر الله به الدين يظهر علام رضائه وصفائه عليه حتى انه لما اراد يهدي الى امبراطور المانيا فريدريك الثالث وكان اذ ذاك ولي العهد بعض جياذ الخيل امر احد الاعوان ان يتوجه الى الشيخ بيرم ليكتب رسالة عربية يصحبها الامور السلطاني معه عند ذهابه الى برلين ليقدمها مع الخيل الى الامير المشار اليه وكان ذلك بعد صلاة يوم الجمعة الثالث والعشرين من رجب سنة ١٢٩٩ وكان يطلق عليه عند ذكره من الفاظ العناية ما يستدل به على قرب منزلته من خليفة المسلمين وبمجرد وصول جلالته الى قصره الفاخر يلبذ بعد صدور ذلك الامر جاءه الرسول بالكتابة المطلوبة فسر بها كثيراً واثنى على كاتبها وتلك الرسالة هي "الحمد لله بديع الخلق كما شاء واراد . جاعل الصافنات الجياذ . عدة مستمرة من أهم آلات الاستعداد . وصلاته وسلامه على رسوله متم مكارم الاخلاق . الحاث على الفروسية واقتناء الخيل العتاق . وعلى آله واصحابه فرسان ميادين الوفاق . اما بعد فلا يعزب عن نباهة نبه . ودراية خبير في المعارف وجيه . ما للخيل على الاطلاق من المزية . في المنافع البشرية . بسائر الآفاق . حتى ورد في الخبر الشهير "الخيل معقود بغيرها الخير" لاسيما نوع العراب منها . الجامعة لاشتات المحاسن فلا مندوحة لاهل الفضل عنها . ألم تر انها قد حوت جمال الصورة . واستقلت بالحذق وتهذيب الاخلاق المشكورة . فكادت ان تشارك النوع الانساني في الادراك . وفضلت سائر انواع الحيوان بلطافة الذات والمزية في مواطن العراك . ألا وهي العاديات ضبجاً . المغيرات صبحاً .

متوسطة الجموع . مستشرفات الفروع . مبلغات الآمال . مقربات الشواسع لهم الرجال . فلذلك توجهت اليها عناية اهل الفضل . وتسابقت اليها الرغبات في الخصب والحل . ولم تنزل كريماتها محفوفة الانساب . متوارثة الخصال الحميدة من الاجداد الى الاعقاب . لا يأتلي اهل العناية عن اقتنائها . ومعرفة اصلها ونسبتها وانتشائها . ويفوز عليها بالمزية ما صلح منها لاقتناء الملوك العظام . سيما ما اختص بان يعتلى صهوته خليفة الاسلام . لا زال تاجاً على هامة الايام . وما تختاره اليه العرب من صفوة جياذها الكرام . وعلى الخصوص ما تميز باهدائه . خلاصة اهل ولائه . من الملوك الفخام . وكان منها هاته الخمس الجياذ . العتيقات الاعراق الامجاد . ثلاثة منها عراب الآباء والامهات . واثنان من خلاصة الاعاجم الوطن وان ناكبت العراب في الصفات . وقد تحرر هذا التحرير في التعريف باصولها . وما جمعت من سمات الكمال وفصولها . فاما الثلاثة العراب . السابقة القرين في العراقة والانتساب . فاولها اشقرها المبارك . الذي لا يدانيه في استجماع الحسن مشارك . واسمه المجلى . وقد طابق اسمه مسماه اذ هو لمفاخر الخيل مجلى . وهو من جياذ نجد العربية . الشهيرة الصفات والمزية . سقلاوى القبيلة . شامل لما يحمد في امثاله من الفضيلة . كل سلسلة اصوله من قبيلته المحمودة . وكلا ابويه متفرع من ذلك القبيل الى جدود كثيرة معدودة . مساة اجداده وجداته . خالصة من اشتباه النسب وكما لاته . واما ثانيها وهو الاشهب . الجاعل ابعد القصبات الهين الاقرب . واسمه السابق . فهو مناكب متقدمه في جميع صفاته حتى غدى به لاحق . سوى انه استعوض عن النجدية . بان كان من العراق العربية .

ولا يخفى ما لعتاقها من شهرة المزية . سيما في حفظ النسب من الاختلاط .
وانتساق عموده على اقوم صراط . لا جرم ان كان وحيد اقرانه . بنباهة
شانه . واما ثالثها المسوم . وهو الاحمر المستكمل المقوم . واسمه ابو ليلى . فقد
جمع لما في جياذ الخيل يتلى . اذ هو من صنف كحيل العجوز . الذي هو
لصفات العتاق من العرب يحوز . وعلى من جراه في ميادينها يفوز . فهو
لا يجارى اذا ما ضم . لانه من خلاصة خيل قبيلة شمر . فلعمرى ان هاته
الثلاثة وان اختلفت انسابها . فقد اتحدت عراقتها واحسابها . وكل منها
قد استكمل صفات الجودة والفضيلة . واستتبت فيه محامد كل الخصال
الجميلة . فلا بدع ان تبعا ما يكمل به عدد الخمس . مما تنبسط له الروح
وتشرح به النفس . وهما الفرسان الاخضران . اللذان استكملا صفة العتاق
ولو انها اعجبيان . وهما من جزيرة مدلي الشهيرة . ذات النقطة المهمة من
البحر الابيض الفائزة بالخيل ذات المناقب الخطيرة . وهما وان افرقا هيكلًا .
فقد تفردا منظرًا مجملًا . اذ هما فرسا رهان . متهدا الاخلاق والسمات
والالوان . فاستكملت هاته الخيل مزايا التناسب . وكانت لها جهة ملائمة
بما للمتهادين من التوادد المتقارب

وقد كان السلطان ارسل له قبل ذلك ايضا كتاب الشفاء لابن سينا
في نسخة جميلة لتفحصه وتقديم كتابة بمضمونه وبعد مدة من الزمن صفا فيها
الجو للشيخ بيرم من رمي الاعادي وحسد الحساد زاد السلطان في اكرامه
باحساب مصاريف اقامته في الاستانة على خزينة الدولة باعتباره ضيفًا من
ضيوف الحضرة السلطانية وذلك بان تدفع نظارة المالية اجرة المنزل ولوازم

البيت وقدرت في الشهر بخمس وعشرين ليرة عثمانية وقد استمر صرف هذا
المرتب مدة ثمانية عشر شهرًا اي لحين خروج صاحب الترجمة من الاستانة
وقد بادر المرحوم بكتابة المکتوب الآتي لاداء واجب الشكر على هذه
العناية السلطانية ونصه

المقام الذي اناخت به مطايا البيان واستقرت . واعترفت البلاغة بانه
وحيد عصره واقرت . وعضد اليراع اشهادها اذ كان بعد ان جست يدها
اسطاعته ونقرت . فلا بدع ان ابصرت به عين الوزارة وقرت . وكان يمين
الخلافة المؤمن منها على ما تشا . ألا وهو صاحب الدولة علي رضا باشا .
باشكاتب الحضرة السلطانية . افاض الله عليه آلاءه القدسية . اما بعد سلام
تحمله ايدي التعظيم . وتحفه آداب الاجلال والتفخيم . فقد بلغ العبد ما حصل
له من عناية مولانا صاحب الخلافة العظمى . والسلطنة الباذخة المجد الشهي .
فوقع مني هذا الانعام الموقع الذي ليس وراءه حد في الاعجاب . وهزني
السرور حتى اعجزني عن التلفظ بالخطاب . كيف لا وقد لاحت من ذاك
الانعام بفضل الله علائم اخلاصي فيما اقتحمته من مفارقة وطني وكسبي
وعشيرتي وخواصي كما كنت بسطته لدى جنابكم قبل ان تحدث على وطني
الطامة الكبرى . المرجو من الله ان يبدل بأمر المؤمنين عسرهما يسرا .
من اني اعد عملي قرينة لله جل وعلى . اذ في ذمتي ورقبتي بيعه لامير المؤمنين
لا تبلى . ولا يجوز لي شرعًا ان ابتغي بعبد الحميد سلطاني بدلا . فقد ورد
في صحيح البخاري " من خرج عن السلطان قيد شهر مات ميتة جاهلية " .
فلم ابالي لذلك بالمضادات الوطنية والخارجية . واستقررت في ظل الخلافة

الاسلامية . إلى ان غمرتني الانعامات الخاقانية . فكيف لا اطير لهذا الانعام سروراً . وهو علامة بارادة الله تعالى ان تنال النفس الرضى موفوراً . فقلت يا نفس قرّبي عينا . وردي من مناهل امير المؤمنين عذاباً معيناً . فها انت شاهدت قسطاس عدله . واين انت من جوده وفضله . وفوق ذلك الطاف العناية . التي ليس وراءها للتطلب من غاية . فحسبي حمسي . ولتمتوجه ضارعاً الى ربي . بشرائري . واخلاص قلبي . ونقول اللهم يا من تجلى بجلال نهائيه . ويا من احتجب برداء كبريائه . يا من توجهت الى جنبه الاقدس عزائم الآمال . ويا من تعلقت بعيم جوده اطماع السؤال . نستوفيك من الصلوات والتسليمات . ما يناسب من فضله على جميع المخلوقات . وانرت به اقطار الارض والسموات . سيدنا ومولانا محمد خاتم الرساله . ومنار الدلالة . وتنظم فيها معه صحبه الكرام وآله . ونتضرع اليك اللهم ان تكسو هاته الدولة العلية العثمانية حلة النصر . خافقة ألوية عدلها الى آخر الدهر . مؤيدة اعلامها . مكتوباً على صفحات الايام اجلالها واعظامها . بتأييد اسد غايبها . وامام محرابها . قرّة اعين المسلمين . مولانا امير المؤمنين . المحفوف بالتأييد الرباني . الخليفة الاعظم السلطان عبد الحميد الثاني . اللهم وكما جعلته مفخرطاً في سلك المدح من رسولك عليه الصلاة والسلام لامراء القسطنطينية من آله الكرام حسبها هو في الصحيح المأثور . فاجعله اللهم مظهرآ لوعدك حيث قلت "ولينصرن الله من ينصره" ان الله لقوي عزيز الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الامور " واطل اللهم في طاعتك عمره . واجعل السداد

والصلاح فيما دبره . منكسة اعداؤه على الاعقاب . مستبشرة احباؤه بعمله المستطاب . وألسنتهم بالدعاء اليه صادحة . خاتمين ضراعتهم باسرار الفاتحة . وبعد ان انتظمت دعواتنا بمشيئة الله في سلك الاجابة . واحرزت من حضها موقع الاصابة . حان لعصابة الشكر والحمد والثناء ان تكون لسدة امير المؤمنين ايده الله مصروقة . ومن البديهي ان وقوعها موقع القبول لدى جلالته على حسن تمهيد مثلك أيها الوزير بعد الاعتماد على الله تعالى موقوفة . فلتور لها زناد الحمية . من تلك الغيرة الرضائية . لا زلتم صاعدين مدارج السعادة في العناية السلطانية "

وفي تلك المدة تفرغ الشيخ لتأليف الجزء الثالث من صفوة الاعتبار وتحرير رسالة سماها "التحقيق في مسألة الرقيق" بحث فيها عن كيفية معاملة الرق عند المسلمين بمقتضى الشريعة وبيان اسباب الرق ودواعيه واحكامه وذهب فيها الى ان العبيد المباعين الآن هم احرار وان منع الحكومات الاسلامية لتجارة العبيد هو شرعي محض لا يحتاج الحال فيه لطلب الدول الاجنبية وقد حرر قبل ذلك جواباً علمياً لبعض نبلاء الانكليز عن سؤال وجهه اليه مضمونه هل ان التونسيين مسرورون من دخولهم تحت دولة اجنبية فاوضح السيد بيرم في جوابه بان التونسيين ليسوا اقل الام حياً في الاستقلال والتنعيم بلذائذه والغيرة على الوطن وانهم مسلمون يتمنون بكل جوارحهم دوام صلتهم بالجامعة الكبرى الاسلامية واستدل على ذلك بادلة عقلية ونقلية طويلة مقنعة وقد كانت من عادة صاحب الترجمة منذ كان في تونس ان يحتفل كل سنة بالمولد النبوي الشريف احتفالاً

شائعاً واطب عليه حين وفاته حتى انه كان آخر اعماله في هذه الدنيا رحمه الله وفي كل سنة يكتب رسالة مخصوصة في موضوع من المواضيع العلمية يتخلص فيها لذكر المولد الشريف وقدائف في الاستانة رسالتين لذلك الغرض احداها فيما يجب لآل البيت النبوي الكريم من التبجيل والتعظيم مبيناً حقوقهم على المسلمين بشرط ثبوت النسب العلي حتى لا يدخل في هذه السلسلة السامية دخيل تترتب له تلك الحقوق الواجبة وثاني الرسالتين فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم على سائر المسلمين وألف رسالة اخرى في سكنى دار الحرب وذلك عند ما رأى ما طرأ على بلاد الاسلام من التمهقر المستمر نسأل الله اللطف والسلامة وقد ذهب في هذه الرسالة بعد شرح ما عليه البلاد الاسلامية الآن الشرح الكافي وايراد الادلة والنصوص الشرعية الى ان الانسان حر فيما يختاره حسب مصلحته واجتهاده . وقد سأله بعض الافاضل عن رأيه في مسألة الاجتهاد والتقليد مستنداً على الرسالتين المطبوعتين في الاستانة المنسوبتين لملك بهوبال صديق حسن خان فشرع في الجواب غير انه لم يتمه ويظهر من فحوى كلامه واعماله الخصوصية انه يرى تقليد احد الائمة الاربعة واجباً على حسب المشهور في مذهب اهل السنة . ولما تولى امير تونس الحالي منصب الامارة هنأه الشيخ بيرم بمكتوب مصدر بهذين البيتين

ألا بعلي ملك تونس سداً فلا زال فخراً للبلاد مؤيداً
ونجح دعائي بان اذ قلت ارتخن ألا بعلي ملك تونس سداً
وقد توجهت في ذلك الوقت آمال احباء قائل هذين البيتين لرجوعه

الى تونس اذ ان نفوره الذاتي كان من الوزير مصطفى بن اسماعيل الذي افل نجمه بوفاة سيده الصادق باي ولم يبق من مانع له من العود الى بلاده ومسقط رأسه ومدفن اجداده خصوصاً ورستان نائب فرنسا استبدل بغيره وصفا الوقت وزال المقت فكاتبه بعض المتشيعين للسفارة الفرنسية بتونس بمناسبة الفرصة لا سيما وقد كان وعد الامير عند توديعه وهو اذ ذاك ولي العهد بالعود الى الوطن عند ولايته عليه فاعتذر صاحب الترجمة عن كل ذلك بان السيرة العمومية هناك لم تبقى على الحالة المألوفة ثم ان صحته لم تنزل في نقهر في الاستانة لتأثره من الانفعالات النفسانية المتسببة عن دسائس ذوي الاغراض السابق شرحها التي لا يكاد يخلو منها من كان له شأن بين الناس او فضل يميزه بين اقرانه والمعالجة والعيال يلزمها الكثير من المال فباع صاحب الترجمة جميع املاكه بتونس وصار يصرف من ثمنها في حاجياته وعوائده التي لم يغير منها شيئاً بحيث رأى نفسه في تأخر مالي مستمر لا يأمن معه من الوقوع في مغالب الفقر وهو لم يحسن من العمل الا مباشرة عقاراته والتفرغ للاشغال العلمية وكان بعض كبار اصدقائه ينفره من سائر الوظائف العادية لاعداده الى وظيفة مخصوصة تليق بعلمه وما زال منتظراً حتى ضاق لذلك ذرعاً وزاد عليه اشتداد المرض العصبي اذ وجد عاملاً لتحريكه قوياً وهو الانفعال النفساني المستمر فنظر في امره فلم يجد من البلاد الاسلامية التي يمكنه الاقامة فيها براحة بال الا القطر المصري وهو مع حرارته التي يأبأها مزاج صاحب الترجمة الا انه اوفى من غيره من البلاد الاخرى . اما الولايات العثمانية فقد اشار عليه بعض المطلعين على الاحوال على ان طلبه

التوجه اليها لا يحوز محل القبول خصوصاً وهو لم يكن له ميل إلا للتوجه الى المدينة المنورة للمجاورة او الى الشام ويمنعهُ عن الإقامة في الحجاز احتياجه المستمر للحكماء والعلاجات وهما شيان مفقودان تقريباً من تلك الجهات المباركة فاستخار الله في القدوم الى مصر وساعدته المقادير بالحصول على مكاتب توصية لبعض ذوي النفوذ في هذه البلاد فاراد طلب الرخصة للقدوم اليها ولكنه استشعر ان طلب الاذن للتوجه اليها ربما لا يحوز قبولاً خصوصاً وأنه تعذر عليه وجود من يبلغ الحضرة السلطانية تفصيل امره وشكوى حاله على الوجه الحقيقي والآفاق احترام الخليفة لملكه من علماء المسلمين كان يدفع شكواه ويرفع عنه ألم معيشته ولكن دون الملوك من عقبات الاشغال ما يمنهم عن الوقوف احياناً على مثل هذه الاحوال فاذا فقد الناصح الامين الذي يتيقظ لملافاة هذه الامور بحسن تبليغها الى مقام الخلافة حصل الاهمال الذي وقع فيه صاحب الترجمة وامثاله فالتزم التحمل بطلب العودة الى الوطن وقارن هذا الطلب الاجابة اذ كاتبه علي رضا باشا باشكاتب المابين الهمايوني بهذه البطاقة العربية وهذا نصها بالحرف الواحد بخط يده

”العالم الفاضل والاديب الكامل محمد افندي بيرم سلمه الله بعد التحية الوافية نبدي لكم اننا عرضنا مادة العزيمة الى بلدكم فصدرت الارادة السنية السلطانية على عزيمتكم الى ذلك الطرف ان شاء الله تكون مصحوباً بالسلامة ونروم منكم ان لا تنسونا من دعائكم الصالح في السفر والاقامة ودمتم في ٢١ ذي الحجة سنة ١٣٠١ (علي رضا)”

ومما يذكر هنا مقروناً بمزيد الاسف ان القسطنطينية العظمى تشتمل على نحو المليون نفس من السكان من اجناس مختلفة اقلهم ابناء العرب او المنتسبون اليهم ومع ذلك لا ترى اشد منهم تهاافتاً على الايقاع فيما بينهم فبينما ترى الروم والارمن واليهود يعاضدون بعضهم بعضاً ويسعون لبني جنسهم في الخير بحيث يصدق عليهم انهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ترى اولاد العرب المسلمين ينتحلون ويتلفنون على اختلاق الاسباب وايجادها لابعاد بني جنسهم عن دار الخلافة وتنفير قلوبهم منها والله في خلقه آيات . فقد راجت فيهم سوق التحاسد والتباغض والتنافر والتشاحن حتى لا يكاد يخلو حديث من احاديثهم او حركة من حركاتهم الا في ايداء بعضهم وايقاع السوء بأنفسهم والتخاذل فيما بينهم لا فرق في ذلك بين الكبير والصغير والعظيم والحقير بل الداء واحد في الكل الا من وفق الله ولا شك ان هذا من سوء حظ الاسلام الذي كان ينبغي ان يصرفوا له اوقاتهم في خدمته بما في يدهم من التدرة على نفعه نسأل الله ان يرفع من بينهم آفة الدسائس التي يشوشون بها على انفسهم وعلى بلادهم ويسقطون بها سائر الامة العربية في أعين الامة التركية

وقد غادر الشيخ مركز الخلافة والعين مغرورة بالدمع والحشاء ممتليء بالاسى والصدر مغمم بالاسف ليس ذلك لمنصب فارقه او لرفاهة عيش زايها او اطمع في شيء من نعيم الدنيا الزايل وعيشها الفاني وانما كان يتحرق فؤاده لما كان يرى عليه الامة الاسلامية من الانحلال والاخذ في اسباب الضعف وكيف ان بلاده وقعت اولاً في يد الاجنبي وخرج لاجل ذلك

مشتتاً بعائلته في البلاد ليسكن بها بلدة اسلامية فلم ير امامه مكاناً هو اولى ان يقصد لهذا الغرض وألقى بعالم مسلم مثله من اولاد نقباء الاشراف ان يقيم بعائلته فيه سوى دار الخلافة وعلل النفس بأن ما يراه هناك من صولة الاسلام وتشديد الدين واستقامة أمور المسلمين واجتهاد امير المؤمنين ومن حوله من خاصته وحاشيته ورجاله لانقاذ الاسلام وادله مما سيسلي مصابه بفقد بلاده ومنى النفس بانه لا يئأس على ضعفه وعجزه من القيام بخدمة تفيد الاسلام او نصيحة تشيد الدين او اشتراك في عمل يجمع به كلمة المسلمين او ما يماثل ذلك مما يجب على كل فرد من المسلمين القيام به وخصوصاً من كان من طائفة العلماء فرأى لسوء الحظ من تلك الدسائس ودنايا السعيات ومسابقة الوشاة اضراراً بكل من كان مثله على رأيه حتى يخلو الجو لاولئك المسابقين ما اضطره الى مبارحة دار الاسلام للتشتت مرة اخرى في البلاد بعائلته بعد ان يئس من العمل في حقه بمقتضى الآية الشريفة "قل لا أسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى" والمرحوم يمت بجبل النسب الى البيت الطاهر النبوي من جهة ويتصل من الجهة الاخرى الى مجاهد في سبيل خدمة الدولة العلية اراق دمه في افتتاح البلاد التونسية ولم تزل اعقابه ثوارث الولاء والاخلاص والصدقة المتينة للدولة العلية في كل زمان ومكان حتى انه لما اهدى السلطان عبد المجيد كركاً من السمر الفاخر من ملبوساته الذاتية الى امير تونس احمد باشا لم ير الامير المشار اليه أليق بلبسه من الشيخ بيرم الرابع فاعطاه اياه ولم يزل محفوظاً يتبرك به في بيت بيرم بتونس وصار لبس الكرك مزية لهم لم يقلدهم فيها سواهم وقد اكتفى الشيخ

الرابع بذلك عن قبول نشان الافتخار التونسي لما عرضه الامير عليه واتبعه في ذلك صاحب الترجمة ايضاً سنة ١٢٩٥ اذ صارت العادة في تونس ان العلماء لا يتقلدون النياشين وفي حرب الدولة مع الروسية سنة ١٢٤٤ ثقاعست الولاية التونسية عن نصرة الدولة مادياً وادبياً فلم يجد شيخ الاسلام بالاستانة من يستعين به لحث المسلمين في تونس على مساعدة الدولة الأجد صاحب الترجمة بيرم الثاني لما هو مشهور عن هذه العائلة منذ القدم انها متعلقة بخدمة الدولة لا تفتر عن ذلك ابداً فاجابه بالمكتوب الآتي نصه

"ربنا افرغ علينا صبراً وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . ان احسن ما تشرفت به الامة الحمديّة . وتجلت به العصاة الاحمديّة . اتباع اوامر الله تعالى ونواهيه . وبذل الجهد في اعلاء هذا الدين وتشديد مبانيه . اقتداءً بصدرها الاول . وعملاً بسنة نبيه المرسل . ولعمري ان هذا في العبارة وان كان سهلاً يئناً . ففي ابرازه للوجود ليس هيناً . لتوقفه على امدادات الهية . وهداية ربانية . وداع الى هذا بلسانه . ورمحه وسنانه . وقد تطابقت حملة الانباء في سائر البلاد . من جميع العباد . ان القائم بهذا الشأن . والحائز قصب السبق في هذا الميدان . ومجدد الدين بعد الاندراش . ومظهر اعلامه اثر الانطاس . الدولة العثمانية اعلى الله منارها . وضاعف اقتدارها . وانا انام في ظلها . واعاد عليهم من فيض فضلها . فلم تخل والحمد لله من امام يهدي الى الحق والى طريق مستقيم . ولم يأل جهداً في رمي اعدائه بالعذاب الاليم . مؤيد من الله بعلماء . عاملين هم ورثة الانبياء ناهجين في نصيح العباد مناهج الاصفياء . وقد ورد علينا من حضرة مولانا شيخ

الاسلام . وامام العلماء الاعلام . ومرجع الحكم في الاحكام . ومن بيده مقاليد النقض والابرار . لا زالت اقلامه في بجار العلوم ساجدة . ومواعظه للقلوب جارية . وتجارتها عند الله تعالى راجحة . كتاب كريم . هادي باواخره ونواهيهِ الى الصراط المستقيم . لا يقابله كل مؤمن الا بالقبول والتسليم . وكيف لا وقد جاء بالذكرى التي تنفع المؤمنين . بالمأمور بها في الكتاب المبين . حاثاً على الجهاد . والتشهير عن ساق الاجتهاد . وتعاطي اسبابه . وطرح الامور الصارفة عن بابه . فاجتمع لقراءته الاعيان من العلماء وغيرهم بحضرة الامير جمعاً . وفتحوا له قلباً وسمعاً . وتلقوه بالاذعان والقبول . والمبادرة لامثاله بالفعل والقول . واميرنا مشاير على تنفيذ اوامر الدولة العلية . التي طاعتها من طاعة رب البرية . وما هو الا ان يؤمر فيطيع . ويكلف فيأتي بما يستطيع . والله تعالى يؤيد سلطاننا بمد نصره . ويجعل اعداء الدين تحت قهره . ويعلي رايته الشاعفة في البر والبحر . ويكتب على صفحاتها سورة الفتح والنصر . والسلام اللائق بجلالك . من العبد الفقير محمد بيرم

وفي الحرب الاخيرة تأخرت الحكومة التونسية عن مساعدة الدولة ايضاً خوفاً من معارضة فرنسا فقام الشيخ بمقتضى ما ورثه عن ذويه من محبة الدولة العلية يحرض الوزير وينصح الامير ويحض المسلمين جميعاً على اعانة الدولة ولم يكتف بذلك فقط بل سعي سعيه حتى توصل لاستخراج فتاوى شرعية بوجوب القيام بواجب المساعدة للدولة حتى لا يبقى هناك عذر لمعتذر في ذلك التقاعس وهذا صورة السؤال الذي طلب عليه الفتوى

”علماء الاسلام . بعد اهداء السلام . والتحية والاكرام . ما قولكم . رضي الله عنكم . في نازلة صورتها ان امام المسلمين قد اخبر اهل قطر من المسلمين ممن هم تحت طاعته . وداخلون تحت بيعته يخطف ائمتهم باسمه على منابرهم بان العدو قد فاجأ بلاد المسلمين مماناً بالحرب ووقعت منه المباشرة بالفعل في حدود المملكة وكان الامام استشعر من العدو ما آل امره اليه من مباشرته بالحرب فهياً من العساكر بحدود المملكة للمدافعة عن بيضة الاسلام نحو الستائة الف وحين اطلعه على جيوش العدو وعلم ما امكن من اخبارهم رأى الامام ان الستائة الف تحتاج الى ضم آخرين اليهم من العدد الكثير الذي تحصل به مقاومة العدو ويمكن له به مدافعة العدو فاستنفر كل من استطاع من اهالي ذلك القطر الى الانضمام الى حوزة العساكر ثم الذي وقع في الخارج بعد استنفر الامام هو ان العدو قد استولى على بلدان وقرى من مملكة ذلك الامام واهاليها مسلمون جارية في تلك البلدان والقرى شعائر الاسلام كما استولى على قسم من مملكة ذلك الامام سكانه نصارى يؤدون الخراج ويدعونون بالطاعة للامام وهذا القسم له بال من المملكة يبلغ عدد سكانه نحو الخمس ملايين وقد جعله العدو مركزاً لذخائره وعدده وعدده بما فيه من الحصون ومع ذلك لم يقدر العدد الوافر المهيأ من عساكر المسلمين على اخراج العدو لما تسلط عليه نعم حصلت للعدو مضرات اخرى من غزو سفنه وثورة قسم ممن كان تحت سلطانه من المسلمين باعانة الامام لهم فهل يجب والحالة ما ذكر على احاد ذلك القطر المستنفر اهله ممن قدر على الزاد والكراع والسلاح ان ينفر للامام ويلبي دعوته سواء كان

ذلك القطر موالياً لموضع الهجوم او بعيداً عنه وعلى تقدير ان يكون الموضع الموالى اهله تكاسلوا او عرض لهم مانع يتعلق بالوجوب حيثئذ بمن يلى من يلهم وهكذا ام لا يجب واذا قلنا بوجوب ذلك على الافراد والاشخاص بذلك الشرط فلو كان هناك من له منفعة عامة كمثل عالم لا اعلم منه في البلد بفصل القضاء فهل ذلك مسقط للوجوب عنه ام لا جوابكم الشافي

وما فتى رحمه الله يخلص الخدمة للبيت العثماني عند كل فرصة وبكل وسيلة حتى انه رأى رأياً ينتج عنه نفع المسلمين وارتقاء شأنهم جميعاً من جهة توثيق عرى الجامعة الاسلامية وائتلاف ممالك المسلمين وتنظيم احوالها على ما يضمن قوة المركز وثبات الوجود ومن جهة اعتلاء شأن البيت العثماني بتشييد امر الخلافة فيه على جميع المسلمين وممالكهم وذلك الرأي هو ان نتحد الممالك المستقلة الاسلامية والولايات العثمانية المستقلة استقلالاً داخلياً ثم يصير الجميع عصبة واحدة ومملكة واحدة تحت رئاسة الخليفة السلطان العثماني ومن ضمن الامور التي اوصى بها في روابط هذه الجامعة ان يجتمع امراء الممالك الاسلامية في بعض السفين بالكعبة المطهرة لتكون شاهداً على قوة ارتباطهم وفي ذلك من اعلاء شأن الممالك الاسلامية ما لا يخفى على كل من امعن النظر في نظام الممالك الالمانية التي كانت ضعيفة ضئيلة بتفرقها ممالك صغيرة يسهل على الطامع ابتلاعها كما حصل مراراً فلما اتحدت جميع المقاطعات الالمانية على النمط الذي نراه الآن بمملكة بروسيا اصبحت اعظم الممالك شأنًا واشدها قوة وصارت مملكة بروسيا التي كانت تحت رحمة الطامع اضعفها وانفرادها اقوى الممالك باتحادها مع بقية الممالك الالمانية وقد

كتب المرحوم في هذا الباب كلاماً طويلاً مستشهداً فيه بالشواهد الدينية والتاريخية كقول احد مشايخ اسلام الاستانة الاقدمين عند تحسينه هذا المشروع لمن كان يعارضه ان الاليق بمجد السلطان وفخر الدولة ان يكون السلطان سلطان السلاطين لاسلطان الولاة وربما ادخلناه في ضمن ما سنشره من بعض كتاباته التي تركها عند الفرصة

وقد خرج الشيخ على تلك الحال يقلب طرفه في البلاد لعله يجد بلدة اسلامية يشد اليها رحله فلم يجد من بلاد المسلمين بلدة يطمئن فيها الساكن على نفسه وعرضه ولا يكون عرضة لمثل تلك الدسائس الا البلاد المصرية وان كان دعمه يجري اسفاً على تلك البلاد ايضاً التي اصابها ما اصاب غيرها من سيطرة الاجنبي عليها ولكن رب ضار نافع وبعض الشرايون من بعض وقد انكر عليه المتشدقون عمله هذا وقدومه على مصر في حالة وجود الانكاز وتضارب الاحوال فيها غير انه كان يجيب على ذلك "بان لا حق لاحد في الاعتراض عليّ اذ ان الدولة رضيت لي الاقامة في تونس تحت حماية فرنسا حسب منطوق الارادة السنية المسطرة اعلاه وتونس انسلخت بالمرّة عن الممالك العثمانية ولا اثر لسلطة الدولة او المسلمين فيها. اما مصر فانه مع وجود الانكاز فيها فانها لم تنزل ولاية من ولايات الدولة وسيطرة الحكومة المحلية فيها قائمة وعلى فرض المساواة في المعاملة لا قدر الله فلا فرق بين الانكاز والفرنسيس"

وقد انتقل المرحوم بعائلته الى مصر معرجاً في طريقه على بلاد اليونان وذلك في المحرم سنة ١٣٠٢ (نوفمبر سنة ١٨٨٤) اي بعد الاحتلال الانكليزي

بسنين وشهرين ولما استوطن بالقاهرة هنأه حضرة المصقع البليغ الشيخ حمزة افندي فتح الله بهذين البيتين البديعين

لئن اشرقت في الشرق مصر ببيرم واضحت به تلك الكنانة تونس
فكم شاد مع آبائه من مكارم اضاءت بها في الغرب من قبل تونس
وبعد ان استراح اياماً قابل الجناب الخديوي التوفيقي المرحوم فظهر
له مزيد العناية وانزله منزلة الثقة الامين فحكي له سموه جميع ما جرى في
الثورة العسكرية وتفصيلها وكلما يتعلق بما قاساه فيها وختم كلامه بقوله "انني
ذكرت لكم كل هذا لتتأكدوا من صداقتي لكم" ثم اظهر له من علائم الاكرام
ما جعله دائم الشكر له ومن ذلك انه امر بان تكون مصاريف الشيخ على نفقة
الحكومة كما كان في ضيافة مولانا السلطان وفي ٢٥ ربيع الاول من تلك
السنة اصدر جريدة الاعلام وهي جريدة علمية سياسية يومية غير ان صحة
صاحب الترجمة وقلة اختباره بالقطر المصري لم تساعداه على توالي اصدارها
يومية فجعلها تظهر ثلاث مرات في الاسبوع ثم صارت اسبوعية واستمرت
كذلك مدة طويلة بحيث ان اول عدد منها صدر في التاريخ المذكور و آخر عدد
وهو ٢٦٩ صدر في غرة جمادى الاولى سنة ١٣٠٦ ثم احتجبت الجريدة المذكورة
عن الظهور بتولي صاحبها خطة القضاء في محكمة مصر الابتدائية الاهلية وكان
في نيته عند تأسيسها مع فتح مطبعة مخصوصة به ان يشغل نفسه بتحريرها وبطبع
الكتب المفيدة طلباً لنفع العموم بما اكتسبه من الاختبار بالتجول في البلدان
وبما يعلمه من العلوم الشرعية الاسلامية وتطبيقها على الاحوال السياسية التي
يتج عنها تحرير البلاد وانتظام امورها كما كانت تتوابع به نفسه منذ القديم

حتى قال خير الدين باشا عن هذه الجريدة انها لا تلبث ان تكون "تيمس
العرب" ودفعه الى ذلك ايضاً ما كانت عليه سميت من حب الاشتغال بالعلوم
وفن التحرير والانشاء وما يتسع هذا الغرض الا في مثل الاشتغال بطبع
الكتب وانشاء الصحف ولكن قد خاب جميع امله اذ ان الجريدة لم تطل
ايامها حتى رماها بعض الناس بانها تحت على الانتماء للاجنبي وهو امر لم
نقله ابداً وغاية ما هنالك انها كانت تحت على الاستفادة من الانكليز ما
داموا موجودين في البلاد اذ ان معاكستهم وامر البلاد والامة جميعاً في
يدهم لا تحمد عقباه كما بينته التجربة بعد والذي أُلجأ لانتهاج هذا المسلك
ما قاساه من ظلم الاستبداد وما رآه من وجود عوامل محركة في مصر باغراء
بعض الاجانب لتوغير صدور الناس على حكامهم اذ ذاك وخشى من دوام
الحال على ذلك المنوال ان يأتي بالضرر المادي والمعنوي على الطائفة
الاسلامية والحاصل ان كثيراً من الناس لم يقدرُوا عمله حق قدره هذا
زيادة عن ان حال الجرائد في الشرق ليس هو على ما يشاهد في البلاد
المرنقية في التمدن والحضارة بحيث ان الجرائد هنا لا تنجح الا اذا كان لها
معصد قوي ولم يتعود الشرق لغاية الآن ان ينمي شيئاً ما لم تكن يد الحكام
فيه والشيخ بيرم كان قليل المعرفة بالناس و اخلاقهم في مصر فلم يحسن من
جريدته ثمة تذكر ثم ان الكتب التي طبعها تحمل بخسارة مصاريفها ولم يكسب
منها شيئاً وزد على ذلك انه تربى في ترف وعزة نفس وهمة عالية ومن تكن
هذه اخلاقه قلما ينجح في عمل تجاري ثم ان الحرّ اضر بصحته وزاد في نقمها
فزاد في استعمال المرففين زيادة مفرطة حتى صار يستعمل نحو الغرام وكسور

في اليوم وهو مقدار كاف لقتل عدة من الانفس الغير المتعودة عليه
فالتزم بعد سنتين ونصف من الإقامة بمصر ان يسافر الى اوربا وكان ذلك قريب
احتفال ملكة انكرا بمضي الخمسين سنة على توليها الملك فتوجه اولاً الى
مدينة فلورنسا من اعمال ايطاليا للقاء صديقه المرحوم الجنرال حسين
باشا التونسي حيث طلبه لتسوية شؤونه لما اعياه المرض فأوقف جملة من
املاكه على بعض اخصائه وخصصها بعدم جيوش المسلمين ومن هناك قصد
المرحوم مدينة باريس لاستشارة حكائها في امر صحته ثم سافر الى لندرة
عاصمة الانكليز وهناك قابل جملة من نبلائها وكبار اعيانها كاللورد سالسبوري
واللورد نورثبروك وقد تكلم مع من قدر الله والاهمال ان يكون يدهم
زمام الاحوال المصرية بما رآه نافعاً لبني جلدته وجنسه وحامياً لدمارهم
ومشيداً في المستقبل لفخارهم وكان اذ ذاك النفور متمكناً بين نائب الانكليز
في مصر وبين رئيس مجلس النظار فيها فكان القوم في حيرة من هذا
الامر خصوصاً والمرشحون لمنصب الوزارة في مصر قليلون جداً والفكر
القائم في اذهان بعضهم حينئذ ان رياض باشا مكروه في البلاد مستدلين على
ذلك بظهور الثورة فيها مدة وزارته الاولى فبذل المرحوم جهده لصرف
هذا الفكر وسعى بقدر استطاعته لما فيه اعلاء شأن المسلمين وبعد ان حضر
الاحتفال رجع الى باريس لاتمام المعالجة ثم عاد الى مصر بعد ان تغيب عنها
نحو خمسة اشهر معرجاً في طريقه على برلين وويانه وفي الاثناء المذكورة
سعى الساعون كثيراً لارجاعه الى الاستانة وكاتبه بعض اصدقائه
في ذلك حسب ما صدرت به الاوامر السلطانية فأظهر المرحوم كمال

استعداده للرجوع اليها قائلاً ان بيعة امير المؤمنين لم تنزل في عنقي
واوقف رجوعه على تسوية احواله المالية ثم يقدم الى القسطنطينية ومع
ذلك فلم تكن الاعداء تكف عنه الاذى في غيابه ايضاً حتى انه لما طبع
صاحب الترجمة احدى رسائله المذكورة آنفاً المختصة بحقوق الاشراف
دس ارباب الدسائس له في دار الخلافة ما اوجب المخابرة مع الحكومة
المصرية بشأن موضوع تلك الرسالة اذ قيل انه تعرض فيها لمسالة الخلافة
وهو امر لم يخطر له على بال ومن العبت ان يفكر فيه عاقل وحاشا لمثل
الشيخ بيرم وقد وصل لما وصل اليه من التعب المادي والمعنوي غيره
منه على بني جنسه وملته ان يتصور حدوث زيادة الشقاق بينهم وزرع
بذور الخلاف بمسألة استقرار القرار عليها منذ قرون واجمع المسلمون قاطبة في
مشارك الارض ومنازلها عند عربها وتركها وزنجها بالاقرار فيها لبني
عثمان منذ عهد السلطان سليم الاول ثم تعقبوه ايضاً فيما يكتب في
جريدة الاعلام الى ان يسر الله بقدم النازي مختار باشا الى مصر وظهر له
بالبيان فساد تلك الوشايات

وفي اثناء سفره كاتبه العلامة المرحوم الشيخ عبد الهادي نجبا الابياري
من كبار علماء الجامع الازهر ومفتي المعية السنية بهذا المکتوب

بسم الله والسلام عليكم ورحمة الله

ورد الكتاب على الحب المغرم فشفاه من وجد الغرام المؤلم
قد شمت منه مذ شمت اريحه بشراً بصحة ذي السيادة بيرم
حيّاً فأحيا بهجة كانت با قاساه تسي في اشد نألم

واييك ما ذاق شرباً سائغاً من بعد فرقة وراحة نائم
 الأبان سرّت سرائرنا بما ابداه من سرّيان برء محكم
 لجناب مولانا الهام فانه هو بهجة الدنيا ونور العالم
 جمع الاله له الفضائل مثلاً جمع الزهور الروض تحت المزم
 ما بين اخلاق كازهار الربى ومحاسن تزهر بكل مخيم
 بجمالة وجلالة وفخامة وسماحة موروثه عن حاتم
 وسيادة وسعادة ابدية وجميل تدبير برأي محكم
 فالله يكمل صحة لجنابه ما غردت قمرية بترنم
 استفتح ألوكتي هذه بلطائف تحيات نتمسك بها نسائم الاسحار فتتمسك .
 واستفتح كرائم رقائق تضرعائي بقلب سليم الى ربه تنسك . مبتهلاً اليه تعالى
 ان ينعم البال ويشرح الصدر بكمال صحة مزاج حضرة اضرة وجه الايام .
 وغرة طلعة الزمان وقرّة اعين الانام . شامة الدنيا التي بها تتأرج . وشمس
 قلادة العلماء التي بها تتبرج . علامة العصر . الذي انست محاسنه محاسن ابناء
 سلافة العصر . فما هو الا روح الارواح . ولوح الفضائل التي تبليج في المساء
 والصباح . وان شفاء جسمه لشفاء لكل عليل . وروا ظما كل غليل . فمهما صح
 مزاجه الشريف صح مزاج الايام . ومهما لبس حلال العافية فعلى الدنيا السلام .
 هذا ورجائي ان تنعموا بروحي بنوالي اخبار صحتكم كلما وفد وافد . وتنعموا
 نفسي بورود اخبار صحتكم كلما ورد لهذا الطرف وارد . ثم سعادة الهام فكري
 باشا يتحف حضرتكم بلطائف التحيات . احسن الله لنا وله ولحضرتكم النهايات
 في ١٣ الحجة سنة ١٣٠٤ عبد الهادي نجا الاياري

وعلى ذكر هذا المکتوب والشيء بالشيء يذكر ننشر هنا بعضاً من
 محررات وردت على صاحب الترجمة عن لسان المغفور له توفيق باشا دلالة
 على منزلته لديه وانموذجاً على معاملته له فمنها تلغراف جاءه جواباً على التهنئة
 التي قدّمها يوم تذكّر الجلوس الخديوي في ٢٦ يونيه سنة ١٨٨٨
 حضرة الاستاذ الفاضل السيد محمد بيرم بمصر
 تلغراف حضرتكم الوارد بتهنئة الحضرة الخديوية على اليوم السعيد
 بعرضه قد صارت الامنوية لجنابه العالي من ذلك ولزم تبليغ الامر للمعلومية
 سر تشريفاتي خديوي
 برأس التين

ومنها مکتوب ورد له من محمد زكي باشا تشريفاتي اول خديوي
 اذذاك وهو

حضرة والدنا العزيز المحترم دام بالخير والنعمة
 تشرفنا بورود تذكّرة حضرتكم ومتشكرين غاية التشكر وبوقته قدمنا
 الامانة للاعتاب الكريمة فحصلت الامنوية التامة وامرنا بتبليغ ذلك لسيادتكم
 افقدم
 الداعي
 محمد زكي
 في ٦ شعبان سنة ١٣٠٦

ولما كنا بصدد ذكر هذه المحررات فلنجعل خاتمتها مکتوباً ورد على
 المرحوم من صديقه الحميم . الملاذ العظيم . ذي القلب السليم . الاستاذ الابر
 مولانا الشيخ محمد ظافر دامت بركاته اذ الغاية بيان ما كانت عليه صلات
 صاحب الترجمة بمعاصريه ومعارفه ومخاطباته مع محبيه ونص المکتوب

الى حضرة المهام الفاضل . والعمدة الكامل . جامع شتات الفضائل . وناظم
فرائد محاسن الشئائل . ومنبع المعارف . ومجمع اللطائف . وقطب فلك السياسة
ومركز دائرة ارباب الرئاسة . جناب الاعز الاكرم . مولانا الشيخ سيدي محمد
بيرم . ادام الله عزه واقباله . واثاله مناه وآماله . آمين

بعد اهداء تحيات اطيب نفعا من روض الازهار . وألطف من نسيم
الاسحار . فتد وصل كتابكم الكريم . المشتمل على الدر العظيم . الحري بالتبجيل
والتعظيم . وقرت به اعيننا سرورا . وامتلات به قلوبنا بهجة وحبورا . وما
اعلنموه من الفرح والجلد . بمحصول نشاط محبكم من عارض المرض الذي
حصل . فهو من علامات تمام الوداد . وخلوص محبتكم الاصيله وكمال
الاعتقاد . ولكم عندنا من ذلك الحظ الاوفر . والقسط الاكبر . وما عطفتم
به على ذلك من الذكر الجميل . والثناء والتبجيل . على الحب فهو من
انطباع كما لاتكم الظاهرة . التي تجلت في مرات ذاتي واصبحت في عالم
الشهادة لكم ظاهرة . كما هو مصداق قوله صلى الله عليه وسلم المؤمن مرآة اخيه
كما يشهد بذلك ذوق كل صديق وموقن وعلى كل فنحن معترفون بالقصور .
ونسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق في جميع الامور . وان يجعلنا ببركة دعائكم
مظهر الخيرات . وواسطة لتوالي المبرات . وان يجعل العاقبة للمتقين . وينجز وعده
بنزول نص النصر على اعلام جيوش المؤمنين . ونخص بالسلام كامل من
محضرتم وجناب اخينا الشيخ سيدي حمزه مسلم عليكم . وكذا كامل اولادنا
مقبلين يديكم . وهذا ما لزم . ودام مجدكم والسلام

خادم الفقرا

محمد ظافر المدني

١٣ شعبان سنة ١٢٩٤

وقد تفرغ صاحب الترجمة في الاوقات التي يتركها له المرض لاتمام
تأليف ابتداءه في استانبول سماه " تجريد السنان للرد على الخطيب
رونان " وذلك ان العالم الفرنسي المذكور وهو من مشاهير اهل بلاده
تعرض في خطابه القاها بباريس تحت عنوان " الاسلام والعلم " الى ذكر
الديانة الاسلامية وانها تمنع العلوم من الانتشار بين ابنائها فأفسد صاحب
الترجمة هذا الزعم برد مقنع اتى فيه على ذكر جميع العلوم والفنون التي
استنبطها المسلمون او نقحوها وله رسالة في صورة سؤال حررها في
جواز شراء اوراق الديون التي تصدرها الممالك الاسلامية حتى تبقى اموال
المسلمين في بلادهم ولا يجلبهم عنها اشتباه الرباء الذي لا ينطبق في هذه
الحالة عليها وكتب تقريراً مسهباً في شأن التعليم بمصر ذهب فيه الى لزوم
انتشاره باللغة العربية لسهولة تناوله وتعميمه بين العموم مستنداً في ذلك
على عمل العرب في صدر الاسلام وعلى عمل الاروبا وبين انفسهم فانهم
لا يعلمون الا بلغاتهم وقد نجحوا اما مصر فلما اتبعت طريقة التعليم باللسان
الاجنبي لم تنتشر فيها العلوم والفنون مع طول الزمن الذي مضى من حين
تأسيس المدارس فيها وله ايضاً عدة كتابات على جملة احاديث نبوية شريفة
وهي التي كان يحتفل بختمها في تونس على حسب العادة الجارية هناك في
المدرسة العنقية التي كان شيخاً عليها وفي سراي المرسى عند جناب الامير
الحالي وسنشر جميع هذه الرسائل والمنشآت والقصائد وغيرها من التحارير
العلمية والسياسية التي كتبها في مجموعة خاصة بحول الله تعالى ولم يتركه ايضاً
في مصر دسائس بعض الفرنسيين وتهمهم الباطلة فمن ذلك ان جريدة لانترون

(المصباح) الباريسية نشرت خبراً عن مكاتبتها في القاهرة في شهر أغسطس سنة ١٨٨٩ مفاده ان الشيخ بيرم سافر متوجهاً الى الشيخ السنوسي للاتفاق معه على اهاجة نار الفتنة في السودان بواسطة المهدي والقصد من ذلك كله معاكسة فرنسا وصادف نشر هذا الخبر خروج صاحب الترجمة حقيقة من القاهرة ولكن لاستنشاق الهواء البارد على شاطئ البحر في جهة رأس البر بدمياط وقد تجول المرحوم في كثير من انحاء القطر المصري وكان يكتب اثناء تجوله في ذهنية بقية صفوة الاعتبار فاتم الجزء الرابع وبول الخامس ولم يمهله الاجل لاتمامه فانه كان يقصد التوسع في الكتابة عن بلاد النمسا وسويسره والمانيا ورومانيا والبغار والصرب واليونان وهي البلاد التي شاهدها ولكن ما كتبه اجمالاً عنها في الجزء الاول يمكن ان يغني القارئ عن التفصيل والاسهاب وكان ينوي كتابة خاتمة صفوة الاعتبار على نمط مقدمتي تاريخ ابن خلدون واقوم المسالك فلم تمكنه صحته ولا اجله من اخراجها من حيز الفكر الى قوة العمل ونحن نورد هنا بعض تعليقات كتبها ليوسع البحث فيها في هذا الموضوع عسى ان يقيض الله من يمشي على نخطها اذ المقصود هو نفع ملتنا وايقائنا من غفلتنا وكفى بما جرى للامة في القرنين الماضيين من التقهقر والتلاشي والانحلال واعظاً في ديوان العبر واهم باب المبتدا والخبر لمن يروم الاستفادة بالماضي ليدفع به غائلة المستقبل اما تعليقاته فهي فيما ينبغي انما اتخاذه وتدير نفوسنا عليه وفيه فصول الاول في زيادة نشر العلم الثاني في كيفية الحكم وانه ينبغي اتخاذ قول واحد من المذهبين (اي في تونس حيث الاحكام جارية بمقتضى المذهبين الحنفي والمالكي). الثالث في كيفية ادارة

السياسة وما هو عمل الملك وما هو عمل كل وزير وما هو عمل مجلس النواب الذي حقه ان يتخذ من الاهالي وان لا تعطى الكلفة دفعة واحدة بل على قدر استطاعة الاهالي وقابليتهم وان ذلك يأتي في المسلمين من الملك وهو المربي لرعيته والسبب في عدم اعطاء الحرية التامة في فرنسا كما هو جار في انكلترا ثم تعامل الدول مع دول الاسلام على خلاف التصرف في داخلاتهم لضعفها وعدم انصافهم فعلينا بالوسائل وحكم تذاكر البنوك شرعاً وليس هو من قبيل السفتجة. وعلاقة الدول والاحكام وفوائد الصحف وفوائد سكك الحديد والبريد والتكلم عليه وعدم تأخير المقصد في الكلام عند الزيارة لاثنتين معاً. والنهي عن الغيبة بين الاخوان. اجتهاد اليهود في المال بكل بلاد واغلب الصناعات بأيديهم وعدم تعاطيهم الصنائع المجتهدة. الطرق الموجبة للفقره بالتفاضل. ابلاغ الشريعة الى الكفار واجب ولو بدون حرب. اجتهاد الاجانب في العمل حتى وصلوا بين شاطئ اميركا والبحرين الاحمر والايض وخرق المنسني والخرق تحت المنش. اسباب عدم استواء الدول الاجانب في التظلم ببلاد الاسلام على حسب مقاصدهم وقوتهم فامريكا مثلاً وان كانت رعيته عند الترك قدر رعية الانكليز فلا تجد منهم تظلاً ولا اقامة حجة مستمرة من سفيرهم. الوجوب على الحكومة والعلماء فيمن يتوجه الى الحج بتعليمه ما يجب عليه قبل السفر والا فيمنع

وفي ١٢ جمادي الاولى سنة ١٣٠٦ (١٤ يناير سنة ١٨٨٩) عين صاحب الترجمة قاضياً في محكمة مصر الابتدائية الاهلية في مدة وزارة رياض باشا الثانية وكان في وزارة نوبار باشا كلف المرحوم بكتابة ما يراه

عن القوانين المعمول بها في المحاكم الاهلية من حيث مطابقتها للشريعة الغراء او القوانين الجارية في الدولة العثمانية الشامل لها كتاب المجلة والدستور فرام اولاً التوسع في الموضوع بتقسيم القوانين المصرية باباً باباً ومقارنتها بالمجلة او الدستور واذا لم يجد نصاً مطابقاً لها فيها فيطبقها بقدر الامكان على قول احد المجتهدين بدون تقييد بمذهب مخصوص غير ان عملاً مثل هذا يلزمه طول الوقت وكثرة العمال والزمن غير قاض بذلك فالتزم ان يصرف النظر عن هذا العمل وكتب عن القوانين ما نصه

”القوانين الاصول التي عليها مدار الحقوق في الحكومة المصرية هي القانون المدني وقانون التجارة البري وقانون التجارة البحري وقانون العقوبات وهاته القوانين الاربعة نظر مطابقتها للقوانين العثمانية اولاً للشريعة المطهرة على التفصيل الآتي فاما قانون العقوبات وقانون التجارة البرية والبحرية فجميع ما يوجد من موادها في القوانين العثمانية الماثلة لها هو مطابق مطابقة كاملة وهو ايضاً الاكثر من مواد القوانين المصرية لكن القليل جداً من مواد هاته القوانين لا يوجد اصلاً في مثلها من القوانين العثمانية . واما القانون المدني المصري فهو مخالف للمجلة العثمانية التي هي قائمة مقامه مخالفة كثيرة كلية غير ان القانون المدني المصري مع ذلك اكثره مطابق للشريعة المطهرة على الاطلاق من غير نظر الى خصوص مذهب معين بل بالنظر الى اقوال الائمة المعمول باقوالهم في الديانة والقليل من هذا القانون المدني مخالف ايضاً لجميع تلك الاقوال غير ان تحويره بما يرجع به الى مطابقة احدها مما يقتضيه الحال امر سهل يسير بفتنة حذاق اهل الخبرة والعلم“

وكذلك كلفه الباشا المشار اليه تقديم تقرير بما يراه لاصلاح حال الاوقاف وقد فعل وكان موجهاً همته في مدة توظيفه بالمحاكم للسعي وراء تطبيق قوانينها على الشريعة الغراء ولما قدم ولي عهد الانكليز الى مصر كان صاحب الترجمة من الافراد القليلين الذين اجتمعوا به وفي تلك السنة انهى رياض باشا ترميم منزله بالحلمية فهناك المرحوم بهذه الايات

ان الوزير المصطفى في عصره	لا زال عوناً للمليك بازره
ابدى من التدبير في الإصلاح ما	قد حقق المهود منه بقطره
فلقد اتى في قصره ما ينبغي	حسناً به ومتانة مع وفره
والقطر قصر واسع الارحاء قد	ابدى له انموذجاً من قصره
وكلاهما مستأهل بعياله	وادارة باصابة من فكره
فكما تشاهد في الصغير اجادة	فكذا الكبير نراه صار بامرّه
اذ انقن التحسين حتى ارخوا	قصر رياض فيه جنة مصره

(سنة ١٨٨٩)

وقد عين عضواً في اللجنة التي تشكلت للنظر في تعميم المحاكم الاهلية بالوجه القبلي وعضد هذا التعميم وكذلك انتخب عضواً في لجنة تشكلت في المحكمة بناءً على طلب نظارة الحقانية لتقديم تقرير للنظارة بكل ما يرى لزوم تعديله في القوانين على حسب ما يلائم حالة البلاد وعين عضواً في لجنة بنظارة الداخلية لمراجعة الاحكام الصادرة من قومسيونات الاشقياء وانبئ على عمل هذه اللجنة الافراج عن عدد عظيم من المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة في طره وكان امضاؤه على تقرير هذه اللجنة آخر اعماله

الرسمية فتوجه الى مدينة حلوان لتغيير الهواء وهناك اشتدَّ عليه المرض وبلغ به الضعف غاية المنتهى وظهر في جهة جنبه اليسر خراجان بسبب الحقن بالمرفين اعقبهما بعد فتح الطبيب لهما تكوُّن المادة في الرئة وبعد ان لازم الفراش بالمرض المعروف بذات الجنب نحو الخامسة والعشرين يوماً فارق الحياة وذلك في الساعة الخامسة ونصف بعد ظهر يوم الاربعاء ٢٥ ربيع الثاني سنة ١٣٠٧ (١٨ ديسمبر سنة ١٨٨٩) وقد خلت ثلاثة بنين رزق بهم من بنت عمه التي تزوج بها في ١٤ ربيع الثاني سنة ١٢٧٧ وكان قبل ملازمته للفراش محتفلاً بالمولد النبوي الشريف هناك بمحضر بعض الاصحاب وقد دخل الى الحرم من تلك الحفلة ولم يخرج حياً وفي مدة مرضه ورد عليه مكتوب من صديقه رياض باشا ونصه

” جناب الاستاذ

من صميم الفؤاد قد تكدرت من خبر ما طرأ على جنابكم من انحراف المزاج الذي لم اعلم به الا من منذ كم يوم وادعو المولى سبحانه وتعالى ان يمنَّ عليكم بالشفاء وكال الصحة والعافية ونراكم معنا عن قريب وعلى اي حال اترجاكم ان لا تؤاخذوني والعذر عند كرام الناس مقبول

في ١٣ ربيع الثاني سنة ١٣٠٧

محبتكم المخلص

✽ رياض ✽

وقد حضر دولة الباشا المشار اليه الى حلوان وقصد عيادته وارسل اليه نجله وكذلك كان المرحوم توفيق باشا كثير السؤال عنه يومياً بواسطة طبيبهم عيسى باشا حمدي ولما توفي اظهر لابنائهم جميل التلطف تعمدته الله

برحمته وقد شيع رياض باشا جنازة صاحب الترجمة صبيحة يوم الجمعة وكانت مودَّتْها صافية خالصة ودفنهُ في التربة المخصوصة التي شيدها بقرب ضريح الامام الشافعي رضي الله عنه وقد كُتب على قبره هذه الايات وهي من انشاء الشاعر البليغ حفي بك ناصف

يا قبر اضنانا البكاء وتبسم
ادريت ان الفضل فيك مخيم
أعلمت انك قد حوت محمدًا
وتركت اكباد الوري تتضرم
هذا الذي كانت بدائع فكره
تلي البيان على اليراع فينظم
من عترة ثوت العلوم بدارهم
فهم لطلاب الهداية انجم
اولاه مولاه مواهب فضله
والله يعطي من يشاء ويرحم
واقام في دار النعيم فأرخوا
في جنة الفردوس أسكن بيرم

سنة ١٣٠٧

وقد رثاه جملة من احبابه وكتبت الجرائد تنعيه ولتقتصر منها على ما قالته ” الوقائع المصرية ” جريدة الحكومة المصرية الرسمية الصادرة في ٢١ ديسمبر سنة ١٨٨٩ عمرة ١٤٥ ” انا لله وانا اليه راجعون . في آخر ليلة الخميس الماضي انتقل من هذه الدار الفانية الى الدار الآخرة الباقية المرحوم الشيخ محمد بيرم احد قضاة المحكمة الابتدائية الاهلية بمصر وصاحب جريدة الاعلام العربية وكانت وفاته رحمه الله بمدينة حلوان عقب اشتداد الداء العصبي الذي مني به من عدة سنين ولم ينجع فيه علاج الاطباء

وفي صباح يوم الجمعة الماضي احتفل بنقل جسده من حلوان احتفالاً يليق بمقامه وفضله وانتظره على محطة ميدان محمد علي العدد العديد من

رجال الحكومة السنية واكبرها وفي مقدمتهم صاحب الدولة رياض باشا رئيس مجلس النظار وناظر الداخلية والمالية وكثير من العلماء وقضاة المحاكم الالهية ومشاهير المحامين وذوي الفضل من الوجوه والاعيان . ومما هو جدير بالذكر في هذا المقام ما كان من صاحب الدولة رياض باشا من العناية بأمر المرحوم والاهتمام بشأنه والمساعدة في اكرام تشييع جنازته ودفنه وتعزية اولاده وتشجيعهم على تحمل المصائب الى غير ذلك من الاحتفال والاكرام ولما وصلت الجنازة الى المحطة شيعت في مشهد حافل مشى فيه دولة رئيس النظار ومن تقدم ذكرهم ومن حضروا من حلوان بغاية السكون والوقار وكان في مقدمة المشهد الذاكرون ومرتلو البردة وغيرها من الاحزاب والاوراد ثم المشيعون للجنازة فحملة السرير وكلهم آسفون لفراق هذا الرجل العظيم الشان وقد دفن رحمه الله في المدفن الذي بناه صاحب الدولة رياض باشا بقرافة الامام الشافعي عليه الرضوان وفرقت الصدقات على الفقراء والمساكين ودعا الناس للمرحوم بالرحمة والغفران

اما الرجل رحمه الله فكان عالماً فاضلاً فقيهاً كاملاً متضلعا من العلوم الشرعية بأنواعها مطلعاً على احوال الامم وله الباع الطويل في فنون التاريخ القديم والحديث وكان من ذوي الاقلام البليغة فيما يريد كتابته من المواضيع وقد ألف رسائل كثيرة في الاحاديث والاصول والاحكام الشرعية والجغرافيا التاريخية والسياسية وغيرها وكلها تدل على غزارة مادته وسعة تفننه في المعارف والعلوم وكان كثير الاستشهاد بأحوال الامم الغابرة والحاضرة في كتاباته واقواله وله قوة حاضرة في اقامة الدليل والبرهان كما يشهد بذلك

المقامات الافتتاحية التي كان ينشرها في جريدة الاعلام رحمه الله رحمة واسعة وافرغ على آله وذويه جميل الصبر . وعزاهم على مصابهم فيه اكمل العزاء واثابهم على الصبر عظيم الاجر آمين

وهذا ما قالته جريدة الحاضرة الصادرة بتونس في ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٨٩ عدد ٧٤ " صباح يوم الخميس الفارط نشرت اخبار التلغراف من حلوان مصر القاهرة خبر وفاة العلامة النحرير صاحب الصيت الشهير المؤلف الشيخ السيد محمد بيرم وبما انه من مفاخر البلاد التونسية تقوم الحاضرة بواجب رثائه وهي ادرى من غيرها بفضائل رجالها فقد ولد هذا العالم في بيت العلم البيري سنة ست وخمسين ومائتين والف وتربى في مهاد العلم والتعليم وقرأ على ابن عمه الشيخ احمد بيرم وعلى عم جده الشيخ مصطفى بيرم وعلى شيخ الاسلام الشيخ محمد معاوية وقرأ على الشيخ الطاهر بن عاشور والشيخ الشاذلي بن صالح والشيخ محمد الشاهد والشيخ علي العفيف وغيرهم من فحول جامع الزيتونة الى ان حصل على مرتبة عالية وتقدم لخطتي التدريس وقرأ كتباً مهمة بجامع الزيتونة وولي مشيخة المدرسة العنقية بعد وفاة عمه شيخ الاسلام الرابع وختم بها الاختام المهمة وكان يعيدها كل سنة في بيت الحضرة العلية وكان عالماً فاضلاً عالي الهمة عزيز النفس رفيع الحسب منشئاً فصيح اللسان جميل المحاضرة صاحب اناة ووقار خبيراً بالسياسات الشرعية والوقفية حسن التدبير واسع الادارة امتنع من قبول الخطط الشرعية عدة مرار متعللاً بضعف بدنه وكان عضواً في عموم الجمعيات التي انعقدت لوضع التراتيب العلمية والتنظيمية اول الوزارة

الخيرية وهو الذي قام برئاسة جمعية الاوقاف عند تأسيسها فأسس اصولها بعد ان جمع شملها بما يقتضيه العلم والانصاف وولي نظارة المطبعة الرسمية واعتزته امراض عصبية بعمده سافر بسببها عدة مرار لباريز وايطاليا وحنكته الاسفار بما يزيد في الاعتبار وبإشارته كان انشاء المستشفى الصادقي وبإشرافه اقامته على النمط الذي رآه بباريز ومن قلمه كان انشاء قانونه وشكره الامير يوم فتحه في الموكب العمومي وولي عضواً في مجلس الدولة الشوري على عهد وزارة ابن اسمعيل واشتد مرضه والح في طلب العفاء ولم تسعفه الدولة بذلك وخرج لبيت الله الحرام اواخر سنة ست وتسعين ومائتين وألف ورجع على طريق الشام ولما رأت الدولة انحلال وظائفه احوالها لغيره في الثامن والعشرين من محرم سنة ١٢٩٧ وتنقل من الشام الى دار الخلافة العثمانية فنزل بمنزل التعظيم والتكريم وعرضت عليه نقابة الاشراف والفتوى بالشام فلم يقبل لضعف بدنه ثم انضم اليه ابناؤه وعائلته واجرت عليه الدولة جراية سلطانية وهناك ألف رحلته صفوة الاعتبار بمستودع الاقطار والامصار وادعها من الاصول السياسية والاصول العلمية ما يدل على كمال تضلعه وقوة عارضته واقام بالاستانة الى ان شق عليه مرضه العصبي وأشار عليه اطباء بالتنقل الى البلاد الحارة فتنقل بأهله وابنائهم اول المحرم سنة اثنتين وثلاثمائة والف وتلقته الديار المصرية بالرحب والقبول وانزله الجنب الخديوي منزلة التكريم واجرى عليه جراية تليق بأمثاله وفتح بها مطبعته الاعلامية وافادت صحيفة "الاعلام" في سائر الجهات العربية الى ان ولي حاكماً بالمحكمة الاهلية وفي اثناء هاته الاسفار كان مجداً في الاعتناء بكرام

ابنائهم في المدارس الى ان وصلوا الى قدم الكفاءة للهيات وترقى اولهم لخطبة كاتب مجلس النظار بالديار المصرية نسأل الله ان يجعل منهم خلفاً محموداً وان يديم عليه في نعيم الجنان ظلاً ممدوداً

هذا وقد قيل ان قيته المرء لا تقوم بمقدار مادحيه فقط بل بانضمام المنتقدين عليه ايضاً وعلى ذلك نقول انه من دون سائر الجرائد العربية والافرنجية قد انفرد بل احدى جرائد الاستانة العربية بنشر ما يخالف امره عليه الصلاة والسلام "اذكروا موتاكم بخير"

ولم يكن ذلك ليؤثر على حسن صيته وشهرته فقد قيل - كلام العدى ضرب من الهذيان - ومن تأمل في تاريخ حياة المغفور له علم انه كلما خفض الاعداء والحساد من شأنه ذراعاً ارتفع ميلاً وكلما اشتدت به ملات الحوادث وكوارث الزمن زاد قدره اعتلاء فقد خرج المرحوم من دياره مغرباً مشرداً فما زالت به همته حتى بلغت به الى شرف المقابلة بالحضرة الشاهانية ونوال اقصى الرعاية السلطانية وخسر امواله واملاكه فقام له فضله وعلمه بعدم الحاجة لاحد فعاش ميسوراً ومات ميسوراً واجتهد بعض ذوي التقصير في الخط من سيرته والطعن في شهرته فما زاده ذلك الا اعتلاء في الصيت واحتراماً في النفوس وتوقيراً في الصدور ففضى حياته حميد السيرة وانتقل الى رحمة ربه طاهر السريرة وعلى كل حال فنسأل الله ان يجازي الجميع خيراً ولا يريهم خيراً هذا وقد كتبت ما كتبه والله يعلم اني لم اقصد به فخراً ولا حباً في الظهور وانما هي حقائق مثبتة بمسنداتها القيتها تحت نظر القاريء ليرى في حياة هذا المؤلف وما طرأ عليه من

نعيم وبؤس العبرة التي يتوخاها وقياماً بحقوق الابوة والتربية واجابة لما
كان كلفني به عند قدومه الى مصر واكوني اعلم الناس بأحواله رحمه الله
رحمة الابرار

وكلما تذكرت على قبره محاسن افعاله في حياته العمومية وجميل اخلاقه
وشهامه نفسه في حياته الخصوصية اكاد انشد بيت المعري مخاطباً
لقبرائه

لأُطْبِقتْ أطباق المحارة فاحتفظ
بلؤلؤة المجد الحقيقة بالخرن
٩ ذي الحجة سنة ١٣١١
* محمد بيرم *



Sulciymantıya	
Wicla	<i>İzmir</i>
Mont Paye No.	
Eski Kayıt No.	1018/1-2